مقدمة

الحمد لله والصّلاة والسّلام على أفضل خلق الله تعالى وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واستنّ بسنّته، وصدق له في مودّته، وبعد.

قليلة هي التآليف الّتي إذا قرأتها ينتابك شعور وإحساس بصدق مؤلّفها فيما أراده من تأليفه، وكتاب "**إِظْهَار صِدْقِ الْمَوَدَّة فِي شَرح البُردَة**" لَحقيق أن يُعدّ من بين هذه الكتب القليلة، بل هو قطب رحاها في ذلك، وذروة سنامها، وهو اسم على مسمّى، لأنّك وأنت تتبع كلماته، وتقصّ عباراته، تشعر بأنّ ابن مرزوق الحفيد، وهو يخط بيمينه هذا الكتاب، لكأنّ مداد كلماته لم تكن حبرًا، بل عبرات سكبتها حرقة الشّوق إلى الحبيب المصطفى، أو دماءً أهرقها حرّ نار الوُجد في الشّفيع المجتبى، ووالله لقد صدق ابن مرزوق الْحَاشِرَ الْمُقَفَّى في مودته، وإلاّ لما كان هذا التّوفيق من اللّطيف الخبير، الّذي يعلم السرّ وأخفى، بأن أوقع هذا الشّرح في قلوب العلماء ذلك الموقع الخطير، ما لم يُكتب ذلك لغيرها من الشّروح.

كما تُدرك وأنت تحلِّل ما بين يديك من التقريرات والتحريرات، أنّ الإمام ابن مرزوق الحفيد قد سخّر في سبيل هذا الشّرح عصارة ما حصّله من علوم على اختلاف صنوفها، وعلى مدى حياته الحافلة بالنّهل من ينابيع العلم من مختلف أقطار العالم الإسلاميّ، ولم يبخل على هذا الشرح من سائر علومه، فهو الفقيه والمحدّث والأديب والنّحويّ والمفسّر والمتكلّم والصّوفي..إلخ. وجمعَ في هذا الشرح علومًا شتّى

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وفنونًا عدّةً، وشرح البُردة بمنهجيّة لا أظن أنّه سُبق إليها بالصّورة والتّرتيب الّذَيْن أظهرهما فيه، فجاء شرحه هذا من أفضل شروح البُردة، بل هو واسطة عِقْد تلك الشّروح كلّها.

وإنّك وأنت تنتقل ببصرك بين سطور هذا الشرّح الماتع، لتشعر بلذّة عقليّة وروحية لا تضاهيها لذّة، لكأنّك تسبح في ملكوت السّموات، وتنتقل بقدميك فوق الثّريا، كيف لا؟ وهو يتناول طبّ القلوب وجلاءها، ونور الأبصار وضيائها، وراحة الأرواح وصفائها، إنّه المصطفى الّذي هدى الله به ضلاّلاً، وفتح على يديه عيونًا عميانًا، وهو مفتاحنا إلى الجنّة، وحرزنا من النّار، فداك روحي ومالي وكلّ ما أملك يا رسول الله.

وأسأل الله تعالى أن يجعل عملي هذا المتواضع في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم، كما أرجوه تعالى أن يُشفّع فيَ المحبوب المصطفى، وصلّ اللّهمّ على مجتباك ما تعاقب اللّيل النّهار، وعدد رمال الدّنيا وأمواج البحر، وأخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

خالد

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التعّريف بصاحب البردة (الإمام البوصيري)[1]

هو الشّيخ الإمام الفقيه الأديب النّاظم شرف الدّين أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن حمّاد الصّنهاجي البوصيري.

ولد البوصيري في (أول شوال 608هـ = 7 من مارس 1213م)، ويرجع أصله إلى قبيلة من قبائل "صنهاجة"؛ إحدى أكبر القبائل الأمازيغية، المنتشرة في شمال إفريقيا. ويعرفون ببني حبنون.

وقد تلقى الإمام البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره على عادة ذلك الوقت؛ فحفظ القرآن في طفولته، وتعلم مبادئ العربية وأصول النّحو والعلوم الشّرعية، ثمّ تلقّي علوم العربية والأدب، وتتلمذ على عدد من أعلام عصره.

وتتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم:

ـ أثير الدّين محمد ابن يوسف المعروف بأبي حيان الغرناطيّ.

ـ فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسيّ الإشبيليّ، المعروف بابن سيّد الناس.

ـ محمد بن عثمان بن محمد التوزريّ.

ـ يوسف بن محمد المشهدي تقيّ الدّين.

ـ محمد ابن إبراهيم بن سليمان المقدسيّ المعروف بابن البرهان.

وغيرهم من التلاميذ.

---

(1) انظر ترجمته في الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي : 88/3 وما بعدها.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

نظم الإمام البوصيري الشّعر منذ حداثة سنّه، إلاّ أنّه كان متّجهًا إلى مدح الملوك وهجاء الخصوم.

وقد تقلّد العديد من المناصب في القاهرة والأقاليم، فعمل في شبابه في صناعة الكتابة، واصطدم بالمستخدمين المحيطين به، وضاق صدره بهم وبأخلاقهم، وظهرت له عيوبهم، فنظم فيهم عددًا من القصائد يهجوهم فيها، ويذكر عيوبهم ويفضح مساوئهم. وقد أثار ذلك عليه نقمة المستخدمين وعداوتهم، فسعوا ضدّه بالدّسائس والفتن، حتّى سئم الوظائف والموظّفين، واستقال من الوظائف الحكومية.

واتّجه إلى الزهد بعدما اتّصل بالشيخ أبي الحسن الشّاذلي وتلميذه أبي العباس المرسيّ، وسخَّر شعره في المدائح النبويّة ونحوها، وقد ساعده في ذلك – كما يقول المترجمون له - اعتناؤه بقراءة السيرة النبويّة، ومعرفة دقائق أخبار الرّسول صلى الله عليه وسلم.

وتُعد قصيدته الشهيرة "**الكواكب الدريّة في مدح خير البريّة**"، والمعروفة باسم "**البردة**" أهم أعماله، ومن عيون الشّعر العربيّ، ومن أروع قصائد المدائح النبويّة، ودرّة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذّي جاءت به قرائح الشّعراء، وهي قصيدة طويلة تقع في 160 بيتًا.

ويروي الإمام البوصيري سبب إنشائه لهذه البُردة فيقول : «كنتُ قد نظمتُ قصائد فِي مدح رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم؛ مِنْهَا مَا كَانَ اقترحه عَليّ الصاحب زين الدّين يَعْقُوب بن الزبير، ثمَّ اتّفق بعد ذَلِك أَنه أصابني فالج أبطل نصفي، ففكّرتُ فِي عمل قصيدتي هَذِه الْبُردَة، فعملتُها واستشفعتُ بِهِ إِلَى الله عز وَجل فِي أَن يعافيني، وكرّرتُ

مادة محمية بموجب حقوق النشر

انشادها، وبكيتُ ودعوتُ، وتوسلتُ بِهِ، ونمتُ، فَرَأَيْت النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، فَمسح على وَجْهي بِيَدِهِ الكريمة، وَألقى عَليّ بُردةً، فانتبهتُ، وَوجدتُ فِيَ نهضةً، فَخرجتُ مِن بَيْتِي، وَلم أكن أعلَمتُ بذلك أحدا.

فلقيني بعض الْفُقَرَاء[1]، فَقَالَ : أُرِيدُ أَن تُعْطِينِي القصيدةَ الَّتِي مدحتَ بهَا رَسُول الله صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم. فَقلت: أَيُّهَا؟ فَقَالَ: الَّتِي أنشأتَها فِي مرضك. وَذكرَ أَوَّلهَا، وَقَالَ : وَالله لقد سمعنَا البارحة، وَهِي تُنشد بَين يدَي رَسُول الله صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم، ورأيتُه صلّى الله عَلَيْهِ وَسلّم يتمايل، وأعجبته، وَألقى على مَن أنشدها بردةً. فأعطيته إِيَّاهَا»[2].

وقد ظَلّت هذه القصيدة مصدر إلهام للشّعراء على مرّ العصور، يحذون حذوها، وينسجون على منوالها، وينهجون نهجها.

وقد ترك الإمام البوصريّ عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشّعريّ الّذي حقّقه محمّد سيد الكيلاني، وطبع بالقاهرة سنة 1374هـ/1955م، وشعره في غاية الحسن واللّطافة عذب الألفاظ منسجم التركيب، وكان الشيخ فتح الدين يقول: "هو أحسن من شعر الجزّار والورَّاق". وله أيضاً "تهذيب الألفاظ العامية"، وقد طُبع كذلك بالقاهرة. وله منظومة في الردّ على النّصارى واليهود، حقّقها أحمد حجازي السقَّا، وطُبعت بمطبعة دار البيان بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة 1399 هـ = 1979 م. تُوفِّي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة 695 هـ عن عمر بلغ 87 عامًا.

---

(1) أيْ المتصوّفة أو المتزهّدة.

(2) انظر الوافي بالوفيات. صلاح الدين الصفدي : 93/3 و 94.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التعرّيف بالشارح (الإمام ابن مرزوق الحفيد)[1]

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق الحفيد العَجِيسِيّ التلمسانيّ، واشتهر بابن مرزوق الحفيد، وهي ينتمي إلى بيت علم وصلاح، فقد كان أبوه عالمًا، وكذا جدَّاه لأبيه وأمّه، وكانت أمّه من المشتغلات بطلب العلم، كما خلفه في العلم ولداه محمد وأحمد، ونبغ حفيده محمد بن أحمد بن مرزوق، والمعروف بحفيد الحفيد، ثمّ خلفهم ولد حفيده المعروف بالكفيف، وخلف الجميع ابن مرزوق الخطيب.

ووُلد الحفيد ابن مرزوق ليلة الاثنين 14 من ربيع الأوّل عام 766هـ حسبما أثبته هو في تأليفه هذا، وترعرع في جوّ علميّ، حيث أوّل ما فتح عينيه على طلب العلم كان على يدي أبيه وعمّه، ثمّ على يدَي بعض شيوخ تلمسان؛ منهم العلامة السيّد عبد الله الشّريف التلمسانيّ، وعالم المغرب القاضي سعيد العقباني التلمسانيّ، والوليّ العابد الصّالح أبو إسحاق إبراهيم المصمودي. ثمّ انتقل إلى فاس، وأخذ عن شيوخها؛ منهم النحويّ أبو حيان وأبو زيد المكودي وجماعة غيرهما. وبعدها انتقل إلى تونس، وأخذ عن شيوخها، منهم ابن عرفة، وأبو العباس القصّار التونسيّ، ثمّ انتقل للحجّ إلى المشرق، والتقى بعلمائه؛ منهم السّراج البلقيني، والزّين الحافظ العراقي، والشّمس الغماريّ، والسّراج

(1) انظر ترجمته في البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ابن مريم: ص 210. وتعريف الخلف برجال السلف. الحفناوي : 128/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ابن الملقّن، وصاحب القاموس، والمحب ابن هشام ابن صاحب المغنى، والنّور النويريّ.

وتتلمذ على يديه جماعة من العلماء والنّبغاء؛ منهم مفخرة الجزائر عبد الرحمن الثّعالبيّ، والقاضي عمر القلشانيّ، وابن العباس، والعلاّمة نصر الزّواوي، والوليّ الحسن أبركان، وأبو البركات الغماري، وأبو الفضل المشدّاليّ، وقاضي غرناطة أبو العباس ابن أبي يحيى الشّريف، وأبو العباس النّدروميّ، وسيدي عليّ بن ثابت، والشّهاب بن كحيل التجانيّ، والعلاّمة أحمد بن يونس القسنطينيّ، والعلاّمة يحيى بن يدير، وأبو الحسن القلصاديّ، والشّيخ عيسى بن سلامة البسكريّ وغيرهم.

وقد ترك الإمام ابن مرزوق ثروة جليلة من المؤلفات، منها ما أكمله، ومنها ما عاجلته المنية ولم يكمله.

○ **فمن الّتي أكملها:**

- شروحه الثّلاثة على البردة وسمَّى الأكبر "إظهار صِدق المَودَّة في شرح البُردة". والشّرح الأوسط، والشّرح الأصغر المسمَّى بـ "الاستيعاب لِما في البُردة من البيان والإعراب".
- المفاتيح المرزوقية في استخراج رموز الخَزْرجية.
- نهاية الأمل في شرح الجمل؛ أيْ جمل الخونجي.
- مختصر الحاوي في الفتاوي لابن عبد النّور.
- نور اليقين في شرح حديث أولياء الله المتَّقين. وهو حديث أوَّل "حلية أبي نعيم" في شأن البُدلاء وغيرهم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

- أنوار الدَّراري في مكرَّرات البخاري.
- عقيدة أهل التّوحيد المُخرجة مِن ظلمة التَّقليد.
- الآيات الواضحات في وجه دلالة المعجزات.

وغيرها من المؤلَّفات الّتي أكملها.

○ **وأمّا ما لم يَكمل من تآليفه فمنه ما يلي:**

- المتجر الرّبيح والسَّعي والرّجيح والمَرْحب الفسيح في شرح الجامع الصّحيح.
- المنزع النَّبيل في شرح مختصر خليل. شرح منه كتاب الطّهارة في مجلَّدين، ومن الأقضية إلى آخره في سفرين.
- أيضاًح السّالك على ألفية ابن مالك. وصل فيه إلى "اسم الإشارة أو الموصول". في مجلّد كبير.

وغيرها من المؤلَّفات التي لم يكملها.

تُوفّي رحمه الله تعالى بتلمسان، ودُفن فيها فِي عَشِيَّة الْخَمِيس رَابع عشر (14) شعْبَان سنة اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعين وثمانمائة (842هـ) عَن سِتّ وَسبعين سنة.

۞ ۞ ۞

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التحقّق من نسبة الكتاب للمؤلّف

إنّ كلّ من ذكر هذا الكتاب – سواء بعنوانه التام أو المختصر – من المترجمين والمؤرّخين، إلاّ وينسبه إلى الإمام ابن مرزوق الحفيد التلمساني، وتكاد هذه النّسبة تصل التواتر ، فليس هناك أدنى شكّ في ذلك، بل ما يذكره الإمام نفسه في ثنايا تأليفه هذا عن بعض تفاصيل حياته يؤكّد هذه النّسبة، فلا حاجة إلى الإطالة في التّدليل على صّحة هذه النّسبة، ولنذكر بعض من أكَّد هذه النِّسبة على سبيل الاستئناس، منهم الإمام المقري في كتابه "نفح الطّيب"، حيث يقول في ترجمته: «وأمّا تواليفه فكثيرة؛ منها شروحه الثّلاثة على البُردة، وسمَّى الأكبر "إظهار صدق المودَّة في شرح البُردة" واستوفى فيه غاية الاستيفاء، وضمّنه سبعة فنون في كلِّ بيت»(1). ومنهم الإمام السّخاوي في كتابه "الضّوء اللاَّمع"، حيث يقول في ترجمته: «وَله تصانيف مِنْهَا: المتجر الرّبيح والمسعى الرّجيح والمرحب الفسيح فِي شرح الْجَامِع الصَّحِيح لم يكمل، وأنواع الذَّرَارِي فِي مكررات البُخَارِيّ، وَإِظْهَار الْمَوَدَّة فِي شرح الْبُردَة، وَيُسمى أيضاً صدق الْمَوَدَّة»(2). ويقول ابن مريم في كتابه البستان: «وأمّا تآليفه فكثيرة، منها شروحه الثّلاثة على البُردة، الأكبر المسمَّى إِظْهَار صِدْقِ الْمَوَدَّة فِي شَرح قَصِيدَةِ الْبُردَة، استوفى فيه غاية الاستيفاء، ضمّنه سبعة فنون في كلّ بيت»(3).

(1) انظر نفح الطيب. المقري: 429/5.

(2) انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. السخاوي: 50/7.

(3) انظر البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان. ابن مريم: ص 210.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

منهج التّحقيق

اعتمدتُ في تحقيقي لهذا الكتاب على طريقة النّص المختار، لأنّه لا ميزة كبيرة ترجّح إحدى النّسخ على باقي النّسخ، وإن كانت النّسخة الأولى قد كتبت في حياة المؤلف، لكن الناسخ لم يشر إلى أنّه نقلها من نسخة المؤلِّف أو قابلها عليها أم لا، وما يربو على نصف النسخة الأوّل مكتوب من قِبل ناسخ آخر. كما قمتُ بالإحالة قدر الإمكان على المصادر الّتي استقى المؤلِّف منها معلوماته على حسب ما يترجّح لديّ، ولذا توصّلتُ إلى أنَّ معتمده في شرح الغريب هو كتاب الصّحاح للجوهري، وهو قد صرَّح هو بذلك في بعض نقولاته، وفي العلوم البلاغية من معانٍ وبيانٍ وبديعِ ..إلخ فقد اعتمد على كتب جلال الدِّين القزويني، ويظهر أنّ اتصاله بكتب هذا الأخير كان بفضل جدّه لأمه، لأنّه قد التقى به، حسبما ذكره ابن مرزوق الحفيد في تأليفه هذا. وأمّا النصوص النّبويّة في كتب السنّة المشهورة، فهي عنده مسندة إلى مؤلفيها، وقد اجتهدتُ في بيان درجتها من حيث الصحَّة والضّعف بقدر الإمكان من كتب التّخريج المعتمدة. وقد أكثر الاستفادة في مسائل الإشارات الصّوفية وأقوال أهل هذا الفنّ من الإمام القشيريّ في رسالته المعروفة، إلى جانب بعض المصادر الأخرى في مختلف الفنون.

هذا. ولم أشأ أن اثقل على القارئ بكثرة التّعليقات أو الإحالات إلى المصادر في الهوامش، مثل ماهو معمول به في الكتب الأكاديمية، إلاّ ما اضطررتُ إليه، وهذا حتّى لا أشوّش عليه، وأقطع استمتاعة بمتن الكتاب.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

النّسخ الخطّية المعتمدة

النّسخة الأولى: نسخة خطيّة موجودة بمكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية. قسنطينة. الجزائر. عدد أوراقها مائتان واثنان، تناوب على نسخها ناسخان، ويبدو أنّ الناسخ الأوّل اتمّ ما ضاع ممّا نسخه الناسخ الثاني، وذلك أنّ الناسخ الثاني أتمّ نسخ الكتاب في حياة المؤلف، وذلك سنة 834 هـ، ولهذا اعتمدت على هذه النّسخة في التّرجيح عند اختلاف النّسخ كلّها.

النسخة الثانية: نسخة خطيّة موجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر، ومرموز لها بالرّمز ح2، عدد أوراقها ثلاثمائة وواحد، وهي مبتورة بمقدار ورقة من البداية والنهاية، وتاريخ نسخها غير معلوم بسبب البتر، وخطها مشرقيّ، وفيها بعض التّصحيحات والاستدراكات في الهامش، ممّا يدل على أنّ ناسخها قد قابل نسخته على نسخة أو نسخ أخرى، ويبدو أنّ ناسخها مستواه العلمي أعلى من ناسخي النسختين الأخريين، بسبب قلّة الأخطاء والتّصحيف والسّقط، وبسبب بعض المقارنات المسجلة في الهامش مع بعض الشّروح الأخرى للبُردة.

النّسخة الثالثة: نسخة خطيّة موجودة في المكتبة الوطنية بالجزائر، ومرموز لها بالرمز ح18، عدد أوراقها أربعمائة وستون ورقة، وهي مبتورة بمقدار ورقة من البداية والنهاية، وتاريخ نسخها غير معلوم بسبب البتر، وخطها مغربيّ، وفيها بعض التّصحيحات والاستدراكات، ممّا يدل على أنّ ناسخها قد قابل نسخته على نسخة أو نسخ أخرى، إلاّ أنّه يبدو أنّ

مادة محمية بموجب حقوق النشر

هذا النّاسخ محدود الثقافة إلى حدّ ما، لأنّه كثيرا ما يترك فراغا للكلمات التي لا يفهمها في النّسخة الّتي نقل منها، بالإضافة إلى الأخطاء والسّقط الكبيرين.

النّسخة الرابعة: نسخة خطيّة موجودة في مكتبة الزّاوية العثمانية ببسكرة بالجنوب الجزائري، وهي كاملة، كتبها بفاس محمد بن عبد السلام الحلو سنة 1153هـ، وخطّها مغربيّ، وفيها بعض التّصحيحات والاستدراكات في الهامش، ممّا يدل على أنّ ناسخها قد قابل نسخته على نسخة أو نسخ أخرى.

النسخة الخامسة: نسخة خطيّة مصورة، وحسب الختم هي نسخة موجودة في مكتبة تركية، وهي كاملة، كتبها أحمد بن حسين بن علي المقري التركاني الشهير بالمرجي، وكان الفراغ من نسخها في يوم الثلاثاء سابع جمادى الآخرة عام ثمان وخمسين وثمانمائة، وخطّها مشرقي، وهي من أجود النسخ، وبها تصحيحات واستدراكات.

النسخة السادسة: نسخة خطيّة مصورة، وحسب الختم هي نسخة موجودة في مكتبة تركية، وهي كاملة، لم تذكر اسم ناسخها ولا سنة نسخها، وخطّها مشرقي.

النسخة السابعة: نسخة خطيّة مصورة، موجودة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وهي الجزء الأوّل فقط، كتبت في القرن الحادي عشر هجري، وخطّها مشرقيّ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[خُطْبَةُ المؤَلِّفِ]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيّدنا ومولانا محمّد المصطفى الكريم، وآله وصحبه وسلّم

قال الفقيه الإمام العالم العَلَم الهُمام أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن مرزوق التّلمساني رحمه الله تعالى ورضي عنه :

الحمد لله الّذي أفضل فعمّ إفضاله، وأنعم فتمّ نواله، وغفر الذّنوب فتكامل إحسانه، وستر العيوب فتواصل غفرانه. أحمده على ما منح من المِنن، وأشكره على ما وفّق إليه من اتّباع ما رضي من السّنن. وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له؛ شهادةَ من اختاره لتوحيده، وجعله من خِيار عبيده. وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله؛ سيّد الكونين، ورسول ربِّ العالمين إلى الثّقلين، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرّياته، صلاةً تُزحزح عن النّار، وتُنيل من نعيم الأبرار ما يُنال به الفوز، وتقرّ به العين.

أمّا بعد. فإنّ من نِعم الله علينا - أيّتها الأمّة المحمّدية - الّتي لا تُحصى، ومِننه علينا الّتي لا تُعدّ ولا تُستقصى؛ النّعمة الكبرى، والشّرف الزّائد على كلّ شرفٍ في الدّنيا والأخرى؛ ما خُصّصنا به من اتّباع ملّة سيّد البشر، وشفيع الخلق في الحَشر، ورافع لواء الحمد يوم العرض الأكبر؛ محمّد مُختار الله الّذي لا يُعرف حدّ ما أُوتي من الفضل الحاصل والشّرف المدّخر. نجّانا الله به من مهالك الضّلالة، وأنقذنا على يديه من

مادة محمية بموجب حقوق النشر

عمى الحيرة والجهالة. مُشفقٌ من إذايتنا، حريصٌ على سلامتنا من الآفات وهدايتنا، نقتحم في النّار، فيأخذ بحُجْزَتنا[1]، ونتباعد عن الجنّة، فيردّنا إليها بما هو كالآخذ بناصيتنا، ما ترك شيئًا يُقرّبنا من النّار إلاّ حذّرنا من قُربه، ولا شيئًا يُدنينا من الجنّة إلاّ أغرانا بتحصيله وكَسْبه، مهتمٌ بأمورنا في المحيَا والممات، مستغفرٌ للأحياء والأموات من المؤمنين والمؤمنات؛ يقول : «**أُمَّتِي.. أُمَّتِي**». حيث يقول كلّ مصطفًا : «**نَفْسِي.. نَفْسِي**». فجزاه الله عنّا أفضلَ ما جازى به نبيًّا، وآتاه الوسيلة والفضيلة والدّرجة الرّفيعة، وبعثه المقام المحمود الّذي وعده في يوم كان وَعْده مأتيًا.

ولمّا جعل الله جلّ جلاله حصولَ طاعته مقرونًا بطاعته، والاتّصاف بمحبّته مشروطًا باتّباعه ومحبّته، وأمرنا بنَصْره وتعزيره، وكلّفنا بتعظيمه وتوقيره[2]، لزمنا – لذلك، ولِما لله علينا من النّعم الّتي لا تتناهى - أنْ نصرف همّتنا لِما كلّفنا من ذلك، فبه نبلغ من الأرآب منتهاها .

وكان من هذه الأمة من كمُلت نعمة الله عليه في ذلك، فقام في إظهار ملّته؛ ببذل نفسه وأهله وماله، وسلك أنْهَجَ المسالك. ومنهم من حظّه من ذلك القيام بحفظ أحاديثه وسُننه على أمّته. ومنهم من دأبه الذبُّ عنها، والحماية ممّن أراد إدخال الدّخَل[3] في شريعته. ومنهم من

(1) الْحُجْزَة : هي مَعْقِدُ الإزار.

(2) وهذا أخذا من قوله تعالى : ﴿**لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**﴾. سورة الفتح : الآية 9.

(3) الدَخَلُ : العيب والريبةُ والفسادُ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قصُر عن تلك المقامات، فاقتصر على مدحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بذكر بعضِ البعضِ ممّا اشتمل عليه من حميد الصّفات، كلٌّ بقدر وُسعه وطاقته : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾[1]. والكلّ على نهجٍ قويمٍ وطريقٍ مستقيمٍ، وتأملُ - إن شاء الله - الحظّ الأوفى من فضل الله العميم.

وكان ممّن قام في هذا المقام الرّابع، وهو الحدّ الضّروري؛ الشّيخ الإمام الفقيه الفقير العارف المتقن الأديب النّاظم شرف الدّين أبو عبد الله محمّد بن سعيد بن حمّاد المصريّ البوصيري؛ بمدح خير العالمين وسيّد المرسلين بقصيدةٍ أظهرت صدق محبّته فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ووُدّه، وكَسَته حلّة البهاء، فسمّاها "**البُرْدَة**"، ووقعت منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الموقع التّام، واعتنى بقائلها اعتناءً؛ ظهر له من أجله في المنام، وأَسْعفه بالمطلب الّذي أعيى تحصيله جميع الأنام، وبَعدَه ما يرجو في الآخرة من الفوز بدار السّلام، فتعلّق مَنْ بَعْده - لهذا الفضل العظيم - بأذيال هذه القصيدة، فمنهم المُعارض[2] والمخمّس[3] والشّارح، كلٌّ

---

(1) سورة الطلاق : من الآية 7.

(2) المُعارضة في الشِّعر : أن يقرأ شاعر قصيدة معيّنة لشاعر آخر، فيعجب بها، ثمّ ينظم قصيدة أخرى على وزنها وقافيتها، وفي موضوعها، ويقصد من وراء ذلك إظهار براعته في النّظم، وقدرته على مسايرة الشّعراء السابقين له، والنسج على منوالهم.

(3) التّخميس في الشِّعر : هو أن يضيف الشاعر إلى البيت من شعر غيره ثلاثة أشطر، فيصبح عدد الأشطر خمسة. وممّن خمّس البُردة في عصر ابن مرزوق أو قبله : شعبان بن محمد بن داود، موصليّ الأصل، ولد بالقاهرة عام 765هـ/ 1364م، وتوفي بالقاهرة 828هـ/ 1425م. وعبد اللطيف بن أحمد الفوي، ولد بالقاهرة عام 740هـ/1339م، وتوفي بحلب عام 801هـ/1399م. وعليّ بن سالم بن عبد الناصر الغزي الشافعي

مادة محمية بموجب حقوق النشر

بقدر همّته الضّعيفة أو العتيدة. وكنتُ من المتطفّلين على الدّخول في هذه السّوق، وليس لي من البضاعة ما أحصل به منها ما إليه النّفس تتُوق، فلم أصل إلى التلذّذ ببعض ما فيها إلاّ بالنّظر، ولم أنقلب عن نيل إدراك ما أنوِيه من ذلك إلاّ بالعيّ والحصر، حتّى دعاني بعض إخواني من الأصحاب إلى التكلّم على ما في القصيدة من لُباب البديع والإعراب، فأجبته إلى ذلك؛ ووضعت فيه مجموعا؛ سمّيته "**بالاسْتِيعَاب**"، فوقع من الإخوان – لفضلهم - موقع التّعظيم والتّبجيل، فاستدعوا منّي أن أضمّ إلى ذلك التكلّم عليها بالشّرح؛ ليقع التّكميل، فاستخرتُ الله لِما أرجوه على ذلك من الثّواب - إن شاء الله تعالى - في إسعافهم، ولم أجد بدًا من امتثال ما إليه أشاروا، ولا سبيلاً إلى خلافهم، فوضعتُ عليها شرحًا؛ يذلّل من اللّفظ صِعابه، ويحطّ عن وجه المعنى نِقابه، وجعلتُ الكلام على ما أشرحه من أبياتها في سبع تراجم : **أوّلها** : الغريب؛ في شرح لغات الألفاظ المفردة، وما يتعلّق بها من التّصريف. **ثمّ** التّفسير؛ في شرح المعنى المقصود من تراكيب الجمل. **ثمّ** المعاني؛

المتوفى عام 747هـ/1346م. ومحمد بن خليل بن أبي بكر المعروف بابن القباقبي، ولد بحلب عام 777هـ/1375م، وتوفي بالقدس عام 849هـ/1445م. ومحمد بن عبد القادر الواسطي المتوفّى عام 838هـ/1434م. ومحمد بن عبد القادر بن عمر السنجاري الشيرازي الأصل. ولد بواسط بالعراق عام 757هـ/1356م، وتوفّي بمكّة عام 838هـ/1435م. ومحمد بن يعقوب بن يحيى المغربي، رحل إلى بلاد العجم. ثمّ استقر قاضيا، وتوفّي بالمدينة المنوّرة حوالي 830هـ/1427م. ويوسف بن محمد بن عبد الرحمن الباعوني المتوفى عام 880هـ/1475م. ويوسف بن موسى الجذامي المغربي من أهل رندة، صوفي مغربيّ توفي في حدود 767هـ/1365م.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

في ذكر حكم خواص الكَلِم المستعملة في ذلك التّركيب دون غيرها إفرادًا وتركيبًا. **ثمّ** البيان؛ في ذكر وجوه ذلك التّركيب من وضوح دلالته على المعنى المراد، وبيان الحقيقة منه والمجاز، وما ينخرط في سلك ذلك المعنى من ذلك الفنّ. **ثمّ** البديع؛ في ذكر وجوه ما في ذلك التّركيب من المحاسن اللّفظية والمعنويّة. **ثمّ** الإعراب؛ فأذكر منه الوجوه القويّة الظّاهرة دون غيرها، وهي ترجمة مِعينة على فهم معاني الأبيات. **ثمّ** الإشارات الصّوفية؛ أذكر منها ما يمكن أن يكون إشارةً ظاهرةً إلى المعنى المذكور.

وقصدتُ في كلّ ترجمة إلى أقلّ ما يمكن إيثارًا للاختصار، مستغنيًّا في كثير منها عن ذكر ما وقع مثله في نظيرها؛ خشية السآمة والتّكرار. وكانت هذه التّراجم سبعًا؛ رجاءً من المولى العظيم الرّحمن الرّحيم - بجاه هذا النّبيّ محمّد المصطفى الكريم عليه أفضل الصّلاة وأزكى التّسليم - أن تكون كلّ منها صارفةً عن كلّ باب من أبواب جنّهم السّبعة. وربّما أضفت إلى هذه التّراجم بإثر ترجمة التّفسير ترجمةً ثامنةً، إلاّ أنّي لم أبوّب لها؛ أذكر فيها ما يوافق المعنى الّذي قصده النّاظم من شعرٍ لغيره أو نثرٍ؛ ليكمل بذاك قصد الشّرح، ويعظم - بفضل **الله** - الأجر، والمسؤول منه - جلّ وعلا - أن يُصلح في مقاصدها السرّ والعلانية، وأن يتمّ ما فتح علينا من نعمه في هذه التّراجم؛ بأن يفتح لنا في مقابلة كلّ منها بابًا من أبواب الجنّة الثّمانية، وأن يسدّدنا لطاعته في القول والعمل، وأن يختم لنا بالسّعادة في المحيا، ويختم لنا بها عند حلول الأجل، إنّه المُنعم الكريم التوّاب الرّحيم، ذو الفضل العظيم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وسمّيتُ المجموع المذكور : بـ " **إظهار صدق المودّة في شرح البُرْدَةِ** ". والله أسأل أن يجعله خالصًا لوجهه، وأن ينفعنا به والنّاظرين فيه في الدّنيا والآخرة، إنّه وليّ ذلك والمنعم به.

وقد حصلت لي رواية القصيدة المذكورة من غير طريق، أذكرُ بعضها لمن أراد حملها عنّي : من ذلك أنّي سمعتها بقراءة الشّيخ العلاّمة المحدّث المُكثر الحافظ شهاب الدّين أبي العبّاس أحمد الرّشيدي المكّي(1) على الإمام العلاّمة الشّهير الكبير الحافظ الرحّال المحدّث الرّاوية ذي الفنون الغريبة والتآليف العجيبة مجد الدّين الفَيروزأبادي(2) - من ذرية الإمام أبي إسحاق الشّيرازي(3) - نزيل مكّة المشرّفة والطّائف، بمنزله المُشرِف على جبل الصّفا، زاد الله تلك المعالم تشريفًا، ومنّ علينا بالعودة إليها في قريبٍ، إنّه سميع مجيب.

---

(1) ينقل العلامة داود بن سليمان النقشبندي المتوفي سنة 1299هـ عن ابن مرزوق الحفيد أن ذلك السماع كان سنة 792هـ، ونسب المعلومة إلى هذا الكتاب، وأنا لم أجد هذه المعلومة في أيْ نسخة من النسخ المعتمدة. انظر كتابه "**نحت حديد الباطل وبَرده بأدلة الحقّ الذابة عن صاحب البُردة**" : ص 18.

(2) هو محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر، أبو طاهر، مجد الدين الشيرازي الفيروزآبادي (729 - 817هـ= 1329 - 1415م). من أئمة اللغة والأدب. ولد بكارزين (بكسر الراء وتفتح) من أعمال شيراز، وجال في الدنيا. ورحل إلى زبيد وسكنها، وولي قضاءها، وتوفى فيها. أشهر كتبه (القاموس المحيط). انظر الأعلام. الزركلي : 147/7.

(3) هو إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزآبادي الشيرازي، أبو إسحاق (393 - 476هـ= 1003 - 1083م). ولد في فيروزاباد (بفارس) وانتقل إلى شيراز، فقرأ على علمائها. وانصرف إلى البصرة ومنها إلى بغداد. وله تصانيف كثيرة، منها (التنبيه). مات ببغداد، وصلى عليه المقتدي العباسي. انظر الأعلام. الزركلي : 51/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وأخبرنا بها عن الإمام العلاّمة قاضي القضاة عزّ الدّين أبي عمرو عبد العزيز[1] ابن الإمام العلاّمة قاضي القضاة بدر الدّين أبي عبد الله محمّد بن جماعة الكناني المصريّ الشّافعيّ[2] عن النّاظم.

ح وحدّثني بها أيضاً إجازة عن ابن جماعة المذكور غير واحد من أشياخي الأعلام - رحمهم الله تعالى، ورضي عنهم -، منهم الأئمة الثّلاثة المصريّون حُجج الإسلام، وحاملوا راية سنّة النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، السّراجان؛ أبو حفص عمر بن رسلان بن نصير بن صالح البلقيني[3]، وعمر بن علي بن أحمد بن محمد الأنصاري الشّهير بابن

---

(1) هو عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم ابن جماعة الكناني، عز الدين (694 - 767هـ= 1294 - 1366م). قاضي القضاة. ولي قضاء الديار المصرية سنة 739هـ، وجاور بالحجاز، فمات بمكة. من كتبه (هداية السالك إلى المذاهب الأربعة في المناسك). انظر الأعلام. الزركلي : 26/4.

(2) هو محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، بدر الدين، أبو عبد الله (639 - 733م = 1241 - 1333م). قاض، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. ولد في حماة. وولي الحكم والخطابة بالقدس، ثم القضاء بمصر، فقضاء الشام، ثم قضاء مصر إلى أن شاخ وعمي. وتوفي بمصر. له تصانيف، منها (المنهل الروي في الحديث النبوي). انظر الأعلام. الزركلي : 297/5.

(3) هو عمر بن رسلان بن نصير بن صالح الكناني، العسقلاني الأصل، ثم البلقيني المصري الشافعي، أبو حفص، سراج الدين (724 - 805هـ= 1324 - 1403م). مجتهد حافظ للحديث، ولد في بلقينة (من غربية مصر) وتعلم بالقاهرة. وولي قضاء الشام سنة 769هـ، وتوفي بالقاهرة. من كتبه (التدريب) في فقه الشافعية. انظر الأعلام. الزركلي : 46/5.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الملقّن[1]، ووحيد دهره، وفريد عصره الحافظ زين الدّين أبو الفضل عبد الرّحيم بن العراقي[2]، برّد الله مثواهم، وجعل أعالي الجنان منزلهم ومأواهم.

وحدّثني بها أيضاً إجازة عن ابن جماعة المذكور[3] مولأيْ الجدّ أبو أبي محمّد بن مرزوق رحمه الله تعالى ورضي عنه[4].

---

(1) هو عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن (723 - 804هـ= 1323 - 1401م). من أكابر العلماء بالحديث والفقه وتاريخ الرجال. أصله من وادي آش (بالأندلس)، ومولده ووفاته في القاهرة. له نحو ثلاثمائة مصنف. انظر الأعلام. الزركلي : 57/5.

(2) هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن، أبو الفضل، زين الدين، المعروف بالحافظ العراقي (725 - 806هـ= 1325 - 1404م). من كبار حفاظ الحديث. أصله من الكرد، ومولده رازنان (من أعمال إربل) تحول صغيرا مع أبيه إلى مصر، فتعلم ونبغ فيها. وقام برحلة إلى الحجاز والشام وفلسطين، وعاد إلى مصر، فتوفي في القاهرة. وقد ينسبه البعض بابن العراقي (مثل ما فعل الإمام ابن مرزوق)، والصواب أنها نسبة ابنه أحمد. انظر الأعلام. الزركلي : 344/3.

(3) ينقل الإمام الثعالبي طريقا آخر غير طريق ابن جماعة من رواية الجد، وهو قوله : «وقصيدة البوصيري حدثني بها ابن مرزوق (أيْ الحفيد) عن جدّه عن أحمد بن عبد الرحيم السمربائي المصري عن ناظمها». انظر كتابه "**غنيمة الوافد وبغية الطالب الماجد**" : ص 63.

(4) هو محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، أبو عبد الله، المعروف بالخطيب. (710 - 781هـ= 1311 - 1380م). رحل إلى المشرق سنة 718هـ مع والده، وأقام بمصر مدّة، وعاد إلى تلمسان سنة 733هـ. وتقلبت به الأحوال حتّى استولى على تلمسان من لا يطيق الإقامة معه، فرحل إلى القاهرة، فاتصل بالسلطان الأشرف، فولاه مناصب علمية استمر قائما بها إلى أن توفي. انظر تعريف الخلف برجال السلف. الحفناوي :141/1 وما بعدها.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ح وحدّثني بها أيضاً إجازة أبي أحمد رحمه الله تعالى[1] وعمّي أبو الطّاهر محمد حفظه الله تعالى عن والدهما محمّد المذكور بأسانيده فيها، وهي كثيرة.

ح وحدّثني بها أيضاً إجازة الإمام العلاّمة النّحوي آخر النّحاة بالدّيار المصريّة شمس الدّين أبو عبد الله محمّد الغماريّ[2] عن أبي حيّان[3] عن الناظم.

ح وحدّثني بها أيضاً إجازة الشيخ الفقيه الإمام الأستاذ النّحويّ اللّغويّ الأعرف الحافظ المتفنّن الرّاوية الصّالح العارف أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عبد الرّحمن الأزدي التّونسيّ الشّهير بالقصّار رحمه

---

(1) هو أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العَجيسي التلمساني، أبو العباس، المعروف بابن الخطيب. (توفي قبل 806هـ = 1404م). الشيخ الفقه العالم. انظر البستان. ابن أبي مريم : ص 202.

(2) هو محمد بن محمد بن علي بن عبد الرزاق الشمس أبو عبد الله الغماري ثم المصريّ المالكيّ النحويّ (720 - 802هـ). لازم أبا حيان حتّى أخذ عنه العربية. كان أحفظ الناس لشواهد العربية وأحسنهم كلاماً عليها، وتصدّى للإقراء دهراً، واستقر بآخرة في مشيخة القراء بالشيخونية، وأخذ عنه الأكابر، وتخرج به خلق، وصار شيخ النحاة بدون مدافع. انظر الضوء اللامع. السخاوي : 149/9.

(3) هو محمد بن يوسف بن على بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي الجيّانى، النفزي، أثير الدين، أبو حيان (654 - 745هـ= 1256 - 1344م). من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في إحدى جهات غرناطة، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفى فيها، بعد أن كفّ بصره. من كتبه (البحر المحيط). انظر الأعلام. الزركلي : 152/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الله تعالى[1]، وله على القصيدة المذكورة تعليق ذكر فيه نبذًا من اللّغة والإعراب، عن الشّيخ الفقيه المحدّث الرحّال أبي عبد الله محمّد بن جابر القيسيّ الوادي آشي[2] بحق سماعه لها عن الشّيخ الصّوفي جمال الدّين أبي عبد الله محمّد بن فخر الدّين أبي عمرو عثمان بن محمّد التّوزريّ[3] بحق سماعه لها من ناظمها.

❁ ❁ ❁

(1) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن القصار الأزدي، التونسي. (كان حيًّا بعد 790هـ) (1388م). نحوي مشارك. من تصانيفه : مختصر على البردة، وشرح شواهد المقرب. انظر معجم المؤلفين. رضا كحالة : 117/2.

(2) هو محمد بن جابر بن محمد بن قاسم القيسي، شمس الدين، أبو عبد الله الوادي آشي (673 - 749هـ= 1274 - 1338م). شاعر أندلسي، رحال، عالم بالحديث. أصله من وادي آش، ومولده ووفاته بتونس. وهو من مشايخ لسان الدين ابن الخطيب وعبد الرحمن ابن خلدون. له (ديوان شعر). انظر الأعلام. الزركلي : 68/6.

(3) هو محمد بن عثمان بن محمد بن عثمان التوزرى جمال الدين أبو البركات بن الشيخ فخر الدين (662 – 720هـ). كان خيرا حسن الأخلاق، محبًّا في أهل الحديث، يتكسب بالشهادة، وكان يعرف بعض مسموعاته. وسكن القاهرة بعد موت أبيه. انظر الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. ابن حجر العسقلاني : 293/5.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أمِـنْ تَـذَكّرِ جِيـرَانٍ بِـذِي سَـلَمِ   مَزَجْـتَ دَمعًا جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ
أَمْ هَبَّتِ الرّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ كَاظِمَةٍ   وَأَوْمَضَ البَرْقُ فِي الظَّلْمَاءِ مِن إِضَمِ

شَرْحُ الغَرِيْبِ

التّذكّر : مصدر تذكّر؛ تفعّل من الذّكر، وله معانٍ، وهو هنا ضدّ النّسيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥ﴾[1]. وفُسّر بالحفظ أيضاً؛ لأنّه ضدّ النّسيان، ويُقال: ذِكْرٌ وذِكْرَى - غير مُنَوّن - وذُكْرَة. وليكن هذا على ذِكْرٍ منك - بكسر الذّال وضمّها -؛ أيْ لا تَنسَه. وذَكَرْتُ الشّيءَ بعد النِسْيانِ، وذَكَرْتُهُ بلساني؛ أيْ نطقتُ به، وبقلبي. وتذكَّرْتُهُ، وأَذْكَرْتُهُ، وذَكَّرته بمعنىً. ومنه ﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾[2]؛ أيْ ذكره بعد نسيانٍ، كذا فسّره الجوهريّ[3]، وأصله اذْتَكَرَ؛ أُبدلت التّاء دالا، وأُدغمت فيها الدّال بعد إهمالها. ومنهم من يعجم المُبدلة من التّاء، ويُدغم، والأوّل الأكثر[4].

---

(1) سورة الكهف : من الآية 63.
(2) سورة يوسف : من الآية 45.
(3) هو إسماعيل بن حماد الجوهري، أبو نصر (.. - 393هـ= .. - 1003م) : أوّل من حاول (الطيران) ومات في سبيله. لغوي، من الأئمة. وخطه يذكر مع خط ابن مقلة. أشهر كتبه (الصحاح). أصله من فاراب، ودخل العراق صغيرًا، وسافر إلى الحجاز فطاف البادية، وعاد إلى خراسان، ثم أقام في نيسابور. انظر الأعلام. الزركلي : 313/1.
(4) انظر الصحاح. الجوهري : 664/2. مادة ذكر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ويُطلق التذكّر أيضاً، ويُراد به: تردّد الفكر الّذي محلّه البَطن الأوسط من الدّماغ؛ الّذي هو محلّ القوى المفكرة، وهو المسمّى بالدّودة عند الحكماء[1].

لكن هذا التردّد إن كان لاستحصال ما لم يحصل سُمّي نظرًا، وعنه ينشأ العلم بالمجهول، الّذي يحصل بعدُ في البَطن المؤخّر؛ محلّ القوى الحافظة، على الخلاف في كيفية نَشْئِه عنه، ليس هذا محلّ بيانه، وإن كان التردّد لتذكّر ما نُسي؛ ممّا جُعل في الحافظة سُمّى تَذكّرا، والأوّل عند المعتزلة يولّد العلم دون الثّاني[2].

ويحتمل "تَفَعَّلَ" - المذكور مصدره في البيت من المعاني - أن يكون مطاوع "فَعَّلَ"؛ كعلّمته فتعلّم؛ أيْ ذكّرتُ فتذكّرت. أو التكلّف؛ كتصبّر. ولا يخفى بيانه في التّفسير. أو الصّيرورة؛ كأيّمَت المرأةُ :

(1) القوى عند الحكماء – قديمًا - ثلاث : خيال؛ آلته البطن المقدم، وفكر؛ آلته البطن الوسط المسمى بالدّودة، وذكر؛ آلته البطن الأخير. انظر شرح نصير الدين الطوسي على الإشارات والتنبيهات لابن سينا : 354/3.

(2) مذهب المعتزلة حصول العلم بعد النظر بالتوليد، وذلك أنهم لمّا أثبتوا لبعض الحوادث مؤثرا غير الله تعالى، قالوا الفعل الصادر عنه إمّا بالمباشرة وإمّا بالتوليد، ومعنى التوليد عندهم : أن يوجب فعل لفاعله فعلاً آخر؛ كحركة اليد والمفتاح، فإن حركة اليد أوجبت لفاعلها حركة المفتاح، فكلتاهما صادرتان عنه، الأولى بالمباشرة، والثانية بالتوليد، والنظرُ فعل للعبد واقعٌ بمباشرته؛ أيْ بلا توسط فعل آخر منه يتولد منه فعل آخر هو العلم بالمنظور فيه. انظر المواقف. الإيجي : 143/1

مادة محمية بموجب حقوق النشر

صارت أيّمًا. أو الاتّخاد؛ كتبنّيتُ الصبيّ. أو مُواصلة العمل في مُهلة؛ كتفهّم . أو موافقة المجرّد؛ كتعدَّى الشّيء، وعَدَاه : جَاوزه[1].

وذكر بعضهم أنّه يحتمل أن يكون للتّكثير[2].

ولم أرَ من معاني "تَفَعَّل" التّكثير، إلاّ أنّهم نصّوا[3] أنّه يكون لموافقة "فَعَّل"، ومن معانيه التّكثير، وهو لائق هنا.

والجيران : فِعْلان - بكسر الفاء وسكون العين - جَمْع جَار، وهو جمع كثرة شائع في المعتلّ العين، كنارٍ ونيران، وقاعٍ وقيعان. وقد جُمع على جِيرَة، وأصل الياء فيه الواو، إلاّ أنّها سُكّنت بعدَ كسرة، فقُلبت ياءً، وهو قياسها؛ كمِيزان ومِيعاد؛ من الوَزن والوَعد. وأصل جَار جَوْر؛ قُلبت الواو ألفًا؛ لتحرّكها بعد فتحة، وهو من: قَرُبَت داره من دارك. هذا معناه هنا.

---

(1) انظر معاني "تفعّل" في الشافية في علم التصريف. جمال الدين الدويني : ص 23.

(2) وممّن ذكر ذلك أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي. انظر كتابه اللباب في علل البناء والإعراب : 271/2.

(3) يقصد ابن مالك. انظر كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ص 198.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ابن مرزوق يبين منهجه في شرح الغريب]

ولا يُتصدّى في هذا الشّرح لبيان ما يقع عليه اللّفظ المُشترك من معانيه إلاّ لِما يليق بالبيت خاصّةً؛ خشية السآمة.

وتقول : جاوَرْتُهُ مُجَاوَرَةً وجِواراً؛ بكسر الجيم - وهو الأفصح - وبضمّها. وتَجَاوَرَ القومُ واجْتَوَرُوا، صحّت الواو؛ لأنّها في معنى تَجَاوروا؛ الّذي لا يصحّ فيه الإعلال؛ لسُكون ما قبله، ومن هذا قيل للاعتكاف في المسجد مُجاوَرَةُ[1].

وذو سَلَم : موضع بين مكّة والمدينة؛ قَريب من قُدَيْد.

والمزج : الخَلط، ومزجتُ : خلطتُ. وقيل[2] : «الخلط أعمّ»؛ لأنّه يكون فيما لا يصير بعد الخلط حقيقة واحدة؛ كخلط الدّراهم بالدّنانير، بخلاف المَزج.

والدّمع : بَينَه وبَين واحدِه إسقاط التّاء، فهو اسم جنسٍ، وواحدُه دَمعةٌ؛ وهو الماء السائل مِن العين مع البكاء أو غيره، والمُراد به هنا ما يخرج مع البكاء؛ أيْ بكيتُ فمَزَجتُ، إلاّ أنّه عبّر هنا بالمُسبَّب وأراد السّبب؛ لأنّ جريان الدّمع من المقلة سببه غالبًا البكاء.

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 617/2. مادة جور.

(2) من القائلين بذلك الراغب الأصفهاني. انظر كتابه المفردات : ص 293.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الدّمع]

والدّمعُ ماءٌ مالحٌ يخرج مِن العين، فإن كان لفرحٍ كان باردًا، وإن كان لحزنٍ كان سُخْناً، وسببه مضاعفة الحرارة الغريزيّة بالحرارة الغريبة الّتي تحدث بحركة النّفس الشّديدة عند الفرح أو الحزن، إلاّ أنها مع الحزن أقوى، فلِذا يخرج سُخْناً كالماء الشّديد الحرارة إذا فارق النّار القويّة، لا يبرد إلاّ بعد حين، فإن كانت الحرارة ضعيفةً بنفس مفارقتها، عاد إلى أصله من البرد، كالماء الّذي يكون على نار ليّنة، يبرد من ساعته إن فارقها، ولِذا لا يجري الدّمع غالبًا إلاّ مع الحزن، لأنّ الحرارة الحادثة بحزنٍ أو غيره يفرّ أمامها مُضادّها من الماء، وهي الرّطوبات المائية الّتي تكون من برد الدماغ، فتندفع أمام الحرارة، فتنزل من الرأس، وهو الدّمع، وقَلَّ خروجه مع الفرح؛ لأنّ النّفس تنبسط معه، فتتبدّد الحرارة على الجسد، فيضعف فعلها، وكثر مع الحزن؛ لأنّ النّفس تنقبض، فتخرج الحرارة على صوب واحد، فتفرّ الرّطوبات المائية أمامها، فإذا فرغت خرج الدّم؛ لأنّه أقرب من غيره لعمومه الأعضاء، وسريانه في سائر العروق، كما يفرّ الماء الكائن على النّار، ولذا تراه يطلب الصعود، لولا أنّ مركزه يطلبه(1).

---

(1) انظر تعريف الدمع في النفحات الشاذلية في شرح البُردة البوصرية. الحمزاوي : 340/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ترتيب البكاء]

وترتيب البكاء؛ إن تهيّأ الرّجل له، قيل : أَجْهَش. فإن امتلأت عينُه دموعًا، قيل : اغْرَوْرَقَت وتَرَقْرَقَت. فإنْ سالت، قيل : دَمَعَتْ وهَمَعَتْ، فإذا حَكَت دموعها المطر، قيل : هَمَت، فإن بكى بصوت، قيل : نحَبَ ونَشَج، فإذا صاح، قيل : أَعْوَلَ(1).

وقال الجوهري : «دَمَعَتِ العينُ، تَدْمَعُ - بفتح عين الماضي وكسرِها - لغة حكاها أبو عبيدة(2). والدُّماع بالضمّ : ماء العين من علّة أو كِبر، ليس الدّمع. قال الرّاجز :

يا مَنْ لِعَينٍ لا تَني تَهْماعَا قد تَرَكَ الدَمْعُ بها دُماعا»(3)

والمُقلة : شَحْمة العين الّتي تجمع السّواد والبياض، وفي المقلة الحَدَقَة؛ وهي السّواد الّذي في وسط العين، وجمعه حَدَقٌ وحِداقٌ. وفي الحدقة النّاظر والإنسان، وهو موضع البصر منها الّذي تراه كأنّه صورة، وليس بخلق مخلوق(4).

---

(1) انظر ترتيب البكاء في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 64/2.

(2) هو معمر بن المثنى التيمي بالولاء (110 - 209هـ= 728 - 824م) البصري، أبو عبيدة النحوي: من أئمة العلم بالأدب واللغة. مولده ووفاته في البصرة. استقدمه هارون الرشيد إلى بغداد سنة 188هـ، وقرأ عليه أشياء من كتبه. له نحو 200 مؤلف، منها (نقائض جرير والفرزدق) و (مجاز القرآن) جزآن. انظر الأعلام. الزركلي : 272/7.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1209/3. مادة دمع. ولم أقف على اسم الرّاجز.

(4) انظر أدب الكاتب. ابن قتيبة : ص 146.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الإبصار]

والعين كالمرآة، إذا استقبلها شخص رأيتَ شخصَه فيها؛ لشدّة صفاء النّاظر، والنّاظر أيضاً عِرقان في العَينين يسقيان الأنف، كلّ واحد ناظر، وأمّا طبقات العَين السّبع من الجلديّة وغيرها، فبيان ذلك في علم التّشريح، وليس مِن غرضنا هنا، كما أنّ بيان سبب الإبصار من عادة يخلقها الله تعالى، أو انبعاث أشعّة محلّه العلوم الحِكميّة والكلام[1].

---

(1) انظر على سبيل المثال مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة. ابن قيم الجوزية : 189/1.
أقول : لا حظ معي كيف قدم الاحتمال الأول، والّذي يعني أنّه يميل إلى أنّ الإبصار ينشأ من انعكاس الصّور في العين وليس من انبعاث أشعّة منها.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الدم]

والدّم : معروف، وهو أحد الأمشاج الأربعة الّتي خلق منها الجسم[1]، وهو حار رطب، ومنشأه من الكبد، وينفذ في عروقها إلى الجسد وبعضه في القلب. وأصله دَمَوٌ بالتّحريك، حُذفت لامه على غير قياس، وقُلبت الواو ياءً في دَميَ يَدْمى لأجل الكسرة؛ كرَضيَ، وثنّاه بعض العرب : دَمَوانِ. وقال سيبويه[2] : «أصله دمى بالتّسكين، ولذا جُمع دِماء ودِمَى، كظِبى وظِباء، ودِلاء ودِلَى، ولو كان كـ "عصا" لما جُمع كذلك». وقال المبرّد[3] : «هو بالتّحريك، وجَمعه مُخالف لنظائره، ولاَمه ياء، ولذا ثُني: دَمَيَان». وتصغيره دُمَيٌّ، والنّسْب إليه دَميٌّ ودَمَويٌّ، ويُقال : دَميَ يَدْمَى دَمًا، بتحريك المصدر اتّفاقًا، وإنّما الخلاف في الاسم، ودُمِيًّا فهو دَمٍ[4].

وهبّت الرّيح هبوبًا وهَبِيبًا : هاجت. قال الجوهري : «والهَبوبَةُ : الرّيح الّتي تثير الغبرة، وكذلك الهَبوب والهَبيبُ»[5].

---

(1) الأمشاج الأربعة - كما قال ابن سينا - هي : البلغم، و الدم، و المرّة الصفراء، و المرّة السوداء. انظر شرح ابن رشد على أرجوزة ابن سينا في الطب : ص 38.

(2) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (148 - 180هـ= 765 - 796م). إمام النحاة، وأول من بسط علم النّحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدم البصرة، فلزم الخليل بن أحمد ففاقه. وصنف كتابه المسمى "كتاب سيبويه" في النحو. انظر الأعلام. الزركلي : 81/5.

(3) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (210 - 286هـ = 826 - 899م) . إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار. مولده بالبصرة ووفاته ببغداد. من كتبه (الكامل). انظر الأعلام. الزركلي : 144/7.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 2340/6. مادة دما.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 236/1. مادة هبب.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[أسماء الرّيح بحسب الهبوب]

وللرّيح تقاسيم تختلف أسماؤها بحسبها[1]، يطول ذكرها، لكن أسماؤها بحسب الهبوب خاصّة : إن هبّت من جهات مختلفة فهي المتناوحة، ومن الأرض نحو السّماء كالعمود فهي الإعصار، وبالغَبرة فهي الهَبويّة. وتقدّم قول الجوهري فيها.

وأصل الرّيح روح؛ بدليل جمعها على أَرْوَاح، وأمّا رياح؛ فالياء بدلٌ من الواو؛ لكسر ما قبلها، كما في المُفرد. والرّيح مؤنّثة.

---

(1) أسماء الرياح اللغوية هي : إذا وقعت الريح بين ريحين، فهي النّكباء. فإذا وقعت بين الجنوب والصّبا، فهي الحربياء. فإذا هبت من جهات مختلفة، فهي المتناوحة. فإذا كانت لينة، فهي الريدانة. فإذا جاءت بنفس ضعيف وروح، فهي النسيم. فإذا كان لها حنين كحنين الإبل، فهي الحنون. فإذا ابتدأت بشدّة، فهي العاصف، والسيهوج. فإذا كانت شديدة ولها زفزفة – وهي الصوت – فهي الزفزافة. فإذا اشتدّت حتّى تقلع الخيام، فهي الهجوم. فإذا حرّكت الأغصان تحريكاً شديداً أو قلعت الأشجار، فهي الزعزاع، والزعزعان، والزعزع، فإذا جاءت بالحصباء، فهي الحاصبة. فإذا درجت حتّى ترى لها ذيلاً كالرسن في الرمل، فهي الدَّروج. فإذا كانت شديدة المرور، فهي النؤوج. فإذا كانت سريعة، فهي المجفل، والجافلة. فإذا هبت من الأرض كالعمود نحو السّماء، فهي الإعصار. فإذا هبت بالغَبرة، فهي الهبَوة. فإذا حملت المور وجرّت الذيل، فهي الهوجاء. فإذا كانت باردة فهي الحرجف، والصرصر، والعرية. فإذا كان مع بردها ندىً، فهي البليل. فإذا كانت حارةً، فهي الحرور، والسّموم. فإذا كانت حارّة وأتت من قبل اليمن، فهي الهيف. فإذا كانت باردة شديدة تخرق البيوت، فهي الخريق. فإذا ضعفت وجرت فُوَيق الأرض، فهي المسفسة. فإذا لم تلقّح شجرًا، ولم تحمل مطرًا، فهي العقيم. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 93/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الرّيح]

والقول بأنّ حقيقتها: «اضطراب الهواء وأجسام أُخَر مخلوقة مخزونة في خزائنها الّتي جعلها الله فيها». وعليها خَزَنة الملائكة، لِما ورد في الآثار[1] أنّها تخرج بمقدار، إلاّ في الوقت الّذي أهلك الله فيه عادًا، فإنّها عَتَت على الخزَنَة، فخرجت من مقدار الخاتم، ولو خرجت من مقدار مِنخر ثور لأهلكت الدّنيا. كلّ ذلك مقرّر في غير هذا. ويدلّ على الثّاني قوله تعالى في وصف ريحهم: ﴿عَاتِيَةٍ﴾[2]. ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ..﴾ الآية[3].

وتِلْقَاءَ: قال الجوهري في "جَلَس تِلْقَاءَه": «أيْ حِذَاءَه»[4].

والمعنى في البيت: مِن قُرب، أو مِن ناحية.

كَاظِمَة: موضعٌ؛ قاله الجوهري[5]. وقال غيره: اسم ماء.

---

(1) أخرج إسحق بن بشر وابن عساكر من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: لما أوحى الله إلى العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم، فخرجت بغير كيل على قدر مِنخر ثور، حتّى رجفت الأرض ما بين المشرق والمغرب، فقال الخزّان: «ربّ لن نطيقها، ولو خرجت على حالها لأهلكت ما بين مشارق الأرض ومغاربها». فأوحى الله إليها: أنْ ارجعي. فرجعت، فخرجت على قدر خَرق الخاتم. انظر الدر المنثور في التفسير بالمأثور. السيوطي: 487/3.

(2) سورة الحاقة: من الآية 6.

(3) سورة الحجر: من الآية 21. والآية بتمامها: ﴿**وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ**﴾.

(4) انظر الصحاح. الجوهري: 2484/6. مادة لقي.

(5) انظر الصحاح. الجوهري: 2023/5. مادة كظم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قال الأصمعي[1] : «تخرج من البصرة إلى كاظمة، فتسير ثلاثًا، وهي طريق المَنكدر المُريد مكّة». وماء كاظمة ملح صلب يصلح عليه الحديد[2]. وكاظمة من مياه بني شيبان[3].

ورأيت - ولا أتحقّق الآن محلّه[4] – أنّ كاظمة موضعٌ بقرب المدينة المشرّفة - على ساكنها أفضل الصّلاة وأزكى السّلام -، وهذا أنسب هنا.

أومض البرق : إيماضاً؛ لَمَع لَمْعاً خفياً، وكذا وَمَض يَمِضُ وَمْضاً ووَميضاً ووَمَضاناً، وهذا إن لم يعترض في نواحي الغيم، فإن اعترض فيها، ولمع، فهو الخَفو، فإن استطال في وسط السماء، وشقّ الغيم، ولم يعترض يمينًا ولا شمالاً؛ فهو العقيقة[5].

وله أيضاً أسماء كثيرة بحسب صفاته.

---

(1) هو عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي (122 - 216هـ= 740 - 831م) راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. نسبته إلى جده أصمع. ومولده ووفاته في البصرة. وتصانيفه كثيرة، منها "الإبل" و"خلق الإنسان" و"المترادف". انظر الأعلام. الزركلي : 162/4.

(2) نقله البكري الأندلسي عن يعقوب..

(3) انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. أبو عبيد الأندلسي : 1110/4.

(4) لعله يقصد ما رواه الطبري عن سعد بن إياس أنه قال : «بعِث النبي – صلى الله عليه وسلم – وأنا أرعى إبلًا لأهلي بكاظمة». وسعد بن إياس من الأنصار من سكان المدينة. انظر معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. أبو عبيد الأندلسي : 1110/4.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 1113/3. مادة ومض.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة البرق]

وحقيقته : «نار تحدث عند اصطكاك أجرام الهواء، فيحدث عند ذلك نار؛ هو البرق، ولذلك أكثر ما يكون عند انتقال الزّمان من البرد إلى الحرّ، أو العكس، فيأتي البرد فيصادف الهواء حارًا، أو بالعكس، فيحدث أصوات الرّعد من تلك الأصوات، وتكون النّيران لشدّة الاصطكاك». وهذا على أصول الحكماء وأهل الهيئة. وأمّا السنّيون فيقولون : «إنّ الرّعد ملَك. وقيل : صوتُ ملَك يزجر السّحاب إلى الجهات الّتي يريد الله سبحانه وتعالى، والبرق سوطه. واختلفوا في مقدار جُرم ذلك المَلَك بما يتوقّف نقله على خبر صحيح»، والله تعالى أعلم[1].

والظَلْماءُ : الظُلْمَة، وهي خِلاف النّور - بضمّ الظّاء مع ضمّ اللاّم وفتحها[2] - والجمع ظُلم وظلمات - بضمّ اللاّم وفتحها وسكونها -. وأمّا الّتي في البيت فبفتح الظّاء، وقياس جمعها ظُلْم؛ كحمراء وحمر، إلاّ أنّه ورد الجمع بفتح اللاّم على غير القياس، وربّما وصفوا بها؛ فقالوا : ليلةٌ ظَلْمَاءُ. والظّلام : أوّل اللّيل. وظلِم اللّيل - بكسر اللاّم - وأَظْلم بمعنًى، وأظْلَمَ القوم : دخلوا في الظّلام؛ ومنه : ﴿ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴾[3] [4].

---

(1) انظر النص في الكليات. أبو البقاء الكفوي : ص 246.

(2) أيْ هذا الضبط لغة في الظُّلْمَة.

(3) سورة يّس : من الآية 37

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 1978/5. مادة ظلم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الظلمة والضّوء]

واختُلف في الظّلمة؛ فقيل : عدم الضّوء، فالتّقابل بين الضّوء والظّلمة تقابل العدم والملكة، وقيل : عَرَض. كما اختُلِف في الضّوء أيضاً. وبعضهم لم يحكِ خلافا في الضّوء - إن كان هو النّور – أنّه جسم[1].

وإِضَم : بكسر الهمزة؛ جبل[2]. وقال غير الجوهري : وادٍ دون المدينة[3]. وقيل : «جَبَلٌ لأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ»[4].

---

(1) انظر الكليات. أبو البقاء الكفوي : ص 595.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1862/5. مادة أضم.

(3) قال ابنُ السِّكِّيت : إِضَمٌ : وادٍ يَشُقُّ الحِجازَ حتّى يُفْرِغَ في البَحْرِ. وأَعْلَى إِضَم : القَناةُ التي تَمُرُّ دُوَيْنَ المدينة. انظر تاج العروس من جواهر القاموس. مرتضى الزَّبيدي : 219/31.

(4) الذي وقفت عليه أنّه وادٍ لأَشْجَعَ وَجُهَيْنَةَ. انظر تاج العروس. مرتضى الزَّبيدي : 219/31.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التَّفْسِيرُ

[تساؤل الناظم عن سبب بكائه]

معنى البيتين : أنّ النّاظم نزّل نفسه منزلة مخاطَب يخاطبُه لمّا رآه باكيًا؛ قد امتزج دمع عينه بالدّم، فاستفهمه عن سبب بكائه على الوجه المذكور : أهُوَ من أجل تذكّر جيران كانوا بذي سَلَم؟ أو جاوروك بذي سَلَم؟ أو هو مِن أجل أنْ هبّت الرّيح من ناحية كاظمة؟ أو من أجل أنْ لمع البرق خفيًّا في الظّلام من ناحية إضَم، فذكّراك أحبابك من أهل الموضعين؛ أعني : كاظمة وإضَمًا؛ لأنّ البكاء من أجل الحبيب، إمّا عند تذكّره وإن حضر، وإمّا لمفارقته، وليس البكاء من أجل المكان مجرّدًا، فالسرّ في السكّان، لا في المنزل، نعم إن بكى المنزلَ؛ فمن أجل ساكنه؛ قال[1] :

أَمُرُّ عَلى الدِّيارِ، دِيارِ لَيْلى   أُقَبِّلُ ذا الجِدارَ وذَا الجِدارا
وما حُب الدِّيارِ شَغَفْنَ قَلْبي   وَلكِنْ حُب مَنْ سَكَنَ الدِّيارا

وقال آخر[2] :

أُحِب الأَرْضَ تَسْكُنُهَا سُلَيْمَى   وَإِنْ كَانَتْ تَوَارَثَهَا الجُدُوبُ
وَمَا دَهْرِي بِحُب تُرَاب أَرْضٍ   وَلَكِنْ مَنْ يَحِلُّ بِهَا حَبِيبُ[3]

---

(1) القائل هو مجنون بني عامر عاشق ليلى، والبيتان اثنان لا ثالث لهما. انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم. نور الدين اليوسي : 76/3.

(2) القائل هو أبو النصر الأسديّ. انظر رسائل الجاحظ. عمرو بن بحر، الشهير بالجاحظ : 399/2. والجدوب ضد القحط.

(3) البيتان وردا فقط في نسخة الزاوية العثمانية.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال أبو الوفاء[1] :

أَحِـنُّ إلَـى بَغْـدَادَ شَـوْقًا وَإنَّمَـا أَحِـنُّ إلَـى إلْـفٍ بِهَـا لـي شَـائِقِ
مُقِيمٌ بِأَرْضٍ سِرْتُ[2] عَنْهَا وبدعَة إقَامَـةُ مَعْشُـوقٍ وَرِحْلَـةُ عَاشِـقِ[3]

وفي "**النّوادر**"[4] أنشد أحمد بن يحيى[5] :

أَمِـنْ أَجْلِ دَارٍ بَيْنَ لَـوْذَانَ[6] فَالنَّقَا غَـدَاةَ اللِّـوَى[7] عَيْنَـاكَ تَبْتَـدِرَانِ
فَقُلْـتُ أَلاَ لاَ بَـلْ قَـذِيتُ وَإنَّمَـا قَذَى العَيْنِ لي مَا هيَّجَ الطَّلَلانِ

في أبيات هذا هو المعنى الصّحيح.

ويدلّ على أنّه خاطب نفسه قوله بعد هذا : "نَعَم سَرى طَيفُ مَن أهوَى فأَرَّقَنِي"، إلى قولـه : "ظَلمتُ سُنَّةَ.." وقولـه : "أستَغفرُ اللهَ.."؛ فهو

---

(1) لم أقف على ترجمته.

(2) وتروي "غِبت" بدل سرت.

(3) ينسب البيتان للوزير المهلبي. انظر مستدركات أعيان الشيعة. حسن الأمين : 98/2.

(4) كتاب النوادر هو المعروف بأمالي القالي، والأبيات فيه. انظر الأمالي : 32/2.

(5) البيتان من شعر لابن الدُّمَيْنَة.

وأحمد بن يحيى هو النّحويّ أبو العباس الشيباني (200 – 291هـ). إمام الكوفيين في عصره لغةً ونحوًا وصاحب الفصيح، وثعلب لقب له. وكان حافظًا لمذاهب العراقيين، وكان متقدمًا في صناعته، ورعًا عن المكاسب الخبيثة. انظر وفيات الأعيان. ابن خلكان : 102/1.

(6) اللَّوْذَانُ من الشَّيْءِ : ناحِيَتُهُ، كاللَّوْذِ. يقال : هو بِلَوْذِ كذا أَيْ بِنَاحِيَةِ كَذَا.

(7) اللوى موضع.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

على هذا في مخاطبة نفسه؛ كقول المتنبّي[1] : "لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْدِيهَا وَلا مالُ.."؛ فإنّه خاطب نفسه؛ بدليل قوله بعدُ : "وَإنْ تكُنْ مُحْكَمَاتُ الشّكلِ تَمنَعُنِي.." وما بعده، وكقول امرئ القيس[2] : "تَطَاوَلَ لَيْلُكَ.." الأبيات. لقوله بعدُ : "وذلكَ من نَبَأٍ جَاءَنِي..". وقول علقمة بن عَبَدَة[3] : "طَحَا بكَ قَلب في الحِسان طروبُ.."؛ لقوله بعدُ : "تُكلِّفُنِي.." وهو كثير.

ويحتمل أن يكون النّاظم مثّل إنسانا بصفة ما ذُكر، فخاطبه. قال بعضهم : «وهذا المعنى لا تكلّف فيه، بخلاف الأوّل».

قلت : والصّواب العكس عند من غُذّي بلبان الأدب، وارتشف الصَّرَبَ[4] من لسان العرب، لعوده إلى الإخبار عن نفسه كما تقدّم. إلاّ أن يقول : إنّه على حذف القول؛ أيْ قال - أيْ المخاطَب - :

---

(1) هو أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي (303 - 354هـ= 915 - 965م). الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العربي. له الأمثال السائرة والحكم البالغة. ولد بالكوفة في محلة تسمى (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، ثم تنقل في البادية يطلب الأدب. قتل في الجانب الغربي من سواد بغداد. انظر الأعلام. الزركلي : 115/1.

(2) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي (نحو 130 - 80 ق هـ= نحو 497 - 545م). يماني الأصل. مولده بنجد، أو بمخلاف السكاسك باليمن. أشتهر بلقبه، واختلف المؤرخون في اسمه، فقيل حندج وقيل مليكة وقيل عدي. وكان أبوه ملك أسد وغطفان. انظر الأعلام. الزركلي : 11/2.

(3) هو علقمة الفحل (.. - نحو 20 ق هـ= .. - نحو 603م) علقمة بن عبدة (بفتح العين والباء) بن ناشرة بن قيس، من بني تميم، شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كان معاصرا لامرئ القيس، وله معه مساجلات. وأسر "الحارث ابن أبي شمر الغساني" أخا له اسمه "شأس" فشفع به علقمة، ومدح الحارث بأبيات، فأطلقه. انظر الأعلام. الزركلي : 247/4.

(4) الصَّرْبُ : في أصل الوضع اللّغوي هو اللَّبَنُ الحَقِينُ الحَامِضُ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

"نَعَم سَرَى.."، وفيه من التكلّف والخروج عن المَهْيَع[1] ما لا يخفى. ثمّ محصول هذا الوجه الرّجوع إلى الأوّل، فإنّ هذا المخاطَب ليس يعني به إلاّ نفسه لا شخصًا آخر غيره، وإلاّ فات المقصود. وفي قوله: "مَزَجْتَ.." على هذا "التفاتٌ".

(1) المَهْيَعُ : هو الصَّوابُ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الالتفات]

وحقيقة هذا اللقب سواء جُعل مِن علم المعاني أو مِن علم البديع: «نَقْلُ كُلّ مِنَ التَّكَلُّمِ أَوْ الخِطَابِ أَوْ الغَيْبَةِ إلَى آخَرَ مِنْهَا». سواء نُقل بعد ذكره، أو كان مقتضى الظاهر ذكره، فعَدَل عنه إلى غيره؛ هذا رأيْ السّكاكي[1].

وهو عند الجمهور : «نَقْل ما ذُكر مِن الثّلاثة إلى آخر منها»[2]. وما عبّر به أوّلا فليس بِالْتفات، ولو اقتضى المقام غيره، فكلّ التفات عندهم التفاتٌ عند السّكاكي، ولا عكس، ففي قول امرئ القيس[3] :

تَطَاوَلَ لَيْلُكَ بالأثْمُدِ[4] و نَامَ الخَلُيُّ[5]، وَلَمْ تَرْقُدِ
وَباتَ وَباتَتْ لَهُ لَيْلَة كَلَيْلَةِ ذِي العائِرِ[6]، الأرْمَدِ
وذلكَ مِن نَبَأٍ جاءني وَخُبِّرْتُهُ عَنْ أبي الأسْوَدِ

---

(1) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب، سراج الدين (555 - 626هـ= 1160 - 1229م). عالم بالعربية والأدب. مولده ووفاته بخوارزم. من كتبه "مفتاح العلوم" و "رسالة في علم المناظرة". انظر الأعلام. الزركلي : 222/8.

وانظر تعريفه للالتفات في الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني : ص 72.

(2) انظر تعريف الجمهور للالتفات في الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني : ص 72.

(3) انظر الأبيات في نهاية الأرب في فنون الأدب. للنويري : 117/7.

(4) الإثمد : اسم موضع.

(5) الخلي : الخالي من الهموم.

(6) العائر : الوجع في العين.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ثلاثة التفاتات عند السّكاكي، واثنان عند الجمهور؛ أوّلها على الأوّل : "ليلُك"؛ فإنّ مقتضى الظّاهر "ليلِي"، وعلى الثّاني : "جاءني".

ومنه على الأوّل قول ربيعة بن مقروم(1) :

بانَتْ سُعادُ فأَمْسَى القَلب مَعْمُودَا   وأَخْلَفَتْكَ ابنَةُ الحُرِّ المَوَاعِيدَا

ومقتضى الظاهر : أخلفتنِي.

وكذا قوله(2) :

تَذَكَّرْتُ والذِّكْرى تُهِيجُكَ زَيْنَبَا   وأَصْبَحَ باقِي وَصْلِها قد تَقَضَّبَا

وقول علقمة بن عَبَدَة(3) :

طَحَا بِكَ قَلْب في الحِسَانِ طَرُوب   بُعَيْدَ الشَّبَاب عَصْرَ حانَ مَشِيبُ

يُكَلِّفُنِي لَيْلَى وقد شَطَّ وَلْيُها   وعادَتْ عَوَادٍ بيننا وخُطُوبُ

والأصل : طحا بِي. وأقسام الالتفات ستّة مذكورة في علم البيان، ويسمّى أيضاً "تلوّن الخطاب"(4).

---

(1) هو ربيعة بن مقروم بن قيس الضبي (...- بعد 16هـ = ... - بعد 637م). من شعراء الحماسة. من مخضرمي الجاهلية والإسلام. وفد على كسرى في الجاهلية، وشهد بعض الفتوح في الإسلام. وحضر وقعة القادسية. انظر الأعلام. الزركلي : 17/3.
وانظر البيت في الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني : ص 72. ومعمودا أيْ معدا.

(2) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 86/2. والقضب هو القطع.

(3) سبق التعريف به. وانظر البيتين في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 289/11. طَحَا بِهِ قلْبُه؛ أيْ ذَهَبَ بِهِ فِي كلِّ مَذْهَبٍ. وشطّ : إذا بَعُدَ.

(4) يأتي الالتفات في ستِّ صُوَر هي :

- **الصورة الأولى** : الانتقال من التكلّم إلى الخطاب، وكذا الابتداء بالخطاب، مع أنّ مقتضى الظاهر يستدعي التكلم أو الْغَيْبَة.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[فائدة الالتفات]

وفائدته[1] : تنشيط النّفس؛ لاستلذاذها بلون جديد، وهو في البيت من التكلّم إلى الخطاب؛ لأنّ الأصل مَزَجْتُ؛ نحو : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾[2]؛ أيْ: لَنَا.

وأمّا على احتمال خاطب إنسانًا، فيصحّ على معنى "التّجريد".

- **الصورة الثانية** : الانتقال من التكلُّم إلى الغيبة، وكذا الابتداء بالْغَيْبة مع أنّ مقتضى الظاهر يستدعي التكلّم أو الخطاب.
- **الصورة الثالثة** : الانتقال من الخطاب إلى التكلّم، وكذا الابتداءُ بالتكلّم مع أنّ مقتضى الظاهر يستدعي الخطاب أو الْغَيْبَة.
- **الصورة الرابعة** : الانتقال من الخطاب إلى الْغَيْبة.
- **الصورة الخامسة** : الانتقال من الْغَيْبة إلى التكلّم.
- **الصورة السادسة** : الانتقال من الْغَيْبة إلى الخطاب.

انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني : 484/1 وما بعدها.

(1) **مِنْ فوائد الالتفات ما يلي** :

- **الفائدة الأولى** : فنيّةُ التَّنْوِيعِ في العبارة، المثيرِ لانتباه المتلَقِّي، والباعثِ لنشاطه في استقبالِ ما يوجَّه له من كلام، والإصغاءِ إليه، والتفكير فيه.
- **الفائدة الثانية** : الاقتصادُ والإيجازُ في التعبير.
- **الفائدة الثالثة** : الإعراض عن المخاطبين، لأنهم عن البيانات معرضون أو مُدْبرون.
- **الفائدة الرابعة** : إفادة معنىً تتضمَّنُه العبار الّتي حصل الالتفات إليها، وهذا المعنى لا يستفادُ إذا جرَى القول وفق مقتضى الظاهر.

انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني : 484/1 وما بعدها.

(2) سورة الكوثر : الآيتان 1 و 2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّجريد]

وحقيقة هذا اللقب في علم البديع : «أَنْ يَبْلغَ شَيْءٌ النِّهَايَةَ فِي صِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، حتّى يُقَدَّرُ أنّه يُنتَزَعُ مِنْ ذَلِكَ الشَّيءِ شَيْءٌ مِثْلُهُ فِي الاتِّصَافِ بِتِلْكَ الصِّفَةِ تَنْبِيهًا عَلَى المُبَالَغَةِ فِي الاتِّصَافِ بِالصِّفَةِ»[1]؛ نحو مررت بالرّجل الكريم والنّسمة المباركة، وهي هو. ونحو : ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ﴾[2]، إذا قُدّر : أقسم بالسّورة الشّريفة والقرآن[3].

وفائدة الالتفات، أو مخاطبة الإنسان نفسه، أو التّجريد هنا كما في غيره : إمّا أن يكون وبّخ نفسه على البكاء المفرط وقلّة الصّبر؛ كفعل الكِرام، ومنه : "تَطَاوَلَ لَيْلُكَ..". أو حرّضها على الازدياد منه؛ إذ هو راحة المكروب، لا سيما المحبّ.

ومنه قول أبي الطيّب[4] :

لا خَيْلَ عِندَكَ تُهْدِيهَا وَلا مالُ ... فَلْيُسْعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسعِدِ الحالُ

وَاجْزِ الأميرَ الذي نُعْمَاهُ فَاجِئَةٌ ... بغَيرِ قَوْلٍ وَنُعْمَى الْقَوْمِ أقْوَالُ

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني : ص 72.

(2) سورة ص : الآية 1.

(3) ولها تقدير آخر وهو : أن يكون قد ذكر اسم هذا الحرف من حروف المعجم على سبيل التحدّي والتنبيه على الإعجاز، ثم أتبعه القسم محذوف الجواب لدلالة التحدّى عليه، كأنه قال: وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ إنه لكلام معجز. أو أن يكون "ص" خبر مبتدأ محذوف، على أنّها اسم للسورة، كأنّه قال: هذه "ص"، يعنى: هذه السّورة التي أعجزت العرب، والقرآن ذى الذكر. انظر الكشاف. الزمخشري : 70/4.

(4) انظر البيتين في المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. أبو الفتح ضياء الدين الموصلي : 130/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

حرّض على مدح الأمير. أو نصحها لتترك ما هي فيه خوفًا من تفطّن الوُشاة، لقوله بعدُ : "أَيَحْسَبِ الصَبُّ.." البيت، أو خوف تلف النّفس. ومنه قول ابن الإطنابة[1] :

أَقُولُ لهَا وَقَدْ جَشَأَتْ وجاشَتْ   مَكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْتَرِيحِى[2]

فإنّه لمّا وطّن نفسه على احتمال المكروه، جرّدها وخاطبها نُصحًا، وهذا البيت ثبت عن معاوية[3] يوم صفّين بعد أن كاد يضطرب[4].

(1) هو عمرو بن عامر بن زيد مناة، الكعبي الخزرجي. شاعر جاهلي فارس. كان أشرف الخزرج. اشتهر بنسبته إلى أمه "الإطنابة" بنت شهاب، من بني القين، وفي الرواة من يعده من ملوك العرب في الجاهلية. كان إقامته بالمدينة. وكان على رأس الخزرج في حرب لها مع الأوس. انظر الأعلام. الزركلي : 80/5.

(2) انظر البيت في الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني : ص 72. ويروى أيضاً :

وقَوْلِي كُلّما جَشَأَتْ وجاشَتْ   مَكانَكِ تُحْمَدِى أو تَسْتَرِيحِى

انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 438/2. وجاشت النفس تجيش جيشا؛ إذا دارت للغثيان، وجشأت؛ إذا ارتفعت من حزن أو فزع.

(3) هو الصحابى ابن الصحابى. وهو أبو عبد الرحمن معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب (20 ق هـ- 60هـ= 603 - 680م) أسلم في فتح مكة، وكان أحد الكُتاب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانت خلافته تسع عشرة سنة ونصفًا، وولى دمشق، وسلم إليه الحسن الخلافة سنة إحدى وأربعين. انظر الأعلام. الزركلي : 261/7.

(4) الثابت هو عزو البيت لابن الإطنابة، ويروى أن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه كاد أن يفر من صفين، يوم وقف بين الصفّين، فذكر قول ابن الأطنابة هذا، فأوقف ركابَه، ولم ينسب البيت لنفسه. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. للنويري : 132/20.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وهو في الأحوال كلّها مخاطب بالاستفهام عن سبب مزج الدّموع بالدّم، ففي التّوبيخ يكون المعنى استبعاد أن يكون كلّ من تذكّر الجيران أو هبوب الرّيح سببًا لهذا الجزع العظيم؛ ليسارة أمرهما بالنّسبة إلى ما يلقى المحبّ، بل الأولى التصبّر. وفي التّحريض يكون الأمر بالعكس؛ والمعنى: إنّ مثل هذا البكاء لا يكون إلاّ عن مثل أحد الأمرين، فأيّهما هو السّبب، فالاستفهام على هذا المعنى الثّاني تحقيقي. وفي المعنى تعظيم أمر المستفهم عنه، وعلى الأوّل إنكاري؛ نحو:

أَطَرَبــاً وَأَنْــتَ قِنَّسْــرِيُّ   والدَّهْرُ بِالإِنْسانِ دَوَّارِيُّ[1]

وفي النّصح يكون المعنى: اترك ما أنت عليه؛ إمّا لأنّ كلاّ من الأمرين يسير، فالاستفهام للتّوبيخ، وهو المعنى الأوّل، أو لأنّ كلاّ منهما عظيم، وهو الثّاني، وأمَرَه بالتّرك؛ لئلاّ يقع فيما هو أعظم ممّا هو فيه من تفطّن الوُشاة أو هلاك النّفس، فالمعنى الثّالث يحتملُ المعنيين الأوّلين.

ويحتمل كلام النّاظم وجوهًا كثيرةً من التّقريرات غير ما ذُكر، يطول تتبّعها، لا سيما على احتمال التّجريد، ويحتمل الخطاب في "مَزَجتَ"؛ أن يكون من الخطاب العام.

---

(1) هذا البيت من قول العجاج. انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي: 275/11. والقِنَّسْرِيُّ: الْكَبِير المُسنُّ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الخطاب العام]

وهو : «ما يُخاطَبُ بِهِ غَيرُ مُعَيَّن مِمَّن اتّصَفَ بِمِثْلِ صِفَةِ هَذَا المُخَاطَبِ؛ للإيذَانِ بِأَنَّ الأَمرَ لِعِظَمِهِ لاَ يَخْتَصّ بِهِ وَاحِدٌ دُونَ آخَرَ»(1)؛ كقول الأعشى(2) :

إذا أَنتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزادٍ مِن التُّقَى ... ولاقَيْتَ بعدَ الموتِ مَن قد تَزَوَّدا

نَدِمْتَ على أَنْ لا تكُونَ كمِثْلِهِ ... وأَنَّكَ لَمْ تُرْصِدْ كما كانَ أَرْصَدا

وفي التّنزيل : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾(3) ؛ أيْ تناهت حالهم في الظّهور حتّى لا يختصّ بها مخاطب، بل كلّ من تتأتّى منه الرّؤية. وفي الحديث : «**بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ إِلَى الْمَسَاجِدِ فِي الظُّلَمِ**

(1) انظر الكليات. الكفوي : ص 1605.

(2) هو ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي، أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له أعشى بكر بن وائل، والأعشى الكبير (.. - 7هـ= ..- 629م). من شعراء الطبقة الأولى في الجاهلية، وأحد أصحاب المعلقات. عاش عمرًا طويلاً، وأدرك الإسلام ولم يسلم. ولقب بالأعشى لضعف بصره. وعمي في أواخر عمره. مولده ووفاته في قرية (منفوحة) باليمامة قرب مدينة (الرياض) وفيها داره، وبها قبره. انظر الأعلام. الزركلي : 341/7.

وانظر البيتين بلفظهما في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي: 362/2.

(3) سورة السجدة : من الآية 12.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1]. والتّعظيم الموجب لهذا في البيت؛ إمّا من حال المخاطَب، أو من حال سبب الخِطاب. واعلم أنّ الّذي يلي همزة الاستفهام هو المُستفهَم عنه، ولمّا كان مَزج الدّمع بالدّم محقّقًا، لم يُوله الهمزة، وإنّما أولاها ما استفهَم عنه، وهو أحد الشّيئين.

---

(1) رواه الترمذي عن عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ مرفوعا في الصلاة. باب مَا جَاءَ فِى فَضْلِ الْعِشَاءِ وَالْفَجْرِ فِى الْجَمَاعَةِ. وأبو داود في الصلاة. باب مَا جَاءَ فِى الْمَشْىِ إِلَى الصَّلاَةِ فِى الظُّلَمِ. كما رواه ابن ماجة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعا في المساجد والجماعات. باب الْمَشْىِ إِلَى الصَّلاَةِ. ورواه غيرهم. والحديث صحيح.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[أقوال في الحنين إلى الأوطان]

ثمّ المعنى الّذي استعمله النّاظم من الحنين إلى الأوطان، والبكاء من أجل تذكّر الجيران؛ أو مِن هبوب الرّياح وإيماض البرق من نواحي الأحبّة مشهورٌ معلومٌ من مذاهب الشّعراء قديمًا وحديثًا. رُوي أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا هاجر من مكّة اغتمّ، ووقف بالْحَزْوَرَةِ – وهو موضع خشن بالحصى في ظاهر مكّة – وقال : «**واللهِ إنَّكِ لأَحَب البِلادِ إلَيّ، وَلَوْلا أَنَّ أَهْلَكِ أَخْرَجُوني مَا خَرَجْتُ**»[1]. فنزلت عليه بالجُحفة : ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[2]. وكان بلال[3] ينشد بالمدينة:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرٌ وَجَلِيلُ؟

وَهَلْ أَرِدَنْ يَوْمًا مِيَاهَ مَجَنَّةٍ ... وَهَلْ يَبْدُوَنْ لِي شَامَةٌ وَطَفِيلُ؟

وقال امرؤ القيس : قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيب وَمَنزِلِ..[4]

---

(1) رواه أحمد عَنْ أَبِى هرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا. الحديث رقم 18717.

(2) سورة القصص : من الآية 85.

(3) هو الصحابى بلال بن رباح الحبشي، أبو عبد الله (.. – 20هـ= .. – 641م). مؤذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وخازنه على بيت ماله. وأحد السابقين للاسلام، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتوفي في دمشق. انظر الأعلام. الزركلي : 73/2.
وانظر الأبيات في صحيح البخاري في الحج. بَاب كَرَاهِيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُعْرَى الْمَدِينَةُ. ومجنة: سوق من أسواق العرب. وشامة وطفيل: عينان من الماء، وقيل: جبلان.

(4) انظر البيت في خزانة الأدب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 224/2. وهو بتمامه :
قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيب وَمَنزِلِ ... بسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْملِ

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال ذو الرمّة[1] :

خَلِيلِيَّ عُوجَا مِنْ صُدُورِ الرَّوَاحِلِ ببرقة حُزْوَى فابْكِيَا في المنَازِلِ
لَعلَّ انحِدارَ الدَّمْع يُعْقِب راحةً مِنَ الوَجْد أو يَشْفِي نجيَّ البَلاَبِل

وهو في شعره كثير، كقوله[2] :

أإنْ[3] ترسَّمتَ من خَرْقَاءَ منزلةً ماءُ الصَّبابةِ مِن عَيْنَيْكَ مَسْجُومُ

وقوله[4] :

أَلِلرَّبْع ظَلَّتْ عَيْنُكَ الْمَآءَ تَهْمُلُ رِشَاشاً كَم اسْتَنَّ الْجُمَانُ الْمُفَصَّلُ

وهذا المعنى يفوت استعماله الحصر، وهذان البيتان الأخيران أقرب إلى منزع النّاظم، ويقرب منه في المعنى بكاءُ الدّم قول مهيار[5] :

---

(1) هو غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي، ذو الرمة (77 - 117هـ= 696 - 735م). شاعر، من فحول الطبقة الثانية في عصره. أكثر شعره تشبيب وبكاء أطلال، يذهب في ذلك مذهب الجاهليين. وكان مقيما بالبادية. له "ديوان شعر". توفي بأصبهان، وقيل : بالبادية. انظر الأعلام. الزركلي : 124/5. وانظر البيتين بلفظهما في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 176/6. والنجيّ : ما يتحدّث به في نفسه. والبلابل : الهموم في الصدر.

(2) انظر البيت في خزانة الأدب.. عبد القادر بن عمر البغدادي : 235/11.

(3) يروى "أعَنْ" بدل أإن. فيجعل مَكَان الْهمزَة عينا، وَهَذِه لُغَة بني تَمِيم. انظر غريب الحديث. القاسم بن سلام : 55/3.

(4) انظر البيت في ديوانه : 1595/3.

(5) هو مهيار بن مرزويه، أبو الحسن (أو أبو الحسين) الديلمي (..- 428هـ= ..- 1037م). شاعر كبير، في معانيه ابتكار. وفى أسلوبه قوة. وكان مجوسيا، وأسلم (سنة 394هـ) على يد الشريف الرضي (فيما يقال) وهو شيخه، وعليه تخرج في الشعر والأدب، وتشيع، وغلا في تشيعه. له (ديوان شعر). انظر الأعلام. الزركلي : 31/7. وانظر البيت في معاهد التنصيص. أبو الفتح العباسي : 247/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

بَكيْتُ على الوادِي فحرَّمْتُ ماءَه　　وكيـف يَحِـلُّ المـاءُ أكثـرُه دَمُ

وللعماد الأصبهاني[1] :

كَـــانَ دَمْعِـــي لُؤْلُـــؤًا لَكِـــنَّهُمْ　　أَرْخَصُـــوهُ بِـــالنَّوَى فَهْـــوَ عَقِيـــقُ

مَـــا لِعَيْنِـــى مَـــا لَهَـــا ظَامِيَـــةٌ　　وَلهَـــا فِـــى الـــدَّمْع إِنْسَـــانٌ غَريـــقُ

وللحسام الحاجريّ[2] :

قُلْـــتُ لِلْسَّـــائِقِ المُجَـــدِّ بِلَيْلِـــي　　وَقَـــدْ اعْتَـــدَّ لِلفِـــرَاقِ الفَرِيـــقُ

يَا مُنَادِي الرَّحِيل أَرْخَصْتَ دَمْعِي　　قَـــالَ لِـــي : هَكَـــذَا يُبَـــاعُ العَقِيـــقُ

وأنشد أبو القاسم بن كيكس؛ عامل القائم بأمر الله[3] :

---

(1) هو محمد بن محمد، أبو عبد الله، عماد الدين الكاتب الأصبهاني (519 - 597هـ= 1125 - 1201م). مؤرخ، عالم بالأدب، من أكابر الكتاب. ولد في أصبهان، وقدم بغداد حدثا، فتأدب وتفقه. واتصل بالوزير عون الدين (ابن هبيرة) فولاه نظر البصرة ثم نظر واسط. ولما توفي صلاح الدين استوطن دمشق، ولزم مدرسته المعروفة بالعمادية. وتوفي بها. انظر الأعلام. الزركلي : 26/7. ولم أقف على البيتين في ديوانه أو في المصادر الأدبية.

(2) هو عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري، حسام الدين (.. - 632هـ= .. - 1235م). شاعر، رقيق الالفاظ حسن المعاني. تركي الأصل. من أهل إربل، ينسب إلى حاجر (من بلاد الحجاز) ولم يكن منها، وإنما أكثر من ذكرها في شعره، فنسب إليها. قتل غدرًا بإربل. له "ديوان شعر". انظر الأعلام. الزركلي : 103/5. وانظر البيتين في كتاب تشنيف السمع بانسكاب الدمع. العلامة الصفدي : ص 66.

(3) هو عبد الله بن أحمد القادر بالله بن الأمير إسحاق ابن المقتدر العباسي، أبو جعفر، القائم بأمر الله (391 - 467هـ = 1001 - 1075م)، خليفة، من العباسيين في العراق، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة 422هـ بعهد منه. وكان ورعًا، عادلاً، كثير الرّفق بالرعية. له فضل، وعناية بالأدب والإنشاء. انظر الأعلام. الزركلي : 66/4.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

بَكِيتُ دَماً حتّى بَقِيتُ بِلاَ دَمٍ بُكَاء فَتًى فَرْدٍ عَلَى سَكَنٍ فَرِدِ
أَأَبْكِي الّذِي أَهْوَاهُ بِالدَّمْعِ وَحْدَهُ لَقَدْ جَلَّ قَدرُ الدَّمْعِ فِيهِ إذاً عِنْدِي(1)

وأنشد المرتضى(2) أخو الرَّضِيّ(3)، وهما ابنا الطّاهر الموسويّ(4) :

ويومَ وقفْنا للوَداعِ وكلُّنا يَعُدُّ مُطِيعَ الشّوقِ مَن كان أحْزَمَا
فَصِرْتُ بقلب لا يُعنَّف في الهَوى وعَيْنٍ متى اسْتَمْطَرْتَها أمطَرَت دَمَا(5)

---

(1) البيتان منسوبان له في معاهد التنصيص. أبو الفتح العباسي : 246/1. وينسبان أيضاً لخالد بن يزيد البغدادي، المعروف بالكاتب. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 257/2.

(2) هو علي بن الحسين بن موسي بن محمد بن إبراهيم، أبو القاسم، من أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب (355 - 436هـ= 966 - 1044م). نقيب الطالبيين، وأحد الأئمة في علم الكلام والأدب والشعر. مولده ووفاته ببغداد. له تصانيف كثيرة، منها "الغرر والدرر" يعرف بأمالي المرتضى. انظر الأعلام. الزركلي : 278/4.

(3) هو محمد بن الحسين بن موسى، أبو الحسن، الرضي العلوي الحسيني الموسوي (359 - 406هـ= 970 - 1015م). أشعر الطالبيين، على كثرة المجيدين فيهم. مولده ووفاته في بغداد. انتهت إليه نقابة الأشراف في حياة والده. وخلع عليه بالسواد، وجدّد له التقليد سنة 403هـ. له "ديوان شعر". انظر الأعلام. الزركلي : 99/6.

(4) هو الحسين بن موسى الحسيني العلويّ الطالبي، أبو أحمد (304 - 400هـ = 916 - 1010م)، نقيب العلويين في بغداد، ولي نقابة العلويين وإمارة الحاجّ سنة 354هـ وكتب له منشور من ديوان الخليفة، ثم قبض عليه عضد الدولة البويهي سنة 369هـ وأطلقه شرف الدولة (ابن عضد الدولة) سنة 372هـ وعزل عن النقابة سنة 384هـ وأعيد إليها سنة 394هـ وأضيف إليه الحجّ والمظالم، فلم يزل على ذلك إلى أن توفي ضريرًا. انظر الأعلام. الزركلي : 260/2.

(5) البيتان هما للشريف الرّضيّ. انظر معاهد التنصيص. أبو الفتح العباسي : 247/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وهذا أبلغ ممّا للنّاظم، فإنّ هذا صِرْف، وما له ممزوج.

قال أبو عمرو بن العلاء[1] : «ممّا يدلّ على نُبل الرّجل، وكرم غريزته، حنينه إلى أوطانه، وتشوّقه إلى متقدّم إخوانه، وبكاؤه على ما مضى من زمانه»[2].

وقال يحيى بن سعيد الأمويّ[3] : تزوّج رجل من أهل تهامة امرأة من نجد، فلمّا أصابها حرّ تهامة، قالت : ما فعلت ريحٌ، كانت تأتينا ونحن في نجد، يقال لها الصّبا. قال : يحبسها عنك هذان الجبلان. فقالت[4] :

أَيا جَبلِيْ نُعمانُ بِاللهِ خَلِيا ... نَسيمَ الصِبَا يُخلِص إِليّ نَسيمُها
أَجِدُ بَردها أو تُشَفُ مِني حَرارَةً ... عَلَى كَبِدٍ لَم يَبقَ إِلاّ صَميمُها
فَإِنّ الصَبَا ريحٌ إذا ما تنسّمَتْ ... عَلَى نَفْسِ مَحْزُونٍ تجلَّتْ هُمومُها

(1) هو زبان بن عمار التميمي المازني البصري، أبو عمرو، ويلقب أبوه بالعلاء (70 - 154هـ= 690 - 771م). من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، ومات بالكوفة. له أخبار وكلمات مأثورة. في اسمه واسم أبيه خلاف. انظر الأعلام. الزركلي : 41/3.

(2) لم أقف على هذا النص من قول أبي عمر بن العلاء، وإنما وقفت عليه عن الأصمعي، ينقله بعض الأعراب. انظر الآداب الشرعية والمنح المرعية. ابن مفرج : 562/3.

(3) هو يحيى بْن سَعِيد بْنُ أَبَانِ الأُمويّ، أَبُو أيّوب الْقُرَشِيّ الأمويُّ الكوفيُّ الحافظ. سكن بغداد، وكانوا يلقبونه جملا، مات سنة 194هـ. انظر تاريخ الاسلام. الذهبي : 1244/4.

(4) انظر الأبيات في نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 102/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال مصعب[1] : خرجنا للغزو زمن مروان[2]، فأصابنا مطر، فمِلنا إلى كُنّ قصر، فقالت وليدة منه : بأبي! من أين أقبلتم؟ قلنا : من مكّة. فتنفّست الصّعداء، وقالت[3] :

مَنْ كَانَ ذَا شَجَنٍ بِالشَّامِ يَحْبِسُهُ ... فَإِنَّ فِي غَيْرِهِ أَمْسَى لِي الشَّجَنُ
وَإِنَّ ذَا القَصْرِ حَقًّا مَا بِهِ وَطَنِي ... لَكِنَّ بِمَكَّةَ أَمْسَى الأَهْلُ وَالوَطَنُ
مَنْ ذَا يُسَائِلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا ... فَالأُقْحُوانَةُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَمَنُ
إِذْ نَلْبَسُ العَيْشَ صَفْواً مَا يُكَدِّرُهُ ... طَعْنُ الوُشَاةِ وَلاَ يَنْبُو بِنَا الزَّمَنُ

فلمّا قفلنا، أتينا القصر، فخرج صاحبه، فأنزل وأكرم، فقلتُ : حاجة. فقال : مقضية. قلت : وليدة صِفَتُها كذا، إمّا تبيع أو تهب. فقال : والله، لقد واريتها الأرض اليوم، ولو أنّها حيّة ما انقلبتَ إلاّ بها. فتحسّرتُ إذ لم أرجعها إلى وطنها[4].

---

(1) هو مُصْعَب بْن عَبْد اللَّه، أبو عبد الله الْقُرَشِيّ الأسديّ الزُّبَيْرِيّ الْمَدَنِيّ. (156 - 236هـ= 773 - 851م). كَانَ وجْهَ قريش مروءةً وعلمًا وشرفًا وبيانًا وَقَدْرًا وجاهًا. وكان نسّابةَ قريش. ولد بالمدينة، وسكن بغداد، وتوفي بها. له كتاب (نسب قريش). انظر الأعلام. الزركلي : 248/7.

(2) هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموى، أبو عبد الملك، ويعرف بالجعدى وبالحمار (72 - 132هـ= 692 - 750م). آخر ملوك بني أمية في الشام. ولد بالجزيرة وأبوه متوليها. وغزا (سنة 105هـ) فافتتح (قونية) وغيرها. كان مروان حازمًا مدبرًا شجاعًا، إلاّ أن ذلك لم ينفعه عند إدبار الملك وانحلال السلطان. انظر الأعلام. الزركلي : 208/7.

(3) انظر القصة والأبيات في كنز الكتاب ومنتخب الآداب. البونسي : 733/2. وتعزى الأبيات للحارث بن هشام. انظر نفس المصدر : 536/2. وقمن : جدير وحريّ.

(4) انظر الخبر في تاريخ مدينة دمشق. علي بن الحسن : 104/54.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وكفى حاملا على الحنين إلى الوطن قوله[1] :

دِيـارٌ بهـا نِيطَـتْ عَلَـيَّ تَمـائِمِي ... وأَوَّلُ أَرْضٍ مَـسَّ جِلْـدِي تُرَابُهـا

وقال بعض الأعراب[2] :

ذَكَـرْتُ بـلادِي فاسْـتَهَلَّتْ مَـدامِعِي ... لشَوْقِي إلى عَهْدِ الصِّبا المُتَقادِمِ

حَنَنْتُ إلى أرْضٍ بها اخْضَرَّ شَارِبِي ... وقُطِّـعَ عنِّـي قَبْـلُ عَقْـدُ التَّمـائِمِ

وقد أوضح ابن الرّومي[3] العلّة في الحنين إلى الوطن، فقال :

وَلــي وطــنٌ آليــتُ ألاَّ أبيعَــهُ ... وألاّ أَرَى غَيْـرِي لـهُ الـدّهرَ مالِكـا

عَهِدتُ به شرخَ الشّباب ونِعمةً ... كَنعمـةِ قـوْمٍ أصْبَحُوا فـي ظِلالِكـا

وحبَّـب أوطـانَ الرِّجـالِ إلـيهمُ ... مَـآرب قضَّـاها الشَّـباب هنالِكـا

ويظهر أن الخبر مشكوك في صحته؛ فإن مُصْعَب بْن عَبْد الله لم يعاصر مروان بن محمد، وقد نسب غير واحد من المؤرخين القصة إلى خالد بن يزيد أبو الهيثم الكاتب البغداديّ، كما نسب صاحب خزانة الأدب الأبيات إلى الحارث بن خالد بن العاص الشاعر. انظر خزانة الأدب. عبد القادر البغدادي : 431/1.

(1) ينسب هذا البيت للأعرب، ونسبه صاحب تاج العروس لرِقَاع بن قَيْسٍ الأَسَدِيّ. والمحفوظ "بلاد" بدل "ديار". انظر تاج العروس. الزبيدي : 325/31.

(2) انظر البيتين في زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني : 89/2.

(3) هو علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، أبو الحسن (221 - 283هـ= 836 - 896م). شاعر كبير، من طبقة بشار والمتنبي، رومي الأصل، كان جده من موالي بني العباس، ولد ونشي ببغداد، ومات فيها مسموما، قيل : دس له السم القاسم بن عبيدالله (وزير المعتضد) وكان ابن الرومي قد هجاه. انظر الأعلام. الزركلي : 297/4. وانظر الأبيات في زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني : 737/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

إذا ذَكَــرُوا أَوْطــانَهم ذكَّــرَتْهُمُ عُهــودَ الصِــبَا فيهــا فحَنّــوا لِــذَلِكَا

فَقَــد أَلِفتْــهُ الــنّفسُ حتّــى كأنّــهُ لهــا جســدٌ إن بَــانَ غــودِرْ هالكــا

وهو القائل[1] :

بلدٌ صحبتُ به الشّبيبةَ والصِّبا ولبســتُ ثَــوب العَــيْشِ وهــو جديــدُ

فــإذا تمثَّــلَ فــي الضَــمير رأيتُــه وَعَلَيْــهِ أغصــانُ الشّــباب تميــدُ

ولهذا خصّ ذكر الجيران أيضاً؛ فإنّ حقّ الجار ثابت معلوم من الشّريعة وغيرها. قال الله تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ إلى قوله : ﴿ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ ﴾[2].

وفي الصّحيح : «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حتّى ظَنَنْتُ إِنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»[3]. وفيه أيضاً من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»[4]. وفي رواية : «**فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»[5].

والاستشهاد على هذا المعنى بالأشعار والحكايات يطول.

---

(1) انظر البيتين في زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني : 737/3.

(2) سورة النساء : من الآية 36.

(3) رواه البخاري عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مرفوعا في الأدب. باب الوصاءة بالجار.

(4) رواه البخاري عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ الْعَدَوِيِّ مرفوعا في الأدب. بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. ورواه غيره.

(5) رواه البخاري عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا في الأدب. بَاب مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ. ورواه غيره..

مادة محمية بموجب حقوق النشر

و"الجار" من الأسماء الإضافية، مقول بالتّشكيك على الأقرب والأبعد، وأقربه أحقّه بالمراعاة، وفي الصّحيح من حديث عائشة رضي الله عنها[1] : «**إِلَى أَقْرَبِهِمَا.. بَابًا**»[2].

وممّا ورد من قول الشّعراء فيما يهيّجه البرق من ذكر الأحبّة؛ ما حكاه صاحب كتاب "**نظم الفريد في منتخب الأدب التّليد**"[3] عن المفضل بن محمّد الضبّي بن العلاّف[4] قال : لمّا قدم بغا ببني نمير أسرى، كنت أذهب إليهم لأسمع منهم، وكنت لا أعدم الفصيح منهم، فأتيتهم يوما في عقب مطر، وإذا بفتى حسن الوجه قد نهكه المرض، وهو ينشد :

ألا يا سَنا برقٍ على قُلَل الحمَى ... لهَنَّكَ من برقٍ عليَّ كريمُ
لمعت اقْتِداءَ الطَّير والقومُ هُجَّعٌ ... فهيَّجْتَ أسقاماً وأنت سليمُ

---

(1) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق (9 ق هـ- 58هـ= 613 - 678م). أم المؤمنين، تزوجها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بمكة، وبنى بها بالمدينة منصرفة من بدر في شوال سنة اثنين من الهجرة، وهي بنت تسع سنين. دفنت بالبقيع. انظر الأعلام. الزركلي : 297/4.

(2) رواه البخاري عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ مرفوعا في الأدب. بَاب حَقِّ الْجِوَارِ فِي قُرْب الْأَبْوَابِ.

(3) هو أبو الحسن علي بن أبي القاسم بن رزين التجيبي. مولده في حدود عام خمسة وعشرين وستمائة. وله تواليف منها (نظم الفريد في منتخب الأدب الطارف والتليد) و (الدرر الثمينة في خبر القل وفتح قسنطينة). توفي عام اثنين وتسعين وستمائة. انظر برنامج الوادي آشي. محمد بن جابر الوادي آشي : ص 65.

(4) هو المفضل بن محمد بن يعلي بن عامر الضبي، أبو العباس (..- 168 ؟ هـ=..- 784م). راوية، علامة بالشعر والأدب وأيام العرب. من أهل الكوفة. وهو أوثق من روى الشعر من الكوفيين. له كتابه (المفضليات). انظر الأعلام. الزركلي : 280/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فهلْ من مُعيرِ طرفَ عينِ خليَّةٍ		فإنسانُ عَين العامِريّ كليمُ
رمَى قلبَهُ البرقُ الملألئ رميةً		بذكر الحِمَى وَهْناً فبات سليم

فقلت له : يا هذا إنّك لفي شغل عن هذا. فقال : صدقت، ولكن أنطقني البرق، فما كان ساعة حتّى مات، فما يُتوهّم عليه غير الحبّ[1].

(1) انظر القصة والأبيات في خزانة الأدب. عبد القادر البغدادي : 376/10. ولهَنَّكَ لغة في "لأنّك". واقتداء الطير؛ أيْ في سرعة الطير. وأسقط ابن مرزوق البيت الثالث وهو :
فَبِتُّ بِحدِّ المِرفقيَن أَشِيمُه		كَأَنّي لِبَرق بالسِّتَارِ حَمِيم

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْمَعَانِي

في قولـه : "مَزَجْتَ" الالتفات على رأيْ من جعله من هذا الفنّ، وعلى رأيْ من رآه من البديع، يُنبّه عليه في ترجمته. وكذا فيه الخطاب العام، وهو أيضاً على الرّأيين. وفيه الإسناد المجازي؛ فإنّ المخاطَب لم يمزج الدّمع بالدّم، بل فعل سببه، وهو البكاء؛ فهو نحو : بني الأمير المدينة.

ولقائل أن يقول : ليس مثل هذا السّبب بالّذي يُخرج الإسناد عن كونه حقيقة بحسب اللّغة. وهذا هو الظّاهر.

والتّنكير في "جِيرَان" وفي "دَمعًا" وفي "مُقلة" وفي "دَم"؛ إمّا للتّعظيم، وإمّا للنّوعية.

وتقدّم فائدة تقديم "مِن تَذَكّر" على عامله الّذي هو "مَزجتَ"؛ لكونه المستفهَم عنه.

ويحتمل تنكير "دَمْعًا" أن يكون للتعظيم والنوعية جميعا؛ لوصفه بـ "جَرَى".

ووحّد الرّيح، ولم يجمعها؛ لأنّها تهيّج عليه الأحزان، لأنّهم قالوا: الرّياح وردت في القرآن الكريم في الخير، والرّيح في ضدّه، ويُحكى أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يقول إذا رأى ريحًا : «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحًا، وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحًا**»(1)، ولا ينتقض بقوله تعالى : ﴿ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾(1)؛ لوصفها، ولأنّ النّافعة للسّفن إنّما تكون من جهة واحدة.

---

(1) رواه الطبراني في الكبير عن عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنه مرفوعا. رقم الحديث 11533. وإسناده ضعيف.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَدِيْعُ

في البيت الأوّل تجاهل العارف، وسمّاه بعضهم[2] "سَوْقُ الْمَعْلُوم مسَاقَ المجهولِ"، قال : «من أجل ما وقع في القرآن؛ تحاشيا من نسبة التّجاهل والعرفان إلى الله تعالى. ومنه قولها[3] :

أَيَا شَجَرَ الخَابُورِ مَا لَكَ مُورِقًا   كَأَنَّكَ لَمْ تَحْزَنْ على ابنِ طَرِيفِ

وقوله[4] :

أيا ظَبْيَةَ الوَعْساء بَيْنَ حُلاحِل   وبَيْن النّقا ، آأَنْتِ أَمْ أُمُّ سالِمِ»

وهو في البيت بناءً على أنّه على السّبب، لا سيما إن قلنا أنّه خاطب نفسه.

وفيه أيضاً التّجنيس النّاقص في "دمع" و "دم"؛ لاختلافهما بزيادة حرف العين.

---

(1) سورة يونس : من الآية 22.

(2) تنسب هذه التسمية للسكاكي. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 123/7.

(3) القائلة هي ليلى بنت طريف الخارجية الشاعرة، وهي في هذين أول البيتين ترثي أخاها الوليد بن طريف الشيباني الخارجي. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 123/7.

(4) القائل هو ذو الرمة. انظر ديوانه : 767/2. وأكثر الروايات: جُلاَجِل. بدل حُلاَحِل. والوعساء : رابية رمل من النية تنبت أحرار البقل. وجُلاَجِل والنقا : موضعان.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّجنيس النّاقص]

وحقيقة هذا اللّقب : «أَنْ لاَ تَخْتَلِفَ الكَلِمَتان إلاَّ في أَعدَادِ الحُرُوفَ»(1).

فقد يكون النّقص من أوّل؛ نحو : ﴿ بِٱلسَّاقِ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴾(2)، أو من الوسط؛ نحو : جدّي.. جهدي، أو من الآخر؛ نحو :

يَمُدّونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ   تصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبِ(3)

فإن قلت : "دَم" خالف أيضاً بحركة.

قلت : الظّاهر أنّهم اعتقدوا مثل ذلك، وإلاّ فهو أقرب من تمثيلهم بـ "جدّي جهدي"؛ للتّضعيف في جدّي، وأيضاً أصل "دم" السّكون كما تقدّم لسيبويه، إلاّ أن يُقال : المعتبر حركة الحال.

وفيه التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق في "جيران" و "جرى".

---

(1) انظر تعريف التجنيس الناقص في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 356.

(2) سورة القيامة : من الآية 29 والآية 30.

(3) البيت لأبي تمام. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 91/7. عواص: مخفية. عواصم: بيض، وهي صفة الأيدي. تصول: تحارب. قواض: تقوض العدو. قواضب: قاطعة.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق]

وهو : «أَنْ تَشْتَبِهَ الكَلِمَتَانِ فِي الحُرُوفَ، وَلاَ يَجْمَعُهُمَا اشْتِقَاقٌ»[1]؛ نحو ﴿إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم﴾[2]. وهو أيضاً في البيت الثاني في قوله : "إضم" و "أومض". وفي الأوّل التّسهيم؛ وهو المسمّى بالإرصاد.

---

(1) انظر تعريف التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 359.
(2) سورة التوبة : من الآية 38.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الإرصاد]

وهو : «أَنْ يُجْعَل قَبْلَ العَجز مِن الفَقْرَةِ أو القَافِيَةِ مَا يَدُلّ عَلَيْهِمَا إذَا عُرِفَ الرَوِيّ»[(1)]. نحو قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(2)]. وقوله[(3)] :

أَحَلَّتْ دَمِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ وحَرَّمَتْ ... بِلاَ سَبَب يَوْمَ اللِّقَاءِ كَلاَمِي

فَلَيْسَ الَّذي حَلَّلْتِهِ بِمُحَلَّل ... وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمْتِهِ بِحَرَامِ

وهو في البيت قوله : "بِدَم"؛ لأنّه يفهم من قوله : "مزجتَ.." إلى آخره. لكن بعد علمٍ أنّ الرَوِيّ ميم مكسورة؛ ولذا يضعف ادّعاؤه في أوّل بيت من القصيد، إلاّ إذا علم أنّ البيت مصرّع[(4)]، وفيه نظر بُعد، لكنّه هنا في غاية الظّهور، فهو كحكاية ابن عبّاس رضي الله عنهما[(5)] مع الّذي أنشده : تَشُطُّ غداً دارُ أحبابنا.. فقال ابن عباس : وَللدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ.

---

(1) انظر تعريف التّسهيم أو الإرصاد في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 326. والحرْفُ الرَوِيّ هو : آخر حرف يُبْنَى عليه نسَقُ الكلام.

(2) سورة العنكبوت : من الآية 40.

(3) البيتان للبحتريّ. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب..للنويري : 143/7.

(4) التّصريع : يكون بجعل الْعَرُوض (وهي آخر المصراع الأوّل من البيت) مقفّاةً تقفية الضَّرْب (وهو آخر المصراع الثاني من البيت)، ومنه أغلب أوائل القصائد. انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 365.

(5) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس (3 ق هـ- 68هـ= 619 - 687م). حبر الامة. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوة، فلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف، وتوفي بها. انظر الأعلام. الزركلي : 95/4.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وكـان كـذلك، ولـم يسـمع غيـر الشّـطر الأوّل[1]. وفيـه أيضـاً براعـة الاستهلال، ويسمّى براعة المطلع، وحسن الابتداء.

---

(1) انظر القصة في نهاية الأرب في فنون الأدب النويري : 115/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة براعة الاستهلال]

وهو : «أن يُؤتي في أَوَّلِ القَصيدَةِ أَو الرِّسالَةِ أَو الخُطْبَةِ بِمَا يدُلُّ عَلى مَقْصودِ المتَكَلِّمِ»[1]. مع سهولة اللّفظ، وصحّة السّبك، ووضوح المعنى، وتجنّب الحشو، ورقّة التّشبيه في الشِّعر، وتناسب القسمين، وأن لا يكون البيت متعلّقًا بما بعده.

(1) انظر تعريف براعة الاستهلال في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 392.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[المواضع الّتي ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق فيها]

وهذا المقام من المواضع الّتي ينبغي للمتكلّم أن يتأنّق فيها، لأنّ الابتداء إذا كان حسنًا أقبل السّامع على ما بعده، وإلاّ مجّه.

والموضع الثّاني : الخروج ممّا قدّم في كلامه إلى المقصود،

والثّالث : الختام. وجعله بعضهم[1] رابعا، وزاد ثالثا، وهو المطلب[2]. ومن أحسن الابتداءات المؤذنة بالمقصود قول أبي تمّام[3] يمدح المعتصم[4] بفتح عمّورية، وكان المنجّمون يزعمون أنّها لا تُفتح حينئذٍ :

السَّيْفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ

بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ ... في متونهنَّ جلاءُ الشَّكِّ والرَّيبِ

---

(1) وهو الطيبي على ما سيذكره الإمام ابن مرزوق لاحقًا.

(2) انظر هذا كله في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 390 وما بعدها.

(3) هو حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام (188 - 231هـ= 804 - 846م) ولد في جاسم (من قرى حوران بسورية) ورحل إلى مصر، واستقدمه المعتصم إلى بغداد، فأجازه. له تصانيف منها (فحول الشعراء) و (ديوان الحماسة). انظر الأعلام. الزركلي : 165/2. وانظر البيتين في نهاية الأرب في فنون الأدب النويري : 147/5.

(4) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدى ابن المنصور، أبو إسحاق، المعتصم بالله العباسي (179 - 227هـ= 795 - 841م). خليفة من أعاظم خلفاء هذه الدولة. بويع بالخلافة سنة 218هـ يوم وفاة أخيه المأمون، وبعهد منه، وكان بطرسوس. وهو فاتح عمورية. خلافته 8 سنين و 8 أشهر. انظر الأعلام. الزركلي: 7/ 128.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وفي البيت علم ما قصده مِن مدح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ذكر الجيران بذي سَلَم، فإنّه من جبال الحجاز.

فإن قلت : إلاّ أنّه متعلّق بما بعده؛ لقوله : "أم هبّت الرّيح" لأنّ "أم" متّصلة.

قلت : التّعلّق المشترط نفيه ما لا يستقل لفظ البيت بإفادة المقصود من الشِّعر إلاّ بذكر شيء من الثّاني، وأمّا إن استقل بإفادة ذلك المعنى، وكان تعلّقه بالثّاني مقوِّيًا له كما هنا، فذلك ممّا يزيده حسنًا، وهو ظاهر. ألا ترى تعلّق بيت أبي تمّام الثّاني بالأوّل.

وفي البيت الثّاني مراعاة النّظير، ويسمّى بالتّناسب والائتلاف والتّوفيق.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة مراعاة النّظير]

وهو : «الجَمْعُ بَيْنَ أَمْرٍ وَمَا يُنَاسِبُهُ لاَ بِالتَّضَادِ»[1].

نحو : ﴿ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ﴾[2].

ومن أحسن ما ورد فيه قول ابن رشيق[3] :

أَصَحُّ وَأَقْوَى مَا سَمِعْنَاهُ فِي النَّدَى مِنَ الْخَبَرِ الْمَأْثُورِ مُنْذُ قَدِيمِ
أَحَادِيثُ تَرْوِيهَا السُّيُولُ عَنِ الْحَيَا عَنِ الْبَحْرِ عَنْ كفّ الأَمِيرِ تَمِيمِ

فجمَع فيه بين الصحّة والقوّة، والسّماع والخبر المأثور والأحاديث، وهذه كلّها متناسبة، ثمّ العنعنة، ثمّ السّيل والحيَا، والبحر وكفّ تميم. وهو هنا جمعه بين "الرّيح" و "البرق" و "الظّلماء". وزعم بعضهم أنّ في قوله "إضَم" و "أومض" جِناس القلب. قال : «لتشابه حروفهما. وقدّم في أحدهما ما أخّر في الآخر؛ ومنه قول أبي تمّام: "الصّحَائِف" و "الصّفَائِح"».

---

(1) انظر تعريف مراعاة النّظير في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 323.

(2) سورة الرحمن : الآيتان 5 و 6.

(3) هو الحسن بن رشيق القيرواني، أبو علي (390 - 463هـ= 1000 - 1071م) كان أبوه من موالي الأزد. ولد في المسيلة، وتعلم الصياغة، ثم مال إلى الأدب وقال الشعر، فرحل إلى القيرواون سنة 406 ومدح ملكها، واشتهر فيها. وحدثت فتنة فانتقل إلى جزيرة صقلية، وأقام بمازر إحدى مدنها، إلى أن توفي. من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده). انظر الأعلام. الزركلي : 191/2.
وانظر البيتين في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. أبو الفتح العباسي : 234/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قلت : وإذا تأمّلتَ، لم تجد هنا قلبًا أصلا. لا قلب كلّ؛ نحو : ﴿**كُلٌّ فِي فَلَكٍ**﴾[1]. ولا قلب بعض؛ كلفظ أبي تمّام، إلاّ أن يُعتبر التّقديم والتّأخير من حيث الجملة، فيشبه.

وزعم أيضاً أنّ في البيت الأوّل نوعًا من المبالغة المقبولة، وهو المسمّى بـ "الإغراق".

---

(1) سورة يس : من الآية 40.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الإغراق]

وحقيقته : «أَنْ يُدَّعَي لِوَصْفٍ بُلُوغُهُ فِي الشِدَّةِ أَوْ الضُّعْفِ حَدًا مُسْتَحِيلاً عَادَةً لاَ عَقْلاً»[1]. كقوله[2] :

وَنُكْــرِمُ جَارَنَــا مَــا دَامَ فِينَــا ... ونُتْبِعُـهُ الْكَرَامَـةَ حَيْـثُ مَـالاَ

فإنّ اتّباعه جاره الكرامة حيث مال ممتنع عادةً لا عقلاً.

وإن كان من نقلنا عنه نقلَ أنواع المبالغة ولم يحرّرها، ولا حاجة لنا نحن الآن إلاّ إلى هذا النّوع منها خاصة[3].

قال : «وهو في البيت في قوله : "مزَجتَ دَمْعًا.. بِدَمِ"، فإنّه مستحيل عادةً لا عقلاً». وفي استحالته عادةً نظرٌ؛ إمّا أنّه بعيد الوقوع، كما أنّه وقع في كلامه هنا؛ لمّا بيّن أنّ "الجيران" و "جرى" من التّجنيس، إلاّ أنّه لم يبيّن من أيْ أقسامه هو. قال : «ومن التّجنيس قول الشّاعر :

الحمـدُ لله مِنَّـا باعـثِ الرّسـل ... هدَى بأحمدَ مِنّا أحمدَ السّبلِ

فإنّ "مِن" الأولى لابتداء الغاية، والثّانية لبيان الجنس».

---

(1) انظر تعريف المبالغة المقبولة في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 340.

(2) قائل البيت هو عَمْرو بْنِ الأَيْهَم التَّغْلِبي. وانظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 124/7.

(3) قسّم علماء البديع المبالغة إلى ثلاثة أقسام :

- القسم الأوّل : "التبليغ" وهي المبالغة الممكنة عقلاً وعادةً.
- القسم الثاني : "الإغراق" وهي المبالغة الممكنة عقلاً لا عادةً.
- القسم الثالث : "الغُلوّ" وهي المبالغة غير الممكنة لا في العادة ولا في العقل.

انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني : 451/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ابن مرزوق يذكر سند روايته لقصيدة الشقراطسي]

قلت : وتكرّر منه هذا الكلام في عدّة من تواليفه، وهذا البيت هو من قصيدة الشقراطسي(1)، والرّواية فيه على ما حدّثني به غير واحد من أشياخي إجازةً عن الشّيخين الإمامين؛ أبي عبد الله محمّد بن جابر القيسي الوادي آشي، وشهاب الدّين أحمد بن محمّد المرادي(2)، بسندهما فيها أنّ اللّفظة الّتي بعد "أحمد" هي مصدر "مَنَّ"؛ كقوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ﴾(3). والعامل فيه "هَدَى"؛ أيْ هدى بأحمد تفضّلا.

وقوله : "مِنْ الثّانية لبيان الجنس". الظّاهر أنّها للتّبعيض على تقدير كونها حرف جر، وهو في موضع الحال من "أحمد"، والأولى مثل الّتي في قوله تعالى : ﴿رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾(4) معنًى وتقديرًا، إلاّ أنّها في الآية صفة، وهنا متعلّقة بـ "باعث".

---

(1) هو عبد الله بن يحيى بن علي، أبو محمد الشقراطسي التوزري (.. - 466هـ= .. - 1073م). فقيه مالكي، من الشعراء. ولد بتوزر. وسافر إلى القيروان، فأخذ عن علمائها. ورحل إلى المشرق. له (الأعلام بمعجزات النبي عليه السلام) ختمه بقصيدة له لامية تعرف بالشقراطسية. انظر الأعلام. الزركلي : 145/4.
وانظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 347/18.

(2) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم المرادي القرطبي، أبو العباس العشاب (649 - 736هـ= 1251- 1335م). مقرئ، استوزره صاحب تونس، ثم نزل الإسكندرية وتوفي بها. له (تفسير) مختصر، وكتاب في (المعاني والبيان). انظر الأعلام. الزركلي : 223/1.

(3) سورة محمد : من الآية 4.

(4) سورة آل عمران : من الآية 164.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وعلى أنّ اختلاف معنى حرف الجرّ المتكرّر يكون تجنيسًا، يكون في البيت الأوّل، فإنّ "مِن" الجارة لـ "تَذَكّر" للتعليل، والجارة لـ "مُقلة" لابتداء الغاية، وكذا الباء الجارة لـ "ذي سَلَم"، فإنّها للظّرفية، والجارة لـ "دم" للتّعدية.

قال بعضهم : «وفي قوله "من مقلة" حشوٌ؛ لأنّ الدّمع لا يجري إلاّ منها، وأتى به للوزن، لا لمعنًى غيره، ويسمّون مثله الحشو، فإن اتّفق في قافية سمّوها : "قافية مستدعاة"؛ كقوله بعدُ : "فيُعرِب عَنه نَاطقٌ بِفَمِ"؛ فإنّ "بِفَمِ" يُعرف ممّا قبله، ويسمّون خلافها : "قافية غير مستدعاة"، وقد يجتمع في بيت الحشو والمستدعاة؛ كقول النّابغة(1) :

فحَسَبُوهُ، فألْفَوهُ، كما حَسَبَتْ   تِسعاً وتِسعينَ لم تَنقُصْ ولم تَزِدِ

فـ "لم تنقص" حشوٌ، و"لم تزد" مستدعاة».

قلت : هذا من كلام بعض الفضلاء، والمحقّقون من متأخّري المشارقة لم يعدّوا الحشو في البديع، وإنّما ذكروه في علم المعاني بالعَرَض، حيث ذكروا الإيجاز والإطناب والمساواة، فجرّ التقسيم إليه، فذكروه ليُجتنب، لا أنّه من محاسن الكلام.

---

(1) هو زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة النابغة الذبياني (..- نحو 18 ق هـ-..- نحو 604م). شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. كانت تضرب له قبة من جلد أحمر بسوق عكاظ فتقصده الشعراء، فتعرض عليه أشعارها. شعره كثير. وعاش عمرا طويلا. انظر الأعلام. الزركلي : 54/3.

وانظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب النويري : 276/10.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والجواب عن إلزام النّاظم الحشو : أنّ "بدم" يطلبه "مزجتَ" و "جرَى"، فيعمل فيه "جرى"، ويعمل "مزجت" في ضميره، ويكون حينئذ "جرى من مقلة بدم" احتراسًا، ويُسمّى أيضاً تكميلا، وربّما سُمّي تتميما[1]، وهو مقاصد؛ منها: أن يُؤتي في كلام يوهم خلاف المقصود بما يرفعه. وهو أيضاً أقسام، منها: أن يكون في آخر الكلام كما هنا، وبيانه أنّه لو اقتصر على قوله "مَزَجْتَ دَمْعًا بِدَمٍ" لكان ممّا يحتمل الكلام أنّ الدّمع بعد انفصاله من العين مزج بدم أجنبيّ، وليس هذا مقصوده، فرفعه بقوله : "جَرَى مِنْ مُقْلَةٍ بِدَمٍ"، والباء للمصاحبة؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2]، فلمّا كان يُتوهّم أنّ ذلّهم للمؤمنين لضعف، احترس بما بعده؛ ولذا عدّى "أذلّة" بـ "على"؛ لتضمّنه معنى عاطفين، وكقول كعب بن سعد الغنويّ[3] :

حَلِيمٌ، إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَـهُ   مَعَ الحِلْمِ، في عَيْنِ العَدُوِّ، مَهِيبُ

والاحتراس في قوله : "إذا ما الحِلْمُ زَيَّنَ أَهْلَهُ" وباقي البيت تأكيد لازمه.

---

(1) الاحتراس : هو زيادة إطنابيّةٌ في الكلام يَدْفَع بها المتكلّم إيهاماً اشتمل عليه كلامه، ويكون حينما يأتي المتكلم بكلام يوهم خلاف ما يُريد، ويأتي بَعْدَه بكلامٍ يدفع به ذلك الإيهام. انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني : 84/2.

(2) سورة المائدة : من الآية 54.

(3) هو كعب بن سعد بن عمرو الغنوي (.. - نحو 10 ق هـ= .. - نحو 612م). شاعر جاهلي. حلو الديباجة. أشهر شعره "بائيته" في رثاء أخ له قتل في حرب ذي قار. انظر الأعلام. الزركلي: 227/5. وانظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب النويري : 157/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فإن قلت : هلاّ كان "بدم" متعلّقا بـ "مَزَجْتَ" وما بينهما احتراس، فيكون من الاحتراس في أثناء الكلام، نحو : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا ﴾[1]؛ إنْ جُعل الضّمير للطّعام[2]، وكقول طرفة[3] :

فَسقى ديارَكَ غَيرَ مُفسِدِها ... صَوْب الربيعِ وديمةٌ تَهمْي

قلت : لا يُزال الإبهام؛ إذ لا يفيد أنّ الدّم من المقلة، ولهذا البحث اقتصرتُ في كتاب "**الاستيعاب**" على جعل "بدم" يتعلّق بـ "جرى"، وهو يُمجّ بأوّل وهلة، لأنّ المتبادر للفهم تعلّقه بـ "مَزَجتَ".

---

(1) سورة الإنسان : من الآية 8.

(2) اختلف المفسّرون في مرجع الضمير في ﴿عَلَى حُبِّهِ﴾، هل هو راجع على الطعام أم على الله تعالى؛ أيْ ويطعمون الطعام على حب الطعام لقلته عندهم، أم على حب الله.

(3) هو طرفة بن العبد بن سفيان بن سعد، أبو عمرو (نحو 86 - 60 ق هـ= نحو 538 - 564م). شاعر، جاهلي. ولد في بادية البحرين. واتصل بالملك عمرو بن هند فجعله في ندمائه. ثم أرسله بكتاب إلى المكعبر (عامله على البحرين وعمان) يأمره فيه بقتله، لأبيات بلغ الملك أن طرفة هجاه بها، فقتله المكعبر. انظر الأعلام. الزركلي : 225/3. وانظر البيت في زهر الآداب. القيرواني : 1135/4.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْإِعْرَابُ

تحتمل "الهمزة" الاستفهام المحض والتّقرير؛ إن جعلت "أم" إضراب انتقال لا إبطال على رأيْ بعضهم، ويدلّ عليه تعيين الموضعين. وهي للتعجّب عند بعضهم، قال : «والمعنى أنّه تعجّب من تذكّره». والتحقيق أنّه تعجّب من جعل التذكّر سببًا، ويحتمل الإنكار والتّوبيخ؛ لقوله بعدُ : "أيحسبُ.." و "لولا الهوى..".

ومن تذكّر : جار ومجرور.

وجيران : مضاف، وهو منصوب المحلّ، من إضافة المصدر إلى المفعول. والفاعل ضمير المخاطَب، وهو محذوف، أو مستتر على الرأيين. و"من" للتّعليل متعلّقة بـ "مَزَجْتَ".

ولمّا كان المستفهَم عنه أو المقرّر أو المنكر هو موجب المزج أولاه الهمزة؛ لأنّ همزة الاستفهام أو ما في حكمه لا يليها إلاّ المستفهم عنه أو ما في حكمه، فإن استفهمت عن الفعل قلتَ : أضربتَ زيدا؟ أو عن المفعول قلتَ : أزيدًا ضربتَ؟ وهكذا.. ولو استفهَم عن الفعل لقال : أَمَزَجْتَ؟

فإن قلتَ : المستفهَم عن كونه موجبًا أحد أمرين، والّذي أُولي الهمزة أحدُهما.

قلتُ : الثّاني منهما معطوف على الأوّل، وصحّة العطف مشروطة بصحّة وقوع المعطوف موقع المعطوف عليه، أو بولايته للعامل على

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الرّأيين، وأيضاً فإنّ كلاً منهما علّة مستقلّة، يصحّ قيامها مقام الأخرى، وهذا ظاهر على اتّصال "أم"، وفيه بحث على انقطاعها[1].

وبذي سَلَم : الباء ظرفية، وهو صفة لـ "جيران"، وعامله محذوف وجوبًا؛ أيْ كائنين.

ووقع في شرح شيخنا أبي العبّاس القصّار التّونسي - رحمه الله - في هذا المحلّ ما نصّه: «المجرور إن تعلّق بظاهرٍ، فلا محلّ له من الإعراب».

ويوجد مثله كثيرا له ولابن السيّد[2] شارح أبيات "**الجمل**" في شرحه المذكور[3]، وهي مسامحة ؛ أيْ لا محلّ له مستقلاًّ، وإلاّ فتظافرت نصوص المعربين والنّحويين على أنّ محلّه النّصب.

---

(1) تأتي "أَمْ" على وجهين:
الوجه الأول: أن تكون حرف عطف، ويسمّونها اصطلاحاً: المتّصلة، ولا بدّ في هذه الحال مِن أن تسبقها إحدى همزتين: همزة استفهام، نحو: أزَيد أم عمرو عندك؟، ويكون الجواب بالتعيين: زيد أو عمرو. أو همزة تسوية، وتقع "أَمْ" في هذه الحال بين جملتين نحو: سواءٌ عليّ أرضيتَ أم سخطتَ. تؤوَّلان بمفردَين، أي: رضاك وسخطك سواء.
والوجه الثاني: أن تكون حرف استئناف بمعنى: "بَلْ"، فلا يفارقها معنى الإضراب، ويسمّونها اصطلاحاً: المنقطعة، وتقع بين جملتين مستقلّتين، نحو قوله تعالى: "**تنْزيلُ الكِتَابِ لاَ رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ. أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ**". سورة السجدة: 2 و 3.

(2) هو عبد الله بن محمد بن السيد، أبو محمد البطليوسي (444 - 521هـ= 1052 - 1127م). ولد ونشأ في بطليوس في الأندلس، وانتقل إلى بلنسية فسكنها، وتوفي بها. من كتبه (الحلل في شرح أبيات الجمل). انظر الأعلام. الزركلي : 123/4.

(3) اسم شرحه : الحلل في شرح أبيات الجمل، وهو مطبوع.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ولا يصحّ تعلّق "بذي" بـ "تذكّر" ولا بـ "مزجتَ"؛ لأنّ المعنى يأباه، إذ لا فائدة في أن تكون: "تذكّرتهم بذي سَلَم"، أو في غيره على التّعيين موجبة للبكاء، بل موجبة تذكّرهم حيث كان، ومثله مزجه الدّمع بذي سَلَم، ولا يصحّ أن يتعلّق بلفظ "جيران"؛ لِما فيه مِن معنى المجاورة؛ لأنّه لا يدلّ إلاّ على أنّهم جاوروه بذي سَلَم، وأمّا أنّ موضعهم هو ذو سَلَم، فلا يفوت المقصود من براعة الاستهلال كما تقدّم.

ودمعًا : مفعول بـ "مزجت".

ومِن مقلة : متعلّق بـ "جرى"، و"مِن" لابتداء الغاية في المكان.

وبدمٍ : متعلّق بـ "جرى" أيضاً، وينازعه فيه "مزجتَ"، فيعمل "مزجتَ" في ضميره؛ أيْ مزجتَ دمعًا به، وتقدّم ما في تعلّقه بـ "مزجتَ" من البحث في ترجمة البديع فراجعه. والباء في "بدمٍ" للمصاحبة؛ أيْ مع دمٍ، وقيل: للإلصاق.

وجملة "جرى.." وما تعلّق به صفة لـ "دمع"، ويصحّ أن يكون "بدمٍ" حالاً من "دمع"؛ لوصفه بالجملة، أيْ كائنًا أو جاريًا، وهذا أظهر مع "دمٍ".

و "أم" متّصلة؛ لوقوعها بعد همزة يصلح في موضعها "أيّ". وهبّت: معطوف على "تذكّر"، والتّقدير : أمِن أجل أن تذكّرت؟ أم من أجل أن هبّت؟ أو أم مِن هبوب؟ لأنّ الفعل إذا عُطف على الاسم أو بالعكس، فلا بدّ من ردّ أحدهما إلى الآخر بالتّأويل.

وذهب شيخنا أبو العباس إلى أنّها منقطعة، وهي استئناف سؤال على جهة الإنكار والتعجب، وتقرير الإضراب عن الأوّل انتقالاً لا

مادة محمية بموجب حقوق النشر

إبطالاً، والمعنى : بل أهبّت الرّيح، وأومض البرق، فَبَكَيتَ. ولا يصحّ اتّصالها؛ لأنّ المتّصلة عاطفة، فتكون هنا عطفت جملة فعلية من غير تقدير حرف مصدريّ ولا ملفوظ به على اسم مجرور، وهو غير جائز.

قلتُ : وما قدّمناه من الإعراب والتقدير مشهور معلوم، لا حاجة إلى الاستشهاد عليه بنصّ أو مثال .

و "من تلقاء" متعلق بـ "هبّت"، و"مِن" لابتداء الغاية المكانية ، ويحتمل أن يكون حالا من "الرّيح".

وأومض : معطوف على "هبّت"، و "في الظّلماء" متعلق به أو حال من "البرق"؛ أيْ كائنًا أو باديًا، ومثله في الوجهين "من إضم"، و"مِن" لابتداء الغاية المكانية.

وأجاز بعضهم أن يكون "في الظّلماء" حالاً من "إضم"؛ من نعت النّكرة المتقدّم عليها. ولا كبير معنى له.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ولا يحتاج إلى تكرار هذه الترجمة في غير هذا الموضع، لأنّه تطويل من غير كبير فائدة. فنقول : هذه القصيدة من البحر المسمى بالبسيط، وسُمّي بسيطا لانبساطه عن بحرَي الطويل والمَديد، فجاء وسطه فَعِلُنْ، وآخره فَعْلُنْ؛ حكاه الأخفش[1] عن الخليل[2]. وقيل: لانبساط الأسباب في أوائل أجزائه السُّباعية؛ قاله الزجاج[3]. وقيل : لانبساط الحركات في عَروضه وضربه، وهو مثمّن في أصل الدائرة[4]، مبني من مُسْتَفْعِلُن فَاْعِلُنْ ومثلها، إلاّ أنّ عَروضه،

(1) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، أبو الحسن، المعروف بالأخفش الأوسط (...– 215هـ =...– 830م). نحوي، عالم باللغة والأدب، من أهل بلخ. سكن البصرة، وأخذ العربية عن سيبويه. وصنف كتبا، منها (تفسير معاني القرآن). انظر الأعلام. الزركلي : 101/3.

(2) هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليحمدي، أبو عبد الرحمن (100 – 170هـ= 718 – 786م). من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفا بها. ولد ومات في البصرة، وعاش فقيرا صابرا. انظر الأعلام. الزركلي : 314/2.

(3) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو اسحاق الزجاج (241 – 311هـ= 855 – 923م). عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. كان في فتوته يخرط الزجاج ومال إلى النحو فعلمه المبرد. وطلب عبيد الله بن سليمان (وزير المعتضد العباسي) مؤدبا لابنه القاسم، فدله المبرد على الزجاج، فطلبه الوزير، فأدب له ابنه إلى أن ولى الوزارة مكان أبيه، فجعله من كتابه. من كتبه (معاني القرآن). انظر الأعلام. الزركلي : 40/1.

(4) الدَّائِرَةُ في العَرُوض : هي التي حصر الخليل بها الشُّطُورَ لأَنها على شكل الدائرة التي هي الحلقة، وهي خمس دوائر : الأُولى فيها ثلاثة أَبواب؛ الطويل والمديد والبسيط، والدائرة الثانية فيها بابان؛ الوافر والكامل، والدائرة الثالثة فيها ثلاثة أَبواب؛ الهزج والرجز والرمل، والدائرة الرابعة فيها ستة أَبواب؛ السريع والمنسرح والخفيف والمضارع والمقتضب والمجتث، والدائرة الخامسة فيها المتقارب فقط. انظر علم العروض والقافية. عبد العزيز عتيق : ص 189.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وهو الجزء الأخير من الشّطر الأوّل من البيت، لم تستعمله العرب إلاّ مخبونة، وكذلك ضربها الأول. والضّرب : «الجزء الأخير من الشّطر الثّاني». ومعنى الخبَن : «حذف الثاني السّاكن، فيصيّرُ فَاْعِلُنْ فَعِلُنْ»، وله ثلاثة أعاريض وستة أضرب، فعروضه الأولى مخبونة، ولها ضربان؛ ضرب مثلها، وبيته[1] :

يَا حَارِ لاَ أرْمَينَ مِنْكُمْ بِدَاهِيَةٍ   لَمْ يَلْقَهَا سُوقَةٌ قَبْلي وَلا مَلِكُ

وهذه القصيدة من العروض الأولى من الضّرب الأوّل كهذا البيت، إلاّ أنّ الجزء الأوّل من البيت الأوّل في كلام الناظم مخبون؛ لأنّه حذف ثانيه السّاكن، ويجوز في هذا البحر من الزّحاف[2] الخبن والطيّ والخبل، فالخبن تقدّم، والطيّ : «حذف الرّابع الساكن من مُسْتَفْعِلُن»[3]، والخَبْل : اجتماعهما. فالخبَن يصيّرُ فَاْعِلُنْ فَعِلُنْ، ومُسْتَفْعِلُن مَفاعِلُنْ[4]، كما في جزء النّاظم الأوّل، وهو حسن، لا سيما في الخماسيّ؛ لاعتماده على الوتد بعده، والطيّ يصيّرُ مُسْتَفْعِلُنْ مُفْتَعلُنْ، وهو صالح، والخبل يصيّرُ مُسْتَفْعِلُنْ مُتَعِلُنْ، فينقل في الوزن إلى فَعِلتُن[5].

وفي البيت الأوّل التّصريع، وحقيقته في علم العروض : «أَنْ يُوَافِقَ العَرُوضُ الضّرْبَ فِي الشَّيءِ الّذي يَخْتَصُّ بِالضَّرْبِ».

---

(1) البيت لزُهَيْر بن أبي سُلْمَى. وانظر البيت في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 454/5.

(2) الزِحافُ في الشِّعْر : سمي بذلك لثِقَله، تُخَصُّ به الأَسْباب دون الأَوتاد إلا القَطْعَ فإنه يكون في أَوتادِ الأَعاريض والضُّرُوبِ، وهو سَقَطَ ما بين الحرفين حرف، فَزَحَفَ أَحدهما إلى الآخر.

(3) أيْ تحذف فاؤه فيبقى مُسْتَعِلُن، فينقل في التقطيع إلى مُفْتَعلُن.

(4) أيْ تحذف سينه فيبقى مُتَفْعِلُن، فينقل في التقطيع إلى مَفاعِلُنْ.

(5) لكنه غير مستحسن، ويصار إليه عند الاضطرار.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقسمه ابن الأثير[1] في كتاب "**المثل السّائر**" إلى سبعة أقسام باصطلاح آخر، وإنّ هذا الّذي عند النّاظم هو السّادس، ويسمّى "التّصريع المعلّق"؛ وهو : «أنْ يَكُون المِصْرَاعُ الأوّل مُعَلَّقًا عَلَى صِفَةٍ يَأْتِي ذِكْرُهَا فِي أَوَّلِ الثَّانِي»، وهو معيب جدًا؛ ومنه قول امرئ القيس[2] :

أَلاَ أَيُّها اللَّيْلُ الطَّويلُ أَلاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الإصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فإن "انْجَلِي" معلّق على "بِصُبْحٍ". ومنه قول المتنبّي[3] :

قَدْ عَلَّمَ الْبَيْنُ مِنَّا الْبَيْنَ أَجْفَانَا تَدْمَى وَأَلَّفَ فِي ذَا الْقَلْب أَحْزَانَاً

فعلّق "أَجْفَانَا" على "تَدْمَى".

واعترضه صاحب[4] "**الفلك الدّائر على المثل السّائر**" بأنّ السّادس هو الثّاني.

---

(1) هو نصر الله بن محمد بن محمد الشيباني، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب (558 - 637هـ= 1163 - 1239م). وزير، وهو أخو ابن الأثير المؤرخ. من العلماء الكتاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، وولى الوزارة للملك الافضل ابن صلاح الدين في دمشق. ثم انتقل إلى خدمة الملك الظاهر غازي (صاحب حلب) (سنة 607هـ). من تآليفه "المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر". انظر الأعلام. الزركلي : 31/8.

(2) انظر ديوانه : ص 49.

(3) وهو مطلع قصيدة في مدح أبي سهل سعيد بن عبد الله. انظر المثل السائر. ابن الأثير : 261/1.

(4) هو عبد الحميد بن هبة الله الشيعي المعتزلي المعروف بابن أبي الحديد، المتوفي سنة 655هـ، قيل : إنه صنف كتابه (الفلك الدائر على المثل السائر) في ثلاثة عشر يوماً. ونص قوله : «أقول: إنّ النوع السادس عند التحقيق هو النوع الثاني، فإن كان الثاني جيدًا كما زعم، فالثاني معيب». انظر كتابه الفلك الدائر على المثل السائر : 184/4.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وحقيقته عنده[1] : «أَنْ يَكُونَ المِصْرَاعُ الأوّل مُسْتَقِلاً بِنَفْسِهِ، وَالثَّانِي غَيْرَ مُسْتَقِلٍ بِنَفْسِهِ، بَلْ مُرْتَبِطًا بِالأَوَّلِ»؛ ومنه : "قِفَا نَبْكِ.." البيت[2]؛ لاستقلال مصراعه الأوّل، وارتباط الثّاني به. قال : «فإن كان هذا حسنا، فالثّاني كذلك، وإن كان معيبًا جدًا، فالثّاني مثله». وابن الأثير لم يقل في الثّاني إنّه بعيد، وأطال في بيان موافقتها[3].

---

(1) أيْ عند ابن الأثير.

(2) البيت لامرئ القيس (انظر ديوانه : ص 21)، وهو بتمامه :

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبيب ومَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فحَوْمَلِ

(3) قسم ابن الأثير التصريع إلى سبعة مراتب هي :

- **المرتبة الأولى** : وهي أعلى التّصريع درجة؛ أن يكون كل مصراع من البيت مستقلا بنفسه في فهم معناه غير محتاج إلى صاحبه الذي يليه، ويسمّى التصريع الكامل.
- **المرتبة الثانية** : أن يكون المصراع الأوّل مستقلا بنفسه غير محتاج إلى الذي يليه، فإذا جاء الذي يليه كان مرتبطا به.
- **المرتبة الثالثة** : أن يكون الشّاعر مخيرا في وضع كل مصراع موضع صاحبه، ويسمّى التّصريع الموجّه.
- **المرتبة الرابعة** : أن يكون المصراع الأوّل غير مستقل بنفسه، ولا يفهم معناه إلاّ بالثاني، ويسمّى التّصريع النّاقص، وليس بمرضيّ ولا حسن.
- **المرتبة الخامسة** : أن يكون التّصريع في البيت بلفظة واحدة وسطا وقافية، ويسمى التصريع المكرر، وهو ينقسم قسمين؛ أحدهما أقرب حالا من الآخر، فالأوّل : أن يكون بلفظة حقيقية لا مجاز فيها وهو أنزل الدرجتين. والقسم الآخر : أن يكون التّصريع بلفظة مجازية يختلف المعنى فيها.
- **المرتبة السادسة** : أن يذكر المصراع الأول، ويكون معلقا على صفة يأتي ذكرها في أول المصراع الثاني، ويسمّى التصريع المعلق، وهي التي ذكرها الامام ابن مرزوق.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وإليك النّظر في الفصل بينهما، فإنّا خشينا السّآمة، وأقرب الأمثلة المبيّنة للفرق بينهما؛ أن يجعل ما ذكر في السّادس كالموصول المفتقر لصلته، وما ذكر في الثّاني كالجملة الكائنة صفة للنّكرة قبلها؛ في افتقارها إلى موصوفها، واستغناء الموصوف في إفادة مدلوله عنها، فتأمّله[1].

- **المرتبة السابعة** : أن يكون التّصريع في البيت مخالفا لقافيته، ويسمى التصريع المشطور، وهو أنزل درجات التّصريع وأقبحها.
  انظر المثل السائر في آداب الكاتب والشّاعر. ابن الأثير : 240/1.

(1) ويكفيك بهذا التفريق بيانا.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْإِشَارَاتُ التَصَوُّفِيَّةُ

فتح الله بصائرنا لمعرفة ما أُريد بنا، وللعمل بما علّمنا بمنّه وفضله.

[البكاء لأجل حلول الموت]

اعلم - رحمَك الله - أنّه من المحتمل أن يكون أجرى الله على لسان هذا النّاظم الابتداء بذكر البكاء والاستفهام عن موجب مَزج الدّمع بالدّم لا عن المزج؛ لأنّ المزج مستحقّ الكينونة، ولا ينبغي أن يكون عن الاتّصاف به بينونة، فإنّ الله سبحانه وتعالى لمّا أخبر عن كيفية خلقه الموجودات، قدّم في الذّكر ما هو أعظم المصيبات، والغاية القصوى ممّا سُكبت من أجل حلوله العَبَرات؛ وهو الموت الّذي لا بدّ منه، ولا محيد لكلّ مخلوق ذي روح عنه، فقال تعالى : ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1].

فمن أُعلم أوّل كلّ شيء أنّ الموت مخلوق له، وحلوله به لا مردّ له، فكيف يلذّ قرارًا، أم كيف يضحك سرًا أو جهارًا، وليت إذْ كان الموت لم يكن سواه، ولا أهوال ومحاسبات، يكون بعدها للمرء في إحدى الدّارين مثواه :

وَلَــوْ أَنَّــا إِذَا مِتْنَــا تُرِكْنَــا ... لَكَانَ المَوتُ رَاحَـةَ كُـلِّ حَـيِّ

وَلَكِنّــا إِذَا مِتْنَــا نُشِــرْنَا ... وَنُسْأَلُ بَعْدَ ذَا عَنْ كُلِّ شيِّ[2]

---

(1) سورة الملك : من الآية 2.

(2) البيتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر الفاضل. المبرد : ص 13.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قــال الله تعــالى : ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[1]. ولا يخفــى أنّ الابتلاء للمجازاة. ورُوينا من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه[2] قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**»[3]. وفي بعض الرّوايات : «**وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ**»[4]. ويُروى أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال بإثر هذا : «**يا ليتني كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ**»[5]. رفعه بعضهم، ووقفه بعضهم[6]. وقال الله تعالى : ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾[7].

---

(1) سورة الملك : من الآية 2.

(2) هو أنس بن مالك الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة أو أبو حمزة (10 ق هـ- 93هـ= 612 - 712م). مولده بالمدينة، وأسلم صغيرا، وخدم النبي عليه السلام إلى أن قبض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 24/2.

(3) رواه البخاري في تفسير القرآن. باب ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ ..﴾.

(4) رواه الترمذي عَنْ أَبِي ذَرٍّ مرفوعا في الزهد. بَاب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا . وابن ماجه في الزهد. باب الْحُزْنِ وَالْبُكَاءِ. ورواه غيرهما، والحديث حسن. والصّعدات : جمع صعيد، وهو التراب، والمراد : الطرق. وتجأرون : الجؤار : الصياح والضجة، يعني : تستغيثون.

(5) هذه الزيادة واردة عند الترمذي وابن ماجة في البابين السابقين، كما وردت عند غيرهما. وتعضد : عضدت الشجرة ونحوه : إذا قطعتها.

(6) والصواب الوقف على أبي ذر رضي الله عنه. انظر سنن الترمذي. في الزهد. بَاب فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا.

(7) سورة التوبة : من الآية 82.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه[1] أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**لَا يدخلُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ حتّى يلج اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخِرَيْ عبد أَبَدًا**»[2]. وكفى بهذا دليلاً على الرّغبة في استدامة البكاء والحزن، وموجب البكاء خوفُ الله أن يحلّ به مكروه أو يفوته محبوب.

---

(1) هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، الملقب بأبي هريرة (21 ق هـ- 59هـ= 602 - 679م). صحابي، كان أكثر الصحابة حفظا للحديث ورواية له. نشأ يتيما ضعيفا في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بخيبر، فأسلم سنة 7هـ، ولزم صحبة النبي صلى الله عليه وسلم. وكان أكثر مقامه في المدينة، وتوفي فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 308/3.

(2) رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ موقوفا في الجهاد. باب مَا ذُكِرَ فِي فَضْلِ الْجِهَادِ وَالْحَثِّ عَلَيْهِ. الحديث رقم 19364. والنسائي في سننه في الجهاد. بَابُ: وُجُوب الْجِهَادِ. ورفعه أحمد بلفظي "امرئ" و "مسلم" بدل "عبد". الحديث رقم 10560. كما رفعه غير واحد بدون قوله "فِي مَنْخِرَيْ عبد أَبَدًا". والحديث صحيح.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[البكاء لأجل المصير يوم القيامة]

ويحتمل أن يكون تنبيه الله تعالى إيّاك ببكاء النّاظم من أجل تذكّر جيران بذي سَلَم؛ أن تبكي خوفًا أن لا تكون مجاورًا لأهل الجنّة؛ لأنّهم الكائنون بذي سَلَم؛ فإنّ الجنّة دار السّلام، ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾[1]، ﴿ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٌۚ ﴾[2]، و ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ ﴾[3]. أو أن تكون من أهل النّار، وكنّي عنها بكاظمة، فإنّها تنطبق على أهلها وتكظمهم، و ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾[4] في يوم القيامة، وهي الآن كاظمة - أجارنا الله تعالى منها بفضله -، وأيضاً بهبوب الرّيح وإيماض البرق، فإنّ في الحديث : إذا كانت الرّيح والسّحاب تغيّرَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَخَلَ وَخَرَجَ، وعُرف ذلك منه، حتّى قيل له في ذلك، فقال : «**مَا أَدْرِي، وَلَعَلَّهَا كَمَا قَالَتْ عَادٌ** : ﴿ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ ﴾[5]». فإذا أمطر سُرِّيَ عَنْهُ[6].

---

(1) سورة يونس : من الآية 25.

(2) سورة يونس : من الآية 10.

(3) سورة الرعد : من الآية 24.

(4) سورة الملك : من الآية 8.

(5) وردت مقالة عاد هذه في سورة الأحقاف : من الآية 24.

(6) رواه البخاري عن عَنْ عَائِشَةَ في بدء الخلق. باب مَا جَاءَ فِى قَوْلِهِ ﴿**وَهْوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيَاحَ نُشُرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ**﴾. ومسلم في صلاة الاستسقاء. باب التَّعَوُّذِ عِنْدَ رُؤْيَةِ الرِّيحِ وَالْغَيْمِ وَالْفَرَحِ بِالْمَطَرِ. ورواه غيرهما.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال تعالى : ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1]. لا سيما والنّاظم وَحَّدَها. وأمّا البرق؛ فقال تعالى : ﴿ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَاعِقِ ﴾ [2]. ثمّ قال : ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [3]. ولأنّ البرق نار أو كالنّار.

(1) سورة الأحقاف : من الآية 24.

(2) سورة البقرة : من الآية 19.

(3) سورة البقرة : من الآية 20.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[علّة تكنية جهنم بكاظمة]

بل إنّما كنّي عن جهنّم بكاظمة؛ أيْ مكظومة؛ لأنّها مقيّدة عن الخلائق اليوم، ففاعل بمعنى مفعول، كما دَافِق بمعنى مَدْفُوق، وسِعْرٌ قاطٌّ[1] بمعنى مَقْطوطٌ، وكَاتِم أيْ مَكْتُوم، ويحتمل أن يكون بمعنى فَاعل على حقيقته، فهي كاظمة اليوم غيظها، وفي القيامة تبديه انتقامًا من أعداء الله. قال الله تعالى : ﴿ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾[2]. ومن غيظها قولها : ﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴾[3]، إذا قيل لها : ﴿ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ ﴾[4]؛ فِعل المُتغيّظ الّذي لا يشبعه انتقام.

ومن الأوّل ما رُوينا في صحيح "الموطّأ" وغيره من قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**اشْتَكَتْ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ : يَا رَب أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ.. نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ..**». الحديث[5]. فهل هذا إلاّ ممّا يدلّ على أنّها مكظومة.

ويحتمل أن يُراد بالرّيح ريحها، وبإيماض البرق لَهَبها، ولعلّه العُنق الذي يخرج منها لالتقاط أهلها، فلهي أعرَف بهم من الوالدة بولدها؛ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أجارنا الله منها بمنّه - ثمّ

(1) سِعْرٌ قاطٌّ : أيْ غَلا.

(2) سورة الملك : من الآية 8.

(3) سورة ق : من الآية 30.

(4) سورة ق : من الآية 30.

(5) رواه مالك في الموطأ عن عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ مرفوعا في وقوت الصلاة. بَاب النَّهْيِ عَنْ الصَّلَاةِ بِالْهَاجِرَةِ. ورواه أيضاً البخاري عن أَبي هرَيْرَةَ مرفوعا في بدء الخلق. باب صِفَةِ النَّارِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ. ورواه غيرهما.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

تلتقطهم التقاط الطَّائِرِ حَب السِّمْسِمِ[1]. أو حين تَزْفِرُ زَفْرَةً، فَلا يَبْقَى مَلَكٌ مُقَرَّب وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ إِلَّا جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ؛ كما في الصّحيح[2]، ويدلّ عليه قوله : "في الظَّلْمَاءِ"؛ فإنّها سوداء مظلمة، ففي الحديث : «**أُوقِدَ عَلَيها.. حتّى ابْيَضَّتْ.. ثُمَّ حتّى احْمَرَّتْ.. ثُمَّ حتّى اسْوَدَّتْ، فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ**»[3]. فإن قدّرتَ خطابه هذا لمن بكى، فظاهرٌ، وإن قدّرتَه لمن لم يَبْكِ، فلعلّه من تجاهل العارف، أو من تنزيل الجاهل منزلة العالم، لأنّ معه ما إن تأمّله أدنى تأمّل علم حقيقتهما وعظيم شأنهما؛ كقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ ﴾[4]. خاطبهم بـ "إنْ"؛ الّتي يُخاطب بها الشّاك - وإن كان رَيبهم محقّقًا -تنبيهًا على أنّه لا ينبغي لهم أن يشكّوا، وإنّما يُفرض شكّهم كما تُفرض المحالات، لأنّ الأمر ظاهرٌ، وكذا هنا؛ أيْ ينبغي لكلّ مكلّف أن

---

(1) قال أحمد البوصيري : رواه الحارث بن أبي أسامة موقوفًا بإسناد حسن. انظر إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة. أحمد بن أبي بكر البوصيري : 162/8.

(2) الحديث غير وارد في كتب الصحاح، وإنّما رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه عن كعب موقوفا في ذكر النار. باب مَا ذُكِرَ فِيمَا أُعِدَّ لِأَهْلِ النَّارِ. الحديث رقم 34118.

(3) رواه بهذا اللفظ ابن أبي شيبة في مصنفه عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ موقوفا في ذكر النار. باب مَا ذُكِرَ فِيمَا أُعِدَّ لِأَهْلِ النَّارِ وَشِدَّتِهِ. الحديث رقم 34165.

ورواه الترمذي وغيره بلفظ : «**أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حتّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حتّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حتّى اسْوَدَّتْ فَهِىَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ**». في صفة جهنم. باب مِنْهُ. وقال الترمذي : حَدِيثُ أَبِى هرَيْرَةَ فِى هذَا مَوْقُوفٌ أَصَحُّ وَلاَ أَعْلَمُ أَحَدًا رَفَعَهُ غَيْرَ يَحْيَى بْنِ أَبِى بُكَيْرٍ عَنْ شَرِيكٍ.

(4) سورة البقرة : من الآية 23.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

يبكي مخافة فوت الجنان أو مخافة مقاساة النّيران، حتّى أنّه لا يُسأل عن بكائه بل عن أحد السّببين، فإنّه ليس بعد الموت من مستعتب، ولا بعد الدّنيا من دار إلاّ الجنّة أو النّار، ولا شكّ أنّ البكاء يكون للأمرين، على أنّ فَوْت نعيم الجِنان أسهل وأيسر من مقاساة عذاب النّيران.

أدخلنا الله الجنّة، وأجارنا من النّار برحمته.

وإنّما وفّق للابتداء بذكر الجنّة، وإن كان درء المفاسد أهمّ؛ لقوله تعالى فيما حكى عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»[1].

---

(1) رواه البخاري عَنْ أَبِي هرَيْرَةَ مرفوعا في التوحيد. بَاب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ ﴿وَهُوَ رَب الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾. ورواه غيره.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[علة ذكر الجيران]

ويحتمل أن يكون النّاظم أراد بالجيران محمّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه، فإنّ ذكر المحبوب يوجب بكاء المُحبّ، إمّا لمجرّد المحبّة، فإنّه لا يتملّأ منه وإن كان حاضرًا، وإمّا للاشتياق إليه لمفارقته، أو تعظيمًا وإجلالاً أو غير ذلك.

ولقد كان كثير من الصّحابة رضوان الله عليهم يدركه شِبْهُ الْمَوْتِ إذا ذكر النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فمنهم من يضطرب، ومنهم من يصفرّ لونه، ومنهم من يُغشى عليه؛ كعبد الله بن مسعود[1] وغيره - رضوان الله عليهم -، وكذا جماعة من التّابعين والسّلف الصّالح[2].

حشرنا الله في زمرتهم وأماتنا على حب نبيّه محمّد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسائر أنبيائه عليهم السّلام وحبّهم.

---

(1) هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أبو عبد الرحمن (.. - 32هـ= .. - 653م)، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة. وكان خادم رسول الله الأمين. وولي بعد وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيت مال الكوفة. ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 137/4.

(2) ينقل القاضي عياض جملة من الأخبار في ذلك، منها قوله : «قَالَ مُصْعَبُ بن عَبْد الله : كَانَ مَالِكٌ إِذَا ذُكِرَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَغَيَّرُ لَوْنُهُ.. وَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى جَعْفَر بن مُحَمَّدٍ، وَكَانَ كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّم، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيّ صلى الله عليه وَسَلَّمَ اصْفَرَّ.. وَلَقَدْ كَانَ عَبْد الرَّحْمن بن الْقَاسِمِ يَذْكُرُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ نُزِفَ مِنْهُ الدَّمُ..». انظر كتاب الشفا : 42/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ترقي الناظم بذكر تأسفه على الجنة ثم تذكّره النار]

ويحتمل على الوجه الأوّل أن يكون على الترقّي، فإنّه لمّا ذكر البكاء على الجنّة؛ إمّا خوفًا ألاّ يدخلها، أو تأسّفًا على فراقها حين أُخرج منها آدم عليه السّلام، تذكّر النّار وأليمها، فأضرب عن ذلك، واستفهم عن الموجب الآخر، وهو خوف النّار، لا سيما على القول بانفصال "أَمْ"، على أنّ هذا التقرير متأتٍ مع الاتّصال.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ملازمة الحزن خوفا من نقم الله]

وفي كلامه أيضاً إشارة إلى أنّ الحزن لا ينبغي أن يفارق المكلّف لا باطنًا كما في التذكّر، ولا ظاهرًا كما يشاهد بحواسه الظّاهرة ما لا ينفكّ الوجود عنه غالبا من ريح أو برق، ولا نهارًا كما عند هبوب الرّيح من تلقاء كاظمة، فإنّه لا يتحقّق صوبها حقّ التّحقيق إلاّ مع النّظر إلى دلائل كونها من تلك الجهة، وذلك نهارًا لا ليلاً، كما عند إيماض البرق في الظّلماء، وكأنّه حذف من الأوّل ما أثبت نظيره في الثّاني؛ أيْ هبّت الرّيح في الضّوء من تلقاء..، فيكون فيه على هذا طباق خفيّ، فيلحق هذا بترجمة البديع، ومثاله : ﴿ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا ﴾[(1)]؛ لأنّ الإغراق يستلزم الماء. ويحتمل أن يكون ابتداؤه بالبكاء تنصّلاً منه، وتوبةً ممّا جنت يده في سالف الدّهر، كما نبّه عليه في قوله :

خَدَمْتُهُ بمديح أستَقِيل بِهِ ذُنوب عُمْر مَضَى في الشِّعرِ والخِدَمِ

أو يكون تنبيهًا منه على أنّه لم يبق له رجاء في كشف ما نزل به إلاّ بالله، وأنّ أمره بلغ منتهاه : ﴿ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[(2)]. ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾[(3)]. ﴿ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾[(4)]. وبالجملة فالتزام الحزن والبكاء خوفًا من نِقم الله، لا يسكن إلاّ قلب

---

(1) سورة نوح : من الآية 25.

(2) سورة الأنبياء : من الآية 83.

(3) سورة النمل : من الآية 62.

(4) سورة الأنعام : من الآية 43.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

تقيّ، كما قال بشر الحافي(1) : «الخَوْفُ مَلَكٌ، وَلاَ يَسْكُنُ إلاَّ في قَلْب تَقِيٍّ»(2). وقال شاه الكرماني(3) : «عَلاَمَةُ الخَوْفِ مِنَ اللهِ الحُزنُ الدّائمُ»(4). وقال معاذ بن جبل(5) : «المؤمنُ لا يطمئنُّ قلبُه، ولا تسكُنُ رَوعتُه، حتّى يخلّف جسرَ جَهَنَّمَ وَرَاءَ ظَهرِه»(6).

وقال سفيان بن عُيينة(7) : «لو أنّ مَحزونًا بَكى في أمّةٍ، لَرحِم اللهُ تلكَ الأمّة ببُكائِه»(8).

---

(1) هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي (150 - 227هـ= 767 - 841م). له في الزهد والورع أخبار، وهو من ثقات رجال الحديث، من أهل (مرو) سكن بغداد وتوفي بها. انظر الأعلام. الزركلي : 54/2.

(2) الذي وقفت عليه من قول بشر الحافي هو : «الحزن مَلَك، فإذا سكن في موضع لم يرض أن يساكنه أحد». انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 267/1.

(3) هو شاهُ بنُ شُجاعٍ، أبو الفَوارِس. كان من أولاد الملوك. و كان من أَجِلّة الفِتْيان. وله رِسالاتٌ مشهورة، و المُثَلَّثَةُ التي سَمَّاها (مِرْآة الحكماء). مات قبل الثلثمائة. و يقال إن أَصْلَه من "مَرْو". انظر صفة الصفوة. ابن الجوزي : 67/4.

(4) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 253/1.

(5) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن (20 ق هـ- 18هـ= 603 - 639م). صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام. وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن. أسلم وهو فتى. وشهد العقبة مع الأنصار السبعين. توفى بناحية الأردن، ودفن بالقصير المعيني (بالغور). انظر الأعلام. الزركلي : 258/7.

(6) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 253/1.

(7) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد (107 - 198هـ= 725 - 814م). محدث الحرم المكي. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكة وتوفي بها. كان حافظًا ثقة، واسع العلم كبير القدر. انظر الأعلام. الزركلي : 105/3.

(8) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 268/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقـال الفضـيل[1] : « خمـسٌ مِـن عَلاَمَـات الشّـقاءِ : القسـوةُ فـي القلبِ، وجمودُ العينِ، وقلّةُ الحياءِ، والرّغبةُ في الدّنيا، وطُولُ الأمَلِ»[2].

وقـال بعـض السّـلف : «أَكْثَـرُ مَـا يَجِـدُهُ الْمُـؤْمِنُ فِـي صَـحِيفَتِهِ مِـنْ الْحَسَنَاتِ الْهَمُّ وَالْحُزْنُ»[3].

وأكثرهم على أنّ المحمود من الحزن ما يتعلّق بالآخرة.

وقـال أبـو عثمـان الحيـري[4] : «الحُـزنُ بكـلِّ وَجـهٍ فَضِـيلةٌ ورَاحَـةٌ للمُؤمِنِ إلاَّ بِمَعْصيةٍ، لأنّهُ إنْ لَمْ يُوجب تَخصيصاً، يُوجب تَمحيصاً»[5].

---

(1) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي (105 - 187هـ= 723 - 803م). شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصلحاء. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعي. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة وهو كبير، وأصله منها. ثم سكن مكة وتوفي بها. انظر الأعلام. الزركلي : 153/5.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 370/2.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 269/1.

(4) هو أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الواعظ الحيري؛ ولد بالري ونشأ بها ثم انتقل إلى نيسابور فسكنها إلى أن توفي بها سنة ثمان وتسعين ومائتين. انظر صفة الصفوة. ابن الجوزي : 103/4.

(5) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 268/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

تَّبِيهٌ

قال الحيري : «عَيب الخَائِف في خَوفِه السّكونُ إلى خَوْفِه[1]؛ لأنّهُ أَمرٌ خَفِيٌّ»[2].

وفي الكلام من الإشارات أكثر من هذا، وفيما ذكرناه مع التّوفيق مقنع. والله المستعان.

❁ ❁ ❁

(1) أقول : أيْ يقع تحت سيطرته وهيمنته، فيوقعه في اليأس من رحمة الله والعياذ بالله، ويقعده عن العمل للنجاة مما يخافه.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 253/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فمَا لِعَيْنَيْكَ إنْ قُلتَ اكْفُفَا هَمَتَا وَمَـا لِقَلْبِـكَ إنْ قُلْـتَ اسـتَفِقْ يَهِـمِ
أيحَسَبُ الصَبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ مَـا بَـيْنَ مُنْسَـجِمٍ مِنْـهُ ومُضْـطَرِمِ

شَرْحُ ٱلْغَرِيْبِ

اكْفُفَا : احبسا عن البكاء. كففتُ الرّجل عن الشّيء : حبستُه عنه. وكفّ عن كذا؛ إذا لم يفعله[1].

وهَمَتَا : سالتا، يُقال هَمَا الماء والدّمع يَهْمي هَمْياً وهَمَياناً؛ إذا سال[2].

والعين : حاسة الرّؤية، وهي مؤنّثة، والجمع أعيُن وعُيُون وأعْيَان، وتصغيرها عُيَيْنَة، ومنه قيل ذو العُيَيْنتين للجاسوس، ولا تقل : ذو العَينَين[3].

والقلب : الفُؤاد، وقد يُعبّر به عن العقل، قال الفَرَّاء[4] : «قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾[5]؛ أيْ عقل»[6].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1422/4. مادة كفف.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2536/6. مادة همى.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2170/6. مادة عين.

(4) هو يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد (أو بني منقر) أبو زكرياء، المعروف بالفَرَّاء (144 - 207هـ= 761 - 822م). إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. ولد بالكوفة، وانتقل إلى بغداد، وتوفي في طريق مكة. انظر الأعلام. الزركلي : 145/8.

(5) سورة ق : من الآية 37.

(6) انظر الصحاح. الجوهري : 204/1. مادة قلب.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة القلب]

وهو شكل صنوبريّ، وموضعه من الجسد وسط الصّدر، وهو منبع الحياة، ويغذو الجسم بالحياة، ولولا القلب كان الجسم كسائر الأجسام النّامية غير الحسّاسة، وهو عنصر لحرارة الجسم، وينفذ في العرق المسمّى بالأبهر ما ينفذ من الدّماء، وبالجملة هو أحد أصول أعضاء الجسم الأربعة[1]. وقال الأصمعي : «وفي البطن الفؤاد، وهو القلب»[2]. ومنه سويداؤه، وهو علقة سوداء، إذا شُقّ القلب بدت كأنّها قطعة كبد. وحدّث سُلَيْمَان بن حَرْب الواشحي[3] قال حدّثنا حمّاد بن زيد[4] عن عَاصِمُ بْنُ بَهْدَلَةَ[5] عن أبي صالح[6] عن أبي هريرة قال :

---

(1) أعضاء الجسم الأربعة عند علماء التشريح قديمًا هي : القلب، الكبد، الطحال، الدماغ. وانظر حقيقة القلب في النفحات الشاذلية في شرح البردة البوصرية. الحمزاوي : ص 343.

(2) انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري. العيني : 298/1.

(3) هو سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي الواشحي أبو أيوب (140 - 224هـ= 757 - 839م). قاض، من أهل البصرة، سكن مكة وولي قضاءها، ثم رجع إلى البصرة فتوفي فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 122/3.

(4) هو حماد بن زيد بن درهم الأزدي الجهضمي، البصري، أبو إسماعيل يعرف بالأزرق (98 - 179هـ= 717 - 795م). أصله من سبي سجستان، ومولده ووفاته في البصرة. وكان ضريرًا طرأ عليه العمى. انظر الأعلام. الزركلي : 271/2.

(5) هو عاصم بن أبي النجود بهدلة الكوفي الأسدي بالولاء، أبو بكر (.. - 127هـ= .. - 745م). أحد القراء السبعة تابعي، من أهل الكوفة، ووفاته فيها. كان ثقة في القراآت، صدوقا في الحديث. قيل : اسم أبيه عبيد، وبهدلة اسم أمه. انظر الأعلام. الزركلي : 248/3.

(6) هو ذكْوَان أَبُو صَالح السمان الزيات مِنْ كِبَارِ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، كَانَ يَجْلِب السَّمْنَ وَالزَّيْتَ إِلَى الْكُوفَةِ، قِيلَ : إِنَّهُ شَهِدَ حِصَارَ يَوْمِ الدَّارِ. تُوُفِّيَ سنة 101هـ. انظر تاريخ الإسلام. الذهبي : 189/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

«الْقَلب مَلكُ، وَلِلمَلكِ جُنودٌ، فرِجْلَاهُ بَرِيدَاهُ، وَيدَاهُ جَنَاحاهُ، وَالعَيْنانُ مَسلَحَةٌ، وَالْأُذُنَانِ قِمعٌ، وَاللِّسانِ تَرْجُمانٌ، وَالكَبدُ رَحْمةٌ، وَالْكُلْيَتانِ مَكِيدَةٌ، وَالطِّحالُ ضحِكٌ، وَالرِّئةُ نَفسٌ، فَإِذَا صلَحَ الْمَلكُ؛ صلَحَت الْجُنُودُ، وَإِذَا فَسَدَ الْمَلِكُ؛ فَسَدَت الْجُنُودُ»[1].

واستفِق : معناه أَفِق. قال الجوهري : «استفَاقَ مِن مَرضِه ومِن سُكره؛ بمعنَى أفَاقَ»[2].

ويَهِم : مضارع هَامَ على وجهه، يَهيمُ هَيْماً وهَيَمَاناً : ذهب من العشق أو غيره، وقلب مستهامٌ؛ أيْ هَائِم. والهُيامُ كالجنون من العشق. وهَامَ في العشق : لا يدري أين هو[3].

أيَحْسِب : معناه أيظنّ. يقال منه : حَسِب يحْسِب بكسر العين في الماضي والمستقبل، وهو شاذ. ونقل في "**التّسهيل**" أنّ فيه الفتح أيضاً[4]. والقياس في كلّ فعل مكسور العين في الماضي، أن تُفتح عينه في المضارع، إلاّ ما شذّ بالكسر خاصّة، وهي ألفاظ محفوظة منها : ومِق يمِق، وما جاء بالوجهين؛ منها : حَسِب[5].

---

(1) رواه البيهقي موقوفا في شعب الإيمان في الإيمان بالله. الحديث رقم 108. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: «هكَذَا جَاءَ مَوْقُوفًا، وَمَعْنَاهُ فِي الْقَلْب جَاءَ فِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ مَرْفُوعًا، أَخْبَرَنَاهُ أَبُو عَبْدِ اللهِ الْحَافِظُ، أخبرنا أَبُو سَعِيدٍ أَحْمَدُ بْنُ محمد النَّسَوِيّ».

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1547/4. مادة فوق.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2063/5. مادة هيم.

(4) انظر تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد. ابن مالك : ص 195.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 109/1. مادة حسب.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الصَبُّ : "فَعِل" - بكسر العين - من الصّبابة، وهو رقّة العشق وحرارته.

قال الجوهري : «يُقال : رجل صبٌّ : عاشقٌ مشتاقٌ، وقيل : مُسْتَهَامٌ، وقد صَبِبْتَ يا رجلُ؛ بالكسر. قال :

ولَسْتَ تَصَبُّ إلى الظَّاعِنينَ   إذَا مَا صَديقُكَ لم يَصْبَبِ»[1]

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 161/1. مادة صبب. والبيت للكُمَيْت. والظاعنين الذين ظعنوا، أيْ : بانوا عنه.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الحب والعشق والفرق بينهما]

ولا بدّ من ذكر بعض ما قيل في حقيقة الحبّ والعشق والفرق بينهما، فإنّ الصَبّ هو: العاشق المُستهام، والحبّ والهوى مترادفان.

رُوي أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إيَّاكُم وَالنّظْرَة، فإنّها تَزْرَعُ في القَلب شَهوَةً، وكَفَى بها فِتْنَةً**»[1].

وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**القُلُوب أَجْنَادٌ مُجَنَّدَةٌ**»[2]. ويروى: «**الأَرْوَاحُ**»[3]. «**مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**». وعقده أبو نواس[4] فقال:

إنّ القُلوب لأَجْنَادٌ مُجنَّدَة ... لله في الأَرْضِ بالأهْواءِ تعترفُ
فما تَعارَفَ منْها فهْوَ مُؤتَلِفٌ ... وما تَناكَرَ منْها فهو مُخْتَلِفُ

---

(1) رواه البيهقي في الزهد الكبير عن عيسى المرادي من قول عيسى عليه السلام. فصل في ترك الدنيا ومخالفة النفس والهوى. الحديث رقم 396.

(2) رواه بهذا اللفظ الخرائطي في اعتلال القلوب عن أبي هريرة مرفوعا في باب دلالة المحبة وشواهدها. الحديث رقم 448.

(3) رواه بهذا اللفظ البخاري في البر والصلة والآداب. بَاب الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ.

(4) هو الحسن بن هانئ بن عبد الأوّل بن صباح الحكمى بالولاء، أبو نواس (146 - 198هـ= 763 - 814م). شاعر العراق في عصره. ولد في الأهواز (من بلاد خوزستان) ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد، فأقام إلى أن توفي فيها. انظر الأعلام. الزركلي: 225/2.

وانظر البيتين في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي: 439/4.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وعن علي[1] : «آفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى»[2].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : «الْهَوَى إِلَهٌ معْبُودٌ. قال تعالى : ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ ﴾[3]»[4].

وقال بعضهم : «الحُبُّ : صَفَاءُ الحَالِ بَيْنَ الحَبِيب وَحَبِيبِهِ»[5].

وقال أبقراط[6] : «الهوى امتزاج النّفس بالنّفس، كالماء بمثلِه، عسُر تخليصُه، بل لا يمكن، والنّفس ألطفُ من الماءِ وأرَقّ مسلكًا، فلذلك لا يُزيله مرّ اللّيالي، دَقّ عن الأوهام مسلكُه، وخَفِي عن الأبصار موضعُه، وحارت العقولُ دون كيفيةِ تمكّنِه، غيرَ أنّ ابتداء حركتِه وعِظم سلطانِه

---

(1) هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن (23 ق هـ- 40هـ= 600 - 661م). أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين، وابن عم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء، ولد بمكّة، وربي في حجر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يفارقه. انظر الأعلام. الزركلي : 295/4.

(2) لم أقف عليه من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وإنّما وقفت عليه من قول ابْنُ دُرَيْدٍ، والبيت بتمامه: وَآفَةُ الْعَقْلِ الْهَوَى فَمَنْ عَلَا عَلَى هوَاهُ عَقْلُهُ فَقَدْ نَجَـا

انظر الآداب الشرعية. ابن مفح : 131/3.

(3) سورة الفرقان : من الآية 43.

(4) انظر أدب الدنيا والدين. ابن أبي الدنيا : 29/1.

(5) لم أقف على قائله.

(6) هو أبقراط بن أيراقليدس بن أبقراط، أبو الطب، وهو أشهر الأطباء الأقدمين، ولد بجزيرة كوس حوالي سنة 460 قبل الميلاد، وتوفى سنة 377 قبل الميلاد، تعلم صناعَة الطِّبّ من أَبِيه أيراقليدس وَمن جده أبقراط، وهما أسرَّا إِلَيْهِ أُصُول صناعَة الطِّبّ. انظر عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة : ص 43.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

مـن القلـبِ، ثُـمّ يعـمّ الأعضـاءَ، فتبـدُو رعـدةُ الأطـرافِ وصُـفرةُ الألـوانِ ولجْلَجَةُ الكَلامِ وضُعفُ الرّأيْ وثقلُ اللّسانِ، حتّى يُنسب صاحبُه إلى النّقصِ»[1]. ووصفه أعرابي فقال: «داءٌ تُدوَى به النّفوسُ الصّحَاحُ، وتَسيلُ مِنه الأرْواحُ، وهـو سُـقم مُكتـتمٌ، وجمـرٌ مضْـطرِمٌ؛ فـالقلوب لـه منضِـجةٌ، والعيـونُ ساكبةٌ»[2].

قلت: ولعلّ النّاظم من قول الأعرابي أخذ قوله: "فَمَا لِعَيْنَيْكَ.. وَمَا لقلبِكَ..".

وعـن المظفّـر بـن يحيـى[3]: «أحـبّ رجـلٌ امـرأةً دونـه فـي القـدر، فعُذِل. فقال: لاَ تَلُم مُجبراً على سقمِه؛ فالمقرّ على نفسه مُستغنٍ عن مُنازعة خَصمه، وإنّما يُلام مَن اقترفَ ما يقدرُ على تركِه، وليسَ الهَوَى إلى الرّأيْ فيملكَه، ولا إلى العقل فيدبّرَه؛ بل قدرتُه أغلَبَ، وجانبُه أعزّ من نُفُوذ حِيلة حَازم فيهِ، أو لُطف مُحتال»[4].

وعاتبت امرأةٌ من المدينة أخرى على هوى لها، فقالت: «يُقال في الحكمة الغابرة.. لا تلومَنَّ من أَسَاء بك الظنّ.. إذا جعلتَ نَفسك هَدَفاً للتّهمَة، ومن لم يكن عَوناً على نفسِه مَع خصمه، لم يكن معه شيءٌ من

---

(1) وينسب هذا القول أيضاً لأرسطو. انظر روضة المحبين. ابن القيم: ص 140.

(2) انظر زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني: 125/2.

(3) هو المظفر بن يحيى بن أحمد بن هارون بن عروة بن المبارك أبو الحسن بن الشرابي، كان جده شرابي المتوكل، مولده سنة ست وستين ومائتين، توفى سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة. تاريخ بغداد. الخطيب البغدادي: 129/13.

(4) انظر زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني: 125/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

عُقْدة الرّأي، ومن أقدَم على هَوىً، وهو يعلمُ مَا فيه مِن سوء المغبّة، سلّط على نفسه لسانَ العَذْل، وضَيّع الحزمَ». فقالت المعذولة : «ليس أمر الهوى إلى الرّأيْ فيملكه، ولا إلى العقل فيدبّره، وهو أغلب قدرةً، وأمنع جانباً من أن تنفذ فيه حيلة الحازم، أَوَ مَا سمعتِ قوله :

لَيْسَ خَطب الهوَى بخطْب يسيرِ لا يُنَبِّئْكَ عنه مِثْلُ خَبيرِ
لَيْسَ خَطب الهَوى يُدَبَّرُ بالرَّأْ ي ولا بالقياسِ والتّفْكِيرِ
إنّما الأمرُ في الهوى خَطَراتٌ محدَثاتُ الأمورِ بَعْدَ الأمورِ»[1]

وقالوا : «العِشقُ شِدّة الحُبّ، وأكثرُ من الحبّ الكَلَفُ، وأكثرُ منه الشّغفُ والهُيامُ، والفَرق بينَ الحبّ والعِشقِ؛ أنّ العِشقَ مقرونٌ بالشّهوةِ، والحبّ مجرّدٌ عنها غالبًا : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[2]»[3]. وقال بعض المتكلّمين : «العِشقُ إرادةٌ تصدرُ عَن فرطِ مَيلِ اللّحظِ وكَثْرةِ الاسْتِحْسَانِ بِمناسَبةٍ رُوحانيّةٍ، ومُجاذبة مُؤلفة فَلكيّة»[4]. غير أنّ الإنسان يتعرّض فيعجبه أن يقع، وهو مخصوص بالشّباب، فإن أصاب مسنًا فتلك فتنة.

---

(1) انظر زهر الأداب وثمر الألباب. القيرواني : 125/2. والأبيات لعلية بنت المهدي.
(2) سورة البقرة : من الآية 222.
(3) انظر الكليات. أبو البقاء الكفوي : 623/1.
(4) أقول : اختلف الناس في العشق؛ هل هو اختياريّ، أو اضطراريّ خارج عن مقدور البشر. فقالت فرقة هو اضطراريّ، وليس باختياريّ، قالوا: وهو بمنزلة محبة الظمآن للماء البارد، والجائع للطعام، وهذا ممّا لا يملك. وقالت فرقة أخرى: بل اختياريّ تابع لهوى النفس وإرادتها، بل هو استحكام الهوى الّذي مدح الله من نهى عنه نفسه. انظر روضة المحبين. ابن القيم : ص 146.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وذهب كثير من الطّبيعيين والمتطبّبين[1] إلى أنّه طمع يتولّد في القلب، وينمى وتسري إليه مواد الحركة، فكلّما قوي، ازداد صاحبه في الاهتياج واللّجاج والتّمادي في الفكر والهيمان وضيق الصّدر، فإذا فسد الفكر أدّى إلى الجنون، فربّما قتل العاشق نفسه، أو مات غمًّا وحزنًا، أو تنفّس الصّعداء، فتخفى روحه في تأمور قلبه[2]، وينضمّ القلب عليه، فلا يفرح حتّى يموت، وربّما رأى معشوقه فيموت، وأنت ترى دمه يهرب، ولونه يستحيل عند ذكر من يحبّ[3]. وقال بعض الأطباء : «إنّ سَبب تمكّنِه الفراغُ وكثرةُ حَديثِ النّفسِ، وَهُو حِرفةُ البَطّالين»[4].

وفيما قاله نظر[5]، وهو مع التعفّف شريفٌ؛ روى ابن عباس رضي الله عنهما أنّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «**مَنْ تعشَّقَ[6] فعَفَّ فمَاتَ، فهُوَ شَهِيدٌ**»، وتلا : ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾[7].[8]

---

(1) نسبه ابن أبي أصيبعة إلى أبقراط. انظر كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء : ص 51.

(2) تأمور القلب : هو الغشاء الرقيق الشبيه بالجيب المحيط بالقلب.

(3) انظر النص في عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ابن أبي أصيبعة : ص 51. وروضة المحبين. ابن القيم : ص 137.

(4) وينسب إلى افلاطون. انظر روضة المحبين. ابن القيم : ص 137.

(5) أقول : لاحظ معي رقة الإمام ابن مرزوق وسمو روحه ولطافة طبعة، فلم يسلّم بعموم هذا الحكم الذي قال به بعض الأطباء؛ من أنّ العشق حرفة البطّالين.

(6) المحفوظ : من عشق.

(7) سورة الزخرف : من الآية 67.

(8) قال ابن حجر : «أَنْكَرَ الْأَئِمَّةُ عَلَى سُوَيْد هذا الحديث؛ قَالهُ ابْنُ عَدِيّ فِي كَامِلِهِ، وَكَذَا أَنْكَرَهُ الْبَيْهَقِيّ وَابْنُ طَاهِرٍ، وَقَالَ ابْنُ حِبَّانَ: مَنْ رَوَى مِثْلَ هذَا عَنْ عَلِيّ بْنِ مُسْهِرٍ تَجِب مُجَانَبَةُ رِوَايَتِهِ». انظر التلخيص. ابن حجر العسقلاني : 325/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والعفافُ مع البَذْل، كالاستطاعة مع الفعل، كما قال صريع الغواني[1] :

وما ذميَ الأيام أنْ لَسْتُ مَادحاً لعَهْدِ ليالِيهَا الّتي سلَفَتْ قبلُ
ألاَ رُبّ يَومٍ صادقِ العَيْشِ نِلْتهُ بهـا ونَـدامَايْ العفافةُ والبَذْلُ

وقال نفطويه[2] :

لَيْسَ الظَرِيفُ بِكَامِلٍ في ظُرْفِهِ حتّى يَكُونَ عَنِ الحَرامِ عَفِيفَا
فإِذَا تَعَفَّفَ عَن مَحَارِمِ رَبِّهِ فَهُنَاكَ يُدْعَى فِي الأَنَامِ ظَرِيفَا

---

(1) هو مسلم بن الوليد الأنصاري، بالولاء، أبو الوليد، المعروف بصريع الغوانى (..- 208هـ=..- 823م). شاعر غزل، هو أول من أكثر من (البديع) وتبعه الشعراء فيه. وهو من أهل الكوفة. نزل بغداد، فأنشد الرشيد العباسي قوله :

هَلِ العَيْشُ إلاَّ أَنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا وتَغْدُو صَرِيعَ الكأْسِ والأَعْيُنِ النُّجْلِ

فلقبه بصريع الغوانى، فعرف به. واتصل بالفضل بن سهل فولاّه بريد جرجان، فاستمر إلى أن مات فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 223/7.

وانظر البيتين في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 783/2.

(2) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي، أبو عبد الله (244 - 323هـ= 858 - 935م). إمام في النحو. وكان فقيها، رأسًا في مذهب داود، مسندًا في الحديث ثقة، ولد بواسط (بين البصرة والكوفة) ومات ببغداد وكان يؤيد مذهب (سيبويه) في النحو فلقبوه (نفطويه) ونظم الشعر ولم يكن بشاعر، له عدة كتب، منها (كتاب التاريخ) و (غريب القرآن). انظر الأعلام. الزركلي : 61/1.

وانظر البيتين في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 782/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والكلام في الحبّ وما يتعلّق به كثير جدًا، وغرضنا الإيجاز والتّنبيه على أوائل الأمور.

مُنكَتِمٌ : مُستَتِر، اسم فاعل من انْكَتَمَ؛ مطاوع كَتَمَه فانْكَتَم، تقول : كَتَمْتُ الشّيء كَتْماً وكِتْماناً، واكْتَتَمْتُهُ أيضاً، وسحابٌ مُكْتَتِمٌ : لا رعد فيه. وسرٌّ كَاتِمٌ؛ أيْ مَكتوم. ومُكَتّمٌ بالتّشديد : بُولغ في كِتْمانِهِ. واسْتَكْتَمْتُهُ سرّي : سألْته كَتْمَه. وكاتَمَنِي : كَتَم عنّي. ورجل كُتَمَةُ؛ كهُمَزَة، للمبالغة[1].

منسَجِمٍ : من سَجَمَ الدّمعُ سُجُوماً وسِجَاماً : سَالَ، وانْسَجَمَ أيضاً. فمُنْسَجم اسم فاعل من انْسَجَمَ، ويُستعمل أيضاً سَجَمَ متعدّيًا، فيكون انْسَجَمَ مطاوعة، يقال : وسَجَمَتِ العين دمعها : جعلت فيه سُجُومًا، وأسْجَمتُه : جعلته سَاجِمًا؛ قاله الخليل[2]. وعين سَجُومٌ. وأرض مَسْجُومَةٌ؛ أيْ مُمطرة. وأَسْجَمَت : صَبَّت؛ قاله الجوهري[3].

ومُضْطَرِمٍ : مُلْتَهِب. يُقال : ضَرِمَ الشّيء بالكسر : اشتدَّ حرُّه. وضَرِمَ الرّجل : اشتدَّ جُوعُه. وضَرِمَتِ النّار، وتَضَرَّمَتْ واضطَرَمَت؛ إذا التَهَبَت. وأضْرَمْتُها أنَا، وضَرَّمتُها، شُدّد للمبالغة. وتَضَرَّمَ عليه؛ أيْ تغضب[4].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 2018/5. مادة كتم.

(2) انظر انظر كتابه العين : 59/6. مادة سجم.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1947/5. مادة سجم.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 1971/5. مادة ضرم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والطّاء في "مُضْطَرِم" بدل من تاء، أصله مُضْتَرِم على وزن "مُفْتَعِل"، وإنّما أُبدلت لأنّها حرف مستثقل مهموس، فنافرت الضّاد، الّذي هو حرف استعلاء وإطباق، فأبدلوا منها طاءً لتقاربها مع التّاء في الخروج، وتشاركها مع الضّاد في الاستعلاء والإطباق، فيحسن اجتماعهما، وكذا يُفعل بالتّاء مع الظّاء في "افْتَعَلَ" من "الظّلم"، ومع الصّاد في "افْتَعَلَ" من "الصّبر"، ومنهم من يدغم؛ فيقول : اضَّرَمَ، ويغلّب الضّاد. ومنهم من يغلّب الطّاء، فيقول اطَّرَمَ، وكذا في اظّلَم واصّبَر[1].

(1) انظر المفتاح في الصرف. الجرجاني : ص 97 و 98.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التَّفْسِيْرُ

أحسن ما فسّر به البيت الأوّل ما قيل : إنّ ما استفهم عنه في البيتين قبله من أحد الموجبين للبكاء، كأنّ المسؤول أنكر أن يكون بكاؤه لكلّ منهما، فكأنّه قال : لا لواحد من الأمرين. وهكذا الجواب عمّا سُئل عنه بالهمزة و "أَمْ" إن انتفى الأمران جميعا، كقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا قال له ذُو الْيَدَيْنِ : أقصُرت الصّلاة أم نسيتَ؟ : «**كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ**»[1]؛ لأنّ السائل بذلك إنّما يكون اعتقاده أنّ أحد الأمرين كائن، فإن وافق اعتقاده، فالجواب بتعيينه، ولا يحصل الجواب حينئذ بـ "نعم" ولا بـ "لا"، فإن أخطأ في اعتقاده، وكان الأمران منتفيَين، فالجواب بلا، كقول الشّاعر[2] :

تَقُولُ عَجُوزٌ مُدْرِجِي مُتَرَوِّحاً ... عَلَى بَابِها مِنْ غَيْرِ أَهْلِي وَغَادِيَا
أَذُو زَوْجَةٍ بِالمِصْرِ أَمْ ذُو خُصُومَةٍ ... أَرَاكَ لَهَا بِالبَصْرَةِ العَامَ ثَاوِيَا
فقلتُ لها : لا إنَّ أهلي جيرةٌ ... لأَكْثِبَةِ الدَّهْنَا جَمِيعاً وَمَالِيَا
وَمَا كُنْتُ مُذْ أَبْصَرْتِنِي فِي خُصُومَةٍ ... أُرَاجِعُ فِيهَا يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ قَاضِيَا

فلمّا أنكر المسؤول أن يكون السّبب واحدًا من الأمرين، تبيّن للسّائل الخطأ في اعتقاده، فابتداء السّؤال عن حقيقة السّبب الموجب

---

(1) رواه مسلم عن أَبي هرَيْرَةَ رضي الله عنه مرفوعا في المساجد ومواضع الصلاة. بَاب السَّهْوِ فِي الصَّلَاةِ وَالسُّجُودِ لَهُ. ورواه غيره.

(2) القائل هو ذو الرمّة. انظر ديوانه : 1311/2. ومدرجي. أيْ : ممرّي. والأكثبة : جمع كثيب، بالمثلثة، وهو الرمل المجتمع كالكوم. والدهناء : موضع ببلاد تميم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

سؤال جاهل به، لا معتقد فيه أنّه أحد أمرين، ولذا سأل بـ "ما"، فإنّها للسّؤال عن حقيقة الشّيء، بخلاف سؤاله الأوّل بالهمزة، فإنّه لأحد الأمرين، والفاء جواب شرط مقدّر؛ أيْ إن كان حقًّا ما أنكرتَ، فما لعينيك..؟ أيْ أيّ سبب ثبت أو أوجب لعينيك إن قلت لهما اكففا بكاءكما؛ أيْ احبساه، أو كفّا عنه، هَمَتَا؛ أيْ سَالَتَا دمعًا. فالتّمييز محذوف للعلم به؛ أيْ سَالَ دمعهما، فهو منقول من الفاعل، أو التّقدير هَمَتَا بالدّمع، وهذا يحتمل أمرين؛ إمّا أن يكون دمعه متمادي السّيلان، فيكون قوله : هَمَتَا؛ معناه تمادتَا على سيلان الدّمع منهما، وإمّا أن يكون بكاؤه على الوجه الموصوف أوّلاً حالة الخُلوة، وأنّه لا يبكي بحضرة أحد خشية الواشي، فلمّا اطّلع السّائل على أمره، وتعجّب من فرط بكاءه، وظنّ أنّه لأحد أمرين، وسأله عن ذلك، تكلّف الكتمان، ومسح عينيه مثلاً، وأنكر أن يكون بكى، فضلاً عن كونه على أحد الأمرين، وفي ضمن ذلك إنكار أن يكون من المحبّين، فيكون هذا السّؤال الثّاني على معنى : إنْ صدقتَ في إنكار الحبّ، فما لعينيك إن قيل لهما اكففا، بادرتا بسيلان الدّموع؛ فعل المحب الّذي لا يتمالك عن البكاء عند نهي العاذل إيّاه عنه، لكونه عن العذّال في صَمَمٍ، بل ربّما كان النّهي تحريضا له على البكاء. والخطاب في قوله : "إنْ قُلتَ" و في "القَلبِكَ" كالخطاب في قوله : "مَزَجْتَ"، لأنّه جارٍ عليه، فهو إمّا التفات أو تجريد، أو مِن مخاطبة الإنسان نفسه، أو من الخطاب العام.

وقال بعضهم : «معنى "إن قلتَ اكففا"؛ أيْ إن أردت أن تكفَّا. فهو مجاز من إطلاق اللاّزم وإرادة الملزوم، فإنّ من أراد منك فعلاً،

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أمرك به، فصدور الأمر بالفعل لازم لإرادته غالبًا، حتّى غلّط من قال: الأمر بالفعل إرادته».

قلتُ : قاعدة أهل السنّة أنّ الأمر ليس الإرادة، ولا يستلزمها، فليس بينهما تلازم[1]. ثمّ التّلازم على ما قرّر صدور الأمر لا لفظه، والموصوف بالمجاز اللّفظ لا صدوره، إلاّ أن يُقال : لفظه لازم لصدوره، ولازم اللاّزم لازم، لكن يُحتمل أن يقال : المجاز المرسل إنّما يكون بين اللاّزم والملزوم الّذي لا وسط بينهما، وهو ظاهرٌ.

وقوله : "ومَا لِقَلْبِكَ"؛ يحتمل أيضاً أن يكون حين تفطّن له، آخذ نفسه بطلب قلبه بالاستفاقة، وقد كان حاله في الخلوة حال المتولّه الذّاهب العقل.

(1) أقول : الإرادة القديمة؛ أيْ إرادة الخالق، توجب المراد أيْ إذا تعلقت إرادة الله تعالى بفعل من أفعال نفسه، لزم وجود ذلك الفعل وامتنع تخلفه عن إرادته اتفاقا من أهل الملة. وأما إذا تعلقت بفعل غيره ففيه خلاف؛ فالمعتزلة يقولون بأن معنى الأمر هو الإرادة، وأهل السنة يقولون بأن الأمر لا يوجب وجود المأمور به، وأما الإرادة الحادثة؛ أيْ إرادة المخلوق، فلا توجبه اتفاقا؛ يعني أن إرادة أحدنا إذا تعلقت بفعل من أفعاله فإنها لا توجب ذلك المراد. انظر المواقف. الإيجي : 104/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[محل العقل]

وخصّ القلب؛ لأنّه محلّ العقل عند أكثر الفقهاء السنّيين وأقلّ الحكماء، وخالفهم عبد الملك بن الماجشون من المالكية[1]؛ لقوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾[2]. وأكثر العلماء الحكماء وأقلّ الفقهاء على أنّه في الدّماغ. ومنهم من جمع بين القولين لِما بينهما من الاتّصال، فإنّ برودة الدّماغ تحفظ حرارة القلب أن لا تلتهب، وحرارة القلب تحفظ برودة الدّماغ أن لا يكون عنها سبات لفرط البرودة. فسبحان المدبّر الحكيم[3].

لكن لا يستطيع - مع أخذه إيّاه بالاستقامة - إلاّ أن يهيم؛ أيْ يذهب حيرةً. ويحتمل أن يكون المعنى: أنّ حالة هيمان قلبه مستدامة، فمعنى "يَهِم"؛ أيْ يتمادى على هيمانه، ثمّ إنّ السّائل بعد هذا السّؤال الثّاني تبيّن له صحّة اعتقاده أوّلا؛ في أنّ الموجب أحد الأمرين، فإنّه لمّا لم يجبه بالتّعيين عن السّؤال الأول، وغلّط نفسه، وسأله عن حقيقة الأمر، فلم يردّ عليه شيئًا، تبيّن أنّ جوابه أوّلاً محض إنكار للحبّ، ويحتمل أن يكون السّائل على بصيرة من أوّل الأمر؛ أنّ بكاءه ليس إلاّ

---

(1) هو عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله أبو مروان ابن الماجشون (.. - 212هـ= .. - 827م). فقيه مالكي فصيح، دارت عليه الفتيا في زمانه، وعلى أبيه قبله. أضر في آخر عمره. انظر الاعلام. الزركلي : 160/4.

وانظر قوله في مواهب الجليل. الحطاب : 333/1.

(2) سورة الحج : من الآية 46.

(3) لتفاصيل أكثر انظر التقرير والتحبير. ابن أمير الحاج : 162/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

لأحد الأمرين. نعم، لمّا أنكر، سلّم له تسليمًا جدليًا، ونزّل نفسه منزلة الجاهل، فسأله عن الحقيقة، فلمّا لم يجد جوابًا، وأفحمه بالسّؤال المُسكت والإلزام المُبهت، رجع إلى تفنيده وتغليطه في إنكاره حالة الحبّ الّتي لا تخفى، فقال منكرًا: "أيَحسَب الصَبّ"؛ أيْ أيظنّ العاشق المُستهام؛ أيْ الّذي ولهه الحبّ، أنّ حبّه ينكتم له بين مُنسجم؛ أيْ دمع عين مُنسجم، ومُضطرم؛ أيْ وحرّ قلب مُضطرم، أو بين مُنسجم دمعه؛ وهو العين، ومُضطرم حرّه؛ وهو القلب، هَيهَات.. لا ينكتم له بين ذَيْنَيْك، ولو كتمه، وظنّه أنّه ينكتم بينهما مِن هَيَمَانه وتدلّهه. وقوله : "مِنه"؛ الضمير يعود على الصبّ، أيْ مِن دمعه، ومُضطرم يعني: مِنه؛ أيْ مِن حرّ قلبه.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[أحسن ما قيل في المعنى المذكور في البيتين]

ومن أحسن ما ورد في هذا المعنى المذكور في البيتين - من أنّ الحبّ لا ينكتم - ما أنشد القالي[1] قال : انشدنا ابن الأنباري[2] قال : أنشدنا أبو العبّاس أحمد بن يحيى :

مَـنْ كـانَ يـزعمُ أنْ سيكتمُ حبَّـهُ　　　حتّـى يشـكِّكَ فيـهِ فهـوَ كَـذُوبُ
الحُـبّ أَغْلَـظ للفُـؤَادِ بِقَهْـرِهِ　　　مِـنْ أنْ يُـرَى للسِّـرِّ فِيـهِ نَصِـيبُ
وإذَا بَـدَا سِـرُّ اللَّبيـبِ فإنَّـهُ　　　لـمْ يبـدُ إلاَّ والفَتَـى مَغْلُـوبُ
إنِّـي لأُبغـضُ عَاشِـقاً مُسْـتَتِرًا　　　لـمْ تتَّهمـهُ أعـينٌ وقُلُـوبُ[3]

---

(1) هو إسماعيل بن القاسم بن عيذون، أبو علي القالي (288 - 356هـ= 901 - 967م). أحفظ أهل زمانه للغة والشعر والأدب. ولد ونشأ في منازجرد (على الفرات الشرقي بقرب بحيرة وان) ورحل إلى العراق، فتعلم في بغداد، ثم رحل إلى المغرب فدخل قرطبة. أشهر تصانيفه كتاب (النوادر) ويسمى (امالي القالي) في الأخبار والاشعار. انظر الأعلام. الزركلي : 321/1.

(2) هو محمد بن القاسم بن محمد، أبو بكر الأنباري (271 - 328هـ= 884 - 940م). من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر الناس حفظا للشعر والأخبار. ولد في الأنبار (على الفرات) وتوفي ببغداد. وكان يتردد إلى أولاد الخليفة الراضي بالله، يعلمهم. من كتبه (الزاهر) في اللغة. انظر الأعلام. الزركلي : 334/6.

(3) انظر الأبيات في أمالي القالي: 41/2. والأبيات أنشدها الكثير من الأدباء، وتنسب إلى العباس بن الأحنف.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال آخر[1]، وهو يوافق ما للنّاظم :

كَمْ أَسْتُرُ الوجْدَ وَالأجْفَانُ تَهْتِكُهُ ... وَأُطْلِقُ الحُب وَالأَحْشَاء تُمْسِكُهُ

عَصَـانِي القَلْـب لمَّـا أَنْ تَملَّكَـهُ ... غَيْرِي فَوَا أَسَفَا لَوْ كُنْتُ أَمْلُكُهُ

مَا ضَرَّ مَنْ لَمْ يَدَعْ مِنّي سِوَى رَمَقِي ... لَـوْ كَـانَ يَسْـمَحُ بِالبَـاقِي وَيَتْرُكُـهُ

لَهْفِي عَلَى الوَصْلِ لَوْ أَنِّي ظَفَرْتُ بِهِ ... مَا كـلُّ ما يَتَمَنّى المَرْءُ يُدْرِكُـهُ

وقال آخر[2] :

أَلاَ أَيُّها القَلْبُ الّذِي قادَهُ الهَوَى ... أَفِقْ، لا أَقَرَّ الله عَيْنَكَ مِن قَلْبِ

وممّا يدلّ على أنّ الحب لا يخفى بين هَذين الوصفين؛ كون من ادّعاه - وليس هو عليهما - يُكذّب. حكى القشيري[3] عن جعفر[4] عن

---

(1) تنسب هذه الأبيات لابن الحجاج. انظر الدر الفريد. المستعصمي : 26/9.

(2) القائل هو قَيْس بن ذَرِيح. انظر الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري : 101/2.

(3) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة النيسابوري القشيري (376 - 465هـ= 986 - 1072م). شيخ خراسان في عصره، زهدا وعلما بالدين. كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها. من كتبه (التيسير في التفسير) و (الرسالة). انظر الأعلام. الزركلي : 57/4.

(4) هو جعفر بن محمد بن نصير، أبو محمد الخُلْديّ (253 - 348هـ= 867 - 959م). شيخ الصوفية في أيامه ببغداد، وأعلمهم بالحديث. كان خواصا (يبيع الخوص، وهو ورق النخل) نسبته إلى (قصر الخلد) ببغداد ولم يكن منه وإنما دعاه (الجنيد) بالخلدي، فلزمه. مولده ووفاته ببغداد. انظر الأعلام. الزركلي : 128/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الجنيد[1] قال : دفع السريّ[2] إليّ رقعة، وقال : «هَذه خَيْرٌ لَكَ مِنْ سَبعُمَائَةِ قِصّةٍ أَو حَدِيثٍ يُعَلّقُ». وفي رواية : «يَعْلُو». فإذا فيها :

فلمّا ادَّعيتُ[3] الحُب قالَتْ كَذَبْتَني فما لي أرَى الأعْضَاءَ منك كَواسِيَا

فَمَا الحُبّ حتّى يَلْصَقَ الجِلْدُ بالحَشَا وتَذبلُ حتّى لا تُجِيب المُنَادِيَا

وَتَنْحُلُ حتّى لاَ يُبْقِي لَكَ الهَوَى سِوَى مُقْلَةً تَبْكِي بِهَا مُتَمَادِيَا[4]

---

(1) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم (... - 297هـ= ... - 910م). صوفي، من العلماء بالدين. مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. أصل أبيه من نهاوند. وعرف الجنيد بالخزاز لأنه كان يعمل الخز. انظر الأعلام. الزركلي : 141/2.

(2) هو سري بن المغلس السقطي، أبو الحسن (..- 253هـ=..- 867م). من كبار المتصوفة. بغدادي المولد والوفاة. وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية، وكان إمام البغداديين وشيخهم في وقته. وهو خال الجنيد، وأستاذه. انظر الأعلام. الزركلي : 82/3.

(3) ويروى : شكوتُ إليها.

(4) انظر القصة والأبيات في الرسالة القشيرية. القشيري : 490/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[مَرَاتِب الحُب]

وأوَّل مَرَاتِب الحُب الهَوَى، ثُمَّ العَلاَقَةُ؛ وهي الحُب اللاَّزِمُ للقَلْبِ، ثُمَّ الكلَفُ؛ وهو شِدَّة الحُبِّ، ثُمَّ العشْقُ؛ وهو اسْم لِمَا فَضَلَ عَنِ المِقْدَارِ المُسمّى بالحُبِّ، ثُمَّ الشَعَفُ؛ وهو إحْرَاقُ الحُب للقلْب مَعَ لَذَةٍ يَجِدُها، وَكَذَلِكَ اللَّوْعَة واللاَّعِجُ، فإنّ ذلكَ حُرْقَةُ الهَوَى، وهذا هوَ الهَوَى المُحْرِقُ، ثمَّ الشَّغَفُ؛ وهُوَ أنْ يَبْلُغَ الحُب شَغافَ القَلْب؛ وهي جِلْدَة دُوْنَهُ، وقد قُرِئَ بالمهملة والمعجمة(1)، ثُمّ الجَوَى؛ وَهو الهَوَى البَاطِنَ، ثُمَّ التّتيّم، ويقالُ التَّيْمُ؛ وهُوَ أنْ يَسْتَعْبِدَهُ الحُبُّ، ومِنْهُ سُمّي تَيْمُ اللهِ؛ أيْ عَبْدُ اللهِ، ومِنْهُ رَجُلٌ مُتَيم، ثُمَّ التَّبْلُ؛ وهُوَ أنْ يُسْقِمَهُ الهَوَى، وَمِنْهُ رَجُل مَتْبُول، ثُمَ التّدْلِيهُ؛ وهُوَ ذَهَاب العَقْلِ مِنَ الهَوَى، ومِنْهُ رَجُلٌ مُدَلَّهٌ، ثُمَّ الهُيام، ويقال الهُيُومُ؛ وهُوَ أنْ يَذْهَب عَلَى وَجْهِهِ لِغَلَبَةِ الهَوَى عَلَيهِ، ومِنْهُ رَجُل هَائِم(2).

---

(1) يقصد قوله تعالى : ﴿شَغَفَهَا حُبًّا﴾. من الآية 30 من سورة يوسف. وممن قرأها بالمهملة؛ أيْ "شَعَفَهَا"، الحسن البصري. انظر لسان العرب. ابن منظور : 178/9. مادة شعف.

(2) انظر مراتب الحبّ في فقه اللغة. أبو منصور الثعالبي : ص 129.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

يحتمل الاستفهام بـ "ما" أن يكون حقيقيًا على التّفسير المتقدّم، سواء كان التّسليم حقيقيًا أو جدليًّا، إلاّ أنّه على كونه جدليًا صورةً لا اعتقادًا، والفاء إن كانت جواب شرط مقدّر كما قدّمنا، فهي المسمّاة بالفاء الفصيحة؛ لدلالة المعنى على المعطوف عليه المحذوف، وإغناءها عنه نحو الّتي في قوله تعالى: ﴿ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ ﴾[1]؛ أيْ فضرب فانفلق، و: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ﴾[2]؛ أيْ فيستقرّ فيها، فينبت النّبات، فيخضرّ. ونحو: ﴿ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ ﴾[3]؛ أيْ فأفطرَ، فعليه عدّة.. وهو كثير.

وفي البيت إيجاز الحذف؛ لحذف الشّرط المقدّر، ويحتمل أن يكون الاستفهام بـ "ما" إنكاريا، وهو الظّاهر، أو على نحو ما كانت الهمزة في "أَمِنْ تَذَكّر" على جميع الوجوه المتقدّمة، وعلى هذا فالفاء عاطفة جملة استفهامية؛ مراد بالاستفهام فيها الإنكار أو واحدًا من المعاني المتقدّمة في "أمِنْ تذكّر"، وكأنّه ارتقى في الإنكار؛ فإنّ الإنكار مع السّؤال عن أحد الأمرين أسهل من الإنكار مع السّؤال عن كلّ موجب، وفائدة العطف بالفاء إفادة التّعقيب والمبادرة بالإنكار خوفًا عليه من التّلف لأجل بكائه الموصوف، وبهذا يندفع ما قيل من أنّ الفاء هنا إن لم تكن جواب شرط محذوف كما مرّ، لم يكن لها معنًى إن لم

---

(1) سورة الشعراء: من الآية 63.

(2) سورة الحج: من الآية 63.

(3) سورة البقرة: من الآية 184.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

يتقدّمها سبب، فيكون ما عطف بها مسبّبًا عنه، ولا ما يقتضي التّرتيب والتّعقيب، وأمّا همزة "أَيَحْسِبُ" فللإنكار ليس غير، والمنكر ما وليها من فعل الحسبان.

وفي البيت الأوّل إيجاز الحذف في أماكن؛ في الفاء في وجه كما قرّرنا، وحسنه الاختصار، وفي قوله "إنْ قُلتَ اكْفُفَا"، فإن التّقدير : إن قلت لهما اكففا دمعكما، وفائدة حذف هذَين المعمولين إيهام أنّهما بمجرّد سماع قول القائل، فإنّ هذا من الخطاب العام كما قرّرنا في وجه "اكْفُفَا.. هَمَتَا"، ولا يحتاجان أن يكون ذلك القول لهما، بل متى سمعتَا اكفُفَا هَمَتَا، وإن احتمل أن يقال لغيرهما، أو يقال لهما اكْفُفَا عن النّظر مثلاً أو غير ذلك ممّا ليس طلب ترك البكاء؛ لأنّهما لمّا كانت راحتهما في البكاء، استكانتَا إليه، وألفتَاه حتّى صار لهما كالنّديم المحالف، فهما يخافان على فراقه، فلا يسمعان ما يمكن أن يكون زجرًا إلاّ صرفتاه إليهما وعيّناه للزّجر عن البكاء، وإن لم يصرّح بذلك، وكذا البحث في قوله : "إنْ قلتَ استَفِقْ.."؛ فإنّ فيه إيجاز الحذف، والتّقدير : إن قلت له استفق من تدلّهك، والفائدة كالّتي في العينَين، ولو جُعل "استَفِقْ" لطلب الإفاقة، لا بمعنى أَفِق، لكان المعنى آكد، لأنّه يكون يدلّ على أنّه لا تحصل له الإفاقة إلاّ بعد تكلّف طلبها، وممّا يؤكّد هذا المعنى الّذي قرّرناه جعله "هَمَتَا" و "يَهِمِ" جوابين لـ "إنْ قُلتَ"، فهما لا يتخلّفان عن القول؛ كما لا يتخلّف الجواب عن شرطه، لأنّ المشروط مقدّر مع شرطه.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وفي البيت الثّاني الاحتراس في قوله "مِنه"؛ إذ لولا هو، لتوهّم أنّهما يكونان شاهدَين عليه؛ أعني المُنسجم والمُضطرم، وإن لم يكونا منه. وفيه أيضاً إيجاز الحذف في قوله : "إنّ الحبّ.." على مذهب البصريين؛ على أنّ التقدير : الحبّ منه، لا على مذهب الكوفيين في أنّ «أل» نائبة عن الضّمير؛ أيْ حبّه[1]، ومنه قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴾[2]؛ أيْ لَهُ؛ على الأوّل، ومَأْوَاه؛ على الثّاني، ونابت «أل» عن الضّمير. وفيه التفات من الخطاب المتقدّم إلى الغيبة، فإنّ إخباره عن الصبّ إخبارٌ عن الغائب؛ لأنّ الاسم الظّاهر بمثابة الضّمير الغائب، فهذا الالتفات مثل قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾[3]. وفائدة التفاته ما ذكره أهل الأصول من أنّ ترتيب الحكم على الوصف مشعر بعليّته[4]، نحو : ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا ﴾[5]. وهو هنا كذلك، فإنّه لمّا أنكر عليه الكتمان، كأنّه حرّضه على إفشاء الحبّ، لأنّه لا يليق بحال الصبّ، وكتمان الصبّ الحبّ لا يليق كما تقدّم، فأتى بلفظ الصبّ ليُشعر بذلك، ولو قال : أَتَحْسِبُ..، لفاته حسن التّنبيه على التّعليل لهذا الحكم بهذه العلّة، لأنّ الضّمائر

---

(1) قال ابن هشام : أجَاز الْكُوفِيُّونَ وَبَعض الْبَصرِيين وَكثير من الْمُتَأَخِّرين نِيَابَة "أل" عَن الضَّمِير الْمُضَاف إِلَيْهِ. انظر كتاب مغني اللبيب : ص 77.

(2) سورة النازعات : الآية 41.

(3) سورة يونس : من الآية 22.

(4) انظر القاعدة في التقرير والتحبير. ابن أمير الحاج : 239/1.

(5) سورة المائدة : من الآية 38.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

جامدة لا رائحة فيها للسببيّة، ويقوّي أنّ هذا قصده عودُه إلى الخطاب في البيت بعده[1].

وجعل بعضهم "مَا" من قوله "مَا بَيْنَ" موصولة، وصلتها ما بعدها. قال : «وفائدة الصّلة تنبيه السّامع على خطابه،

نحو قوله[2] :

إِنَّ الَّــذِينَ تَــرَوْنَهُمْ إِخْــوَانَكُمْ يَشْفِي غَلِيلَ صُدُورِهِمْ أَنْ تُصْرَعُوا

وهنا لمّا أنكر الصبّ كون بكائه لأحد السّببين، وغفل عن أنّ شهادة دمعه ولَوْعة قلبه عليه لا يُسمع معهما إنكار، وأخطأ في هذا، نبّه بقوله : "مَا بَيْنَ مُنْسَجِم.."». انتهى.

قلتُ : والّذي يذكره أهل علم المعاني[3] أنّ الّذي يكون لتنبيه المخاطَب على خطأ في اعتقاده تعريف المسند إليه أو ما في حكمه بالموصولية، نحو البيت المذكور، وهنا لو لم تُذكر "مَا" أصلاً لفُهم المعنى، فالمفيد لذلك ما أُضيفت إليه "بَيْنَ"، لا "مَا" ولا "بَيْنَ" الّتي هي الصّلة كما زعم، ثمّ الظّاهر أنّ "مَا" زائدة كما يأتي، وفيه الحشو، فإنّ "مَا" من قوله "مَا بَيْنَ" زائدة على الأظهر، لكن زيادتها مع "بَيْنَ" كثير، لا سيما وضرورة الوزن هنا داعية إليها.

---

(1) وهو قوله : لمْ تُرِقْ..

(2) البيت لعَبْدَة بن الطبيب من قصيدة يعظ فيها بنيه ويوصيهم بما هو المرضي شرعا. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. أبو الفتح العباسي : 100/1.

(3) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 42.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَيَانُ

في البيت الأوّل تشبيه العينين بباكيين، وتنزيلهما منزلة مخاطَبين يعقلان الخطاب، لأنّ إدراك العين أظهر من إدراك سائر الجوارح، فكأنّها الذات، ولذلك يُقال : جاء فلان عينُه؛ أيْ ذاته، وتشبيهه القلب بمخاطَب، ووجه التّشبيه فيه أظهر، فإنّه المَلَك كما تقدّم[1]، وفي الصّحيح : «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً..**». الحديث[2]. وفيه المجاز المرسل على رأيْ من فسّر "إنْ قلتَ" بـ "إن أردتَ"، وتقدّم ما فيه[3].

وفي البيت الثّاني مجاز الحذف؛ أيْ مِن دمعه، نحو : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾[4]. وفيه الحذف من الأواخر لدلالة الأوائل، فإنّ التّقدير: ومُضطرم مِنه. نحو : ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ﴾[5]؛ أيْ كثيرًا. وفي "مِنْهُ" المقدّر مجاز الحذف؛ أيْ مِن حرّ قلبه، نحو : ﴿ مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ ﴾[6]؛ أيْ أثر حافر فرسه.

---

(1) وهو قول أبي هريرة : «الْقَلب مَلكُ، وَلِلمَلكِ جُنودٌ..».

(2) الحديث بتمامه : «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**». ورواه البخاري عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ مرفوعا في الإيمان. بَاب فَضْلِ مَنْ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ. ورواه غيره.

(3) وذلك في ترجمة التفسير.

(4) سورة يوسف : من الآية 82.

(5) سورة الأحزاب : من الآية 35.

(6) سورة طه : من الآية 96.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَدِيْعُ

[حقيقة المطابقة]

في البيت الأوّل المطابقة، ويُسمّى الطّباق والتّضاد؛ وهو: «الجَمْعُ بَيْنَ ضِدَّيْنِ أَوْ مُتَقَابِلَيْنِ فِي الجُمْلَةِ»[1]، وتكون بين اسمين؛ نحو: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾[2]. وبين فعلين؛ نحو: ﴿ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ.. ﴾ الآية[3]. وبين حرفين؛ نحو: ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[4]. وبين مختلفين؛ نحو: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ ﴾[5]، وهو في البيت بين "اكْفُفَا" و "هَمَتَا"، وبين "اسْتَفِق" و "يَهِم". وفيه مراعاة النّظير؛ لجمعه بين "العَين" و "القَلب".

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني: ص 317.

(2) سورة الكهف: من الآية 18.

(3) سورة آل عمران: من الآية 26. أيْ بين فعل "تؤتي" وفعل "تنزع". والآية بتمامها: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(4) سورة البقرة: من الآية 286.

(5) سورة الأنعام: من الآية 122.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الموازنة]

وفيه أيضاً الموازنة؛ وهي : «تَسَاوِي الكَلِمَتَيْنِ وَزْنًا لاَ تَقْفِيَةً»[1]، فإن كان في إحديهما أو أكثرها؛ مثل ما يقابله في الأخرى، خصّ باسم المماثلة؛ نحو : ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۝١٥ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[2]. ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ۝١١٧ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[3].

ومنه قول أبي تمام[4] :

مَها الوَحشِ إلاَّ أنَّ هاتا أوانسٌ ... قنَـا الخَـطِّ أنَّ تلـكَ ذَوابِـلُ

وهي في البيت الأوّل، فإنّ كلّ كلمة من الشّيطر الأوّل موازنة لنظيرتها من الشّيطر الأخير إلاّ لفظتي "عينيك" و "قلبك"؛ فإنّه من موازنة الأكثر.

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 366.

(2) سورة الغاشية : الآيتان 15 و 16.

(3) سورة الصافات : الآيتان 117 و 118.

(4) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 99/7. ومها الوحش : بقر الوحش، وقنا الخط : الرماح الخطية المعتدلة.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّقسيم]

وفيه أيضاً نوع من التّقسيم، وهو : «الّذِي يُذْكَرُ فِيهِ أَحْوَالُ الشَّيءِ مُضَافًا إِلَى كُلِّ حَالٍ مَا يَلِيقُ بِهِ»(1).

كقول المتنبّي(2) :

سَأَطْلُب حَقّي بالقَنَا ومَشايخٍ   كأنّهُم من طولِ ما التَثَموا مُرْدُ

ثِقالٍ إذا لاقَوْا خِفافٍ إذا دُعُوا   كَثيرٍ إذا اشتَدّوا قَليلٍ إذا عُدّوا

وهو هنا لمّا خاطب الرّجل أوّلا، قسّم ثانيا أحوال عينيه وقلبه، فقال : فما لعينيك كذا..؟ وما لقلبك كذا..؟ وفيه التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق في "هَمَتَا" و "يَهِم".

---

(1) يطلق التقسيم على أمرين : أحدهما الذي ذكره ابن مرزوق. والثاني : استيفاء أقسام الشّيء بالذّكر؛ مثل قوله تعالى : ﴿**يَهَب لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَب لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا**﴾. من الآيتين 49 و 50 من سورة الشورى. انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 337.

(2) انظر البيتين في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 466/5.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة المذهب الكلامي]

وفي البيتين معًا المذهب الكلامي؛ وهو : «إيرَادُ المُتَكَلِّمِ حُجَّةً لِمَا يَدَّعِيهِ»[1]. عَلَى طَرِيقَةِ المُتَكَلِّمِينَ ؛ نحو : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾[2]. وهو في القرآن كثير، ومنه قول النّابغة يعتذر إلى النّعمان[3]:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً ... ولَيْسَ وَراء اللهِ للمَرْءِ مَذْهَبُ

لَئِنْ كنتَ قد بُلِّغْتَ عنِّي خِيانَةً ... لَمُبْلِغُكَ الواشِي أَغَشُّ وأَكْذَبُ

وَلَكنَّنِي كُنْتُ امْرَأً لِيَ جَانِبٌ ... مِنَ الأَرْضِ فِيه مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ

مُلُوكٌ وإِخْوانٌ إذا ما مَدَحْتُهُمْ ... أُحَكَّمُ فِي أَمْوالِهِمْ وأُقَرَّبُ

كفِعْلِكَ في قَوْمٍ أَراكَ اصْطَنَعْتَهُم ... فَلَمْ تَرَهُمْ في مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنَبُوا

أيْ : فكما أنّ مدح مَن مدحك لإكرامك إيّاه لا يعدّ دينًا، فكذا مدحي لمن أكرمني. وهو في البيتين؛ أمّا في الأوّل، فإنّه لمّا أنكر، لزمه سؤال مُسكت، وأمّا في الثّاني فقوله: "أَيَحْسِبُ الصبّ.."؛ أيْ لا يسع

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 341.

(2) سورة الأنبياء : من الآية 22.

(3) هو النعمان بن المنذر بن الحارث بن جبلة الغساني (..- نحو 28 ق هـ=..- نحو 595م). أمير بادية الشام، قبيل الاسلام. نشأ في كنف أبيه، في بيت الامارة والملك. وشهد غدر الرومانيين بأبيه وأخذهم إياه بالحيلة ونفيه إلى عاصمتهم (القسطنطينية) ثم إلى صقلية، فتحول بإخوته وعشيرته إلى الصحراء، وجعل ديدنه غزو مراكز الرومانيين في أطراف سورية. انظر الأعلام الزركلي : 43/8.
وانظر الأبيات في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 114/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الإنكار مع شاهدَي الدّمع ولازم اضطرام القلب؛ وهو السّقم، ضمير الحجّة، لأنّ إدراك العين أظهر من إدراك السّمع؛ أيْ لا تسمع الإنكار للشّاهد، فكان من المذهب الكلامي.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة حسن التّعليل]

وفي البيت الثّاني القسم الأوّل من أقسام حسن التّعليل الأربعة، وهو على التّقريب : «أَنْ يَدَّعِي لِوَصْفٍ ثَابِتٍ عَنْهُ كَوْنُهُ عِلَّةٍ لحُكْمٍ»[1].

وذلك في لفظ "الصبّ" على ما قرّرناه في ترجمة علم المعاني في فائدة الالتفات بالصبّ، ومنه قول أبي الطيّب[2] :

لَمْ يحْكِ نائِلَكَ السَّحَاب وإنّما   حُمَّتْ به فصَبيبها الرُّحَضاءُ

وقول أبي تمّام[3] :

لا تُنْكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الغِنَى   فالسَّيْلُ حَرْب لِلْمَكَانِ العَالِي

---

(1) حسن التعليل: وهو أن يدعي لوصف علة مناسبة له باعتبار لطيف غير حقيقي. وهو أربعة أقسام؛ لأن الوصف إمّا ثابت قصد بيان علته، أو غير ثابت أريد إثباته. والأوّل إمّا أن لا يظهر له في العادة علّة، أو يظهر له علّة غير المذكورة، والثاني إمّا ممكن، أو غير ممكن. انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني: ص 342.

(2) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 115/7.

(3) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 95/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّجنيس اللاّحق]

وفيه التّجنيس اللاّحق، وهو : «اخْتِلاَفُ كَلِمَتَيْنِ بِحَرْفٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ أَحَدُهُمَا بِمُقَارِبٍ للآخَرِ في المَخْرَجِ»[1]. نحو : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾[2].

وقال البحتري[3] :

هَلْ لِمَا فَاتَ مِنْ تَلاَقٍ تَلاَفِ   أَوْ لِشَاكٍ مِنَ الصَّبَابَةِ شَافِ

لكن يُشترط في حروف الكلمتين اتفاق الهيآت. وما وجد منه في البيت مختلف، وذلك قوله : "الصبّ" و "الحبّ"، فهو إذًا من هذا النّوع، ومن نوع يُقال له المُحرّف.

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 357.

(2) سورة غافر : من الآية 75.

(3) هو الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي، أبو عبادة البحتري (206 - 284هـ= 821 - 898م). شاعر كبير، يقال لشعره "سلاسل الذهب". ولد بمنبج (بين حلب والفرات) ورحل إلى العراق، فاتصل بجماعة من الخلفاء أولهم المتوكل العباسي، ثم عاد إلى الشام، وتوفي بمنبج. له " ديوان شعر. انظر الأعلام. الزركلي : 121/8.
انظر البيت في سر الفصاحة. الخفاجي الحلبي : ص 198.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّجنيس المحرّف]

وهو : «مَا تَتَّفِقُ حُرُوفُ كَلِمَاتِهِ، وَتَخْتَلِفُ هَيْآتُهَا»[1].

نحو : جُبَّةُ الْبُرْدِ[2] جُنَّةُ الْبَرْد.

وفيه أيضاً الطّباق الخفيّ في قوله : "مُنسجم" و "مُضطرم"[3]. وفيه الموازنة في كلمات "مُنكَتم" و "مُنسجم" و "مُضطرم".

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 356.

(2) الْبُرْد : هو كِسَاءٌ مُخَطَّط يُلْتحف به.

(3) لأن الانسجام يتعلق بالماء، والاضطرام يتعلق بالنار، وهما متضادان.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الإعراب

تقدّم الكلام في الفاء أهي جواب أم عاطفة، وتقدّم أنّ "ما" استفهاميّة، وهي مبتدأ. والخبر "لِعَيْنَيْكَ".

واكْفُفا : فعل أمر وفاعل في موضع نصب مفعول لـ "قلتَ".

وهَمَتَا : فعل ماضٍ وفاعل في موضع جزم جواب "إنْ"، كما أن جواب "قلتَ.." في موضع جزم بـ "إنْ". والظّاهر أنّ جملة الشّرط والجزاء تفسير للجملة الأولى، فلا محلّ لها، لأنّها تفسيريّة، كما أنّ الأولى كذلك؛ لأنّها مستأنفة أو معطوفة على المستأنفة.

وقوله : "اكفُفَا" بالفكّ؛ هي لغة الحجازيين في الفعل المضعّف اللاّم السّاكنها جزمًا؛ نحو : لم يَكْفُفْ، أو وقفًا؛ نحو : اكفف. وبنو تميم يستصحبون الإدغام فيهما، فيقولون : لم يَكُفْ، وكُفَّا، ولا يأتون بهمزة وصل؛ للاستغناء عنها بحركة ما قبل المضعّف(1).

---

(1) قال ابن مالك : «استصحب "بنو تميم" إدغام الفعل المضعّف اللاّم الساكنها جزمًا أو وقفًا في غير "أفعل" تعجبًا، والتزموا فتح المدغم فيه في "هلم" مطلقًا، وفي غيرها قبل هاء غائبة، وضمّة في المضموم الفاء قبل هاء غائب، وربّما كسر وقد يفتح على رأي، ولا يضم قبل ساكن بل يكسر، وقد يفتح، وإن لم يتصل بشيء ممّا ذكر فتح أو كسر أو اتبع حركة الفاء، وفكّ "الحجازيون" كلّ ذلك إلاّ "هلم"، والتزم غير "بكر" الفكّ قبل تاء الضمير وأخويه، وحذف أوّل المثلين عند ذلك لغة "سليم"». انظر كتابه تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ص 261.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال بعضهم : «إنّ "إنْ" من قوله : "إنْ قُلت" غائية؛ لظهور منافرة الشّرط للجزاء، نحو : ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً..﴾ الآية[1]. ونحو قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**نِعْمَ العبدُ صُهيب، لَو لَم يَخَفْ اللهِ، لَم يَعصِهِ**»[2]».

وتأمّل هذا الكلام وهذا التّنظير، فإنّ البحث فيه يطول.

وذهب جماعة من المحصّلين إلى أنّ جملة الشّرط والجواب في موضع نصب على الحال، والتّقدير عند بعضهم؛ أيْ ما لعينيك في هذه الحالة؛ تعجّبا منه. وأجابوا عن كون جعل الشّرط والجزاء حالين؛ لأنّ "إنْ" تخلّصهما للاستقبال، والحال تنافي الاستقبال، فإنّها حال مقدّرة؛ نحو : مررتُ برجل معه صقر صائدًا به غدًا؛ أيْ مقدّرا به الصّيد غدًا[3].

قلتُ : إنّما حملهم على جعل الحال مقدّرة في المثال وروده منصوبًا، ولا وجه له، إلاّ أن يكون حالاً، فأوّلوا ذلك التّأويل أو خبر "كان" مضمرة، لكنّه رأيْ كوفي، على أن بعض المحقّقين ردّ المقدّرة إلى المقارنة، وأنّ معنى "صائدًا به غدًا"؛ أيْ ناويًا الآن الصّيد به غدًا، وأمّا الجمل فلا ضرورة إلى ادّعاء ذلك فيها، على أنّهم جعلوا من شرط

---

(1) سورة التوبة : من الآية 80. والآية بتمامها : ﴿**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**﴾.

(2) الأثر مروي عن عمر موقوفا. قال المتقي الهندي : أورده أبو عبيد في الغريب ولم يسق إسناده، وقد ذكر المتأخرون من الحفاظ أنهم لم يقفوا على إسناده. انظر كنز العمال. المتقي الهندي : 437/13. رقم الأثر 37147.

(3) انظر المسألة في الكتاب. سيبويه : 52/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقوع الجملة حالاً؛ أن لا تكون مفتتحة بدليل استقبال، فلو جوّزنا مثل ذلك فيها، لبطل هذا الضّابط، فالأولى في إعرابها ما قدّمناه.

وإعراب الشّطر الثّاني كإعراب الأوّل، إلاّ أنّ "يَهم" فعل مضارع مجزوم، وكُسرت ميمه لالتقائه قبل كسرة ساكنًا، وهو "حرف الرَوِيّ" مع الياء الّتي بُنِي عليها القصيدة، وتُسمّى "حرف الوصل".

وتقدّم أنّ همزة "أَيَحْسِب" للإنكار، و"يَحْسِب" بمعنى يظنّ.

وأنّ الحبّ مُنكتم : "أنّ" ومعمولاها في موضع مفعول "يَحْسِب".

و "ما" في قوله : "ما بين" زائدة، و "بين" ظرف زمان إنْ أضيف إلى الزّمان، ومكان إنْ أضيف إليه، والعامل فيه "مُنكتم"، ويحتمل - على بُعدٍ وتكلّف - كون "مَا" موصولة أو نكرة موصوفة، وهي أيضاً صفة لموصوف محذوف، تقديره على الأوّل في المكان الّذي ثبت بَيْنَ.. وعلى الثّاني في مكان ثابت بَيْنَ..

وبَيْنَ : صلة على الأوّل، وصفة على الثّاني.

ومنه : صفة لـ "مُنسجم"، وضميره يعود على "الصبّ"، و "من" لابتداء الغاية، ويحتمل تعلّق "منه" بـ "مُنسجم".

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْإِشَارَاتُ

[البكاء حنينا إلى الجنة أو خوفا من النّار]

تقدّم في قوله : "أَمِنْ تَذَكّرِ جِيرَان" أنّ الإشارة إلى الحضّ على البكاء واستدامته لطيّ الغيب عنَّا فيما يُراد منّا من أمور الآخرة، وبلا شكّ أنّ الّذي لا يبكي للآخرة هو المستغرق في أحوال الدّنيا، المغرق في بحارها، فكان المعنى في البيتين الأوّلين : هكذا ينبغي أن يكون حال المرء؛ أن يكون بكاؤه حنينًا إلى الجنّة الّتي هي ذو سَلَم، أو خوفًا من النّار الّتي هي كاظمة، لا مَن يبكي لتذكّر جيرانٍ من أهل الدّنيا أو هبوب ريح من تلقاء ديارهم، أو يصرف همّته إلى ظاهر زُخرف الدّنيا وبهاء رونقها ولذيذ جنى ثمرتها، وقد سكّرت أبصار قلوب أبنائها عن النّظر إلى قبيح عيوب أفعالها، فهم في ملاذّها منغمسون، وفي هلكة فتنتها متورّطون، مع علمهم بسوء عواقب خَطبها، وتجرّع مرارة شربها، وسرعة استرجاعها ما وهبت، وإخراجها ممّا ملكت، فليس ينجو منها إلاّ من حذِرها، ولا يهلك فيها إلاّ من أمِنها، وكذلك صورة الهوى، فهما في الفتنة سواء. فإنْ كابرَ هذا النّاظم مكابرٌ، أو نافرَ وعظَه منافرٌ، زعمًا منه أنّ حاله على الجّادة المستقيمة، وبكاؤه على الطريقة القويمة، ناسب أن يبادر بقوله له : فَمَا لِعَيَنَيك..؟؛ أيْ فما لهما تتطاولان إلى رؤية الدّنيا وزُخرفها، ولا يعنّ لك شيء من قُلامة ظفر مِن جيفتها، إلاّ وثبتَ عليه، والله سبحانه وتعالى يقول لأكرم خلقه عليه : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾. إلى قوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[1].

---

(1) سورة طه : من الآية 131 إلى الآية 132.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وما لهما إن قلتَ لهما : اكفُفَا عَن نظركما وتعلّق بالكما بما يُطغي؟ لم يزدهما ذلك إلاّ سرعة هَيَمَان إلى الدّخول فيها؛ كما يهمي الماء إلى مركزه. وما لقلبك الّذي هو أصل جسمك، وصلاحه صلاحه، وفساده فساده، إذا قلت له : استَفِقْ من تدلّهك بحبّ الدّنيا؟ واعقل ما كُلّفتَ به من الاشتغال بأمور آخرتك؟ لم يزده ذلك إلاّ هَيَمَانًا.

ثمّ قال إنكارًا لإنكاره : أيحسِبُ العاشقُ لدنياه المُستهامُ بها أنّ حبّه إيّاها ينكتم له بين إرسال عينيه إليها واضطرام قلبه عليها؟ لا يكون ذلك.

ويحتمل أن يكون إشارة إلى ما هو أرفع من ذلك، وهو أنّ مَن حاله البكاء مِن أمور أُخراه أو ممّا تمكّن من قلبه من حبّ مولاه، حقّه أن يكتم ذلك، ولا يفشيه، وإن كان المطّلع عليه يذيع ذلك ويستوشيه، ويقول له : "فَمَا لِعَيْنيك.." إلى آخر ما يقوله؛ يحكيه كما يفعل أهل الحبّ.

ويحتمل على نمط ما تقدّم أن يكون قوله : "أيحسب.." إلى آخره؛ إشارة إلى أنّ من أحب الجنّة؛ وهي الّتي تنسجم أنهارها، ومن خاف من النّار الّتي تضطرم نيرانها، لا يخفى حبّه بين تذكّر حصول ما يرجو، والنّجاة ممّا يخاف، فـ "مُنسجم" راجع لـ "ذي سَلَم"، و"مُضطرم" لـ "كاظمة"، فهو من اللفّ والنّشر المرتّب، فيلحق بترجمة البديع.

والكلام في الإشارات لا تفي به العبارات، فيكفي الاقتصار على أدناها، إذ لا سبيل إلى منتهاها، وإنّما سمّيت الإشارة إشارة؛ لأنّها تُغني عن العبارة، وفي الإشارة ما يُغني عن الكّلم.

۞ ۞ ۞

مادة محمية بموجب حقوق النشر

لَوْلاَ الهَوَى لَمَ تُرِقْ دَمْعًا عَلى طَلَلِ   وَلاَ أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ
وَلاَ أَعَارَتْكَ لَوْنَيْ عَبْرَةٍ وَضَنَا   ذِكْرَى الخِيَام وذِكْرَى سَاكِنِي الخِيَمِ

شَرْحُ ٱلْغَرِيْبِ

الهوى : مقصور؛ هوى النّفس، وتقدّم أنّه الحبّ، وجمعه أهْواء، ويقال في الفعل منه هوِيَ – بالكسر - يَهْوَى هَوًى؛ أيْ أحبّ، وإنّما هَوَى – بالفتح - يَهْوِي هُوِيًّا، فقال الأصمعي : «معناه سقط»[1].

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 2538/6. مادة هوى.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ابن مرزوق ينقل كلاما سمعه من محب الدين ابن هشام]

وسمعتُ الإمام العلاّمة محب الدّين محمّد[1] ابن الإمام جمال الدّين عبد الله بن هشام المصري[2] - رحمهما الله - يقول : «اتّقوا المكسور، فإنّه يؤدّي إلى المفتوح». وهذا الشّيء أهْوَى إليّ من كذا؛ أيْ أحبّ[3]. وقال بعضهم : «الهَوى أوّل مراتب الحبّ»[4].

وإرَاقَةُ الدّمع صَبُّة، وأَرَاق أصله أَرْوَقَ، فنُلقت حركة عين الفعل المعتلّة إلى السّاكن الصّحيح قبلها، لأنّه أولى بالحركة، ثمّ قُلبت الواو السّاكنة ألفًا لفتح ما قبلها. وبعضهم يقول : تحرّكت الواو في الأصل، وانفتح ما قبلها في الحال، فقُلبت ألفًا، فصار أَرَاقَ، والمضارع يُرِيقُ، وأصله يُأَرْوِق، فحُذفت الهمزة. وهذا الشّأن في مضارع "أَفْعَل"، لأنّها حُذفت مع همزة المتكلّم استثقالاً، وحمل سائر الحروف المضارعة عليها؛ ليجري الباب على سَنن واحد، ثمّ نُقلت حركة الواو إلى الرّاء السّاكنة كما في الماضي، فوقعت واو ساكنة قبلها كسرة، فأبدلت ياءً؛

---

(1) هو محمد بن عبد الله بن يوسف بن هشام العلامة محبّ الدين ابن الشيخ جمال الدين، النّحوي بن النّحوي ولد سنة خمسين وسبعمائة، وكان أوحد عصره في تحقيق النّحو، مات في رجب سنة تسع وتسعين وسبعمائة. انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي : 148/1.

(2) هو عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (708 - 761هـ= 1309 - 1360م). من أئمة العربية. مولده ووفاته بمصر. من تصانيفه (مغني اللبيب عن كتب الاعاريب). انظر الأعلام. الزركلي : 147/4.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 2538/6. مادة هوى.

(4) انظر مراتب الحبّ في "فقه اللغة". أبو منصور الثعالبي : ص 129.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

كميعاد من الوعد، ولمّا دخل الجازم في كلام النّاظم حُذفت؛ لالتقائها ساكنة مع سكون القاف للجزم[1].

وأرِقْتَ الدّمع تُريقُه : صَبَبْتَه، ورَاقَ الدّمع يَريقُ؛ أيْ انصبّ. كذا وجدتُ في "**شرح**" شيخنا أبي العبّاس[2].

والطّلل : ما شخُص من آثار الدّار؛ أيْ ارتفع، والجمع أطْلاَل وطُلُول[3]. وقال بعض الأشياخ : «طَلَل الدّار : ما يجاورها، ويُنسب إليها، كالدّكان يجلس عليه». ولا أدري من أين نقل هذا التّفسير. وقال بعضهم : «طلل الدّار؛ كالدّكان» [4]. وهو مثل ما قبله. واللاّئق من معاني "أَفْعَل" هنا على ما ذكر الشّيخ[5] التّعدية، ويحتمل أن يكون للكثرة؛ كأضبَّ المكانُ: كَثُرَت ضِبابُهُ، أو للصّيرورة؛ كأغدّ البعير؛ أيْ صار ذا غدّة[6].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1569/4. مادة هرق.

(2) أيْ القصار.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1752/5. مادة طلل.

(4) هذا التفسير منقول عن أبي عبيد. انظر المخصص. ابن سيده : 502/1. لسان العرب. ابن منظور : 193/8. مادة طلل.

(5) أيْ القصار.

(6) ويأتي وزن أَفْعَل للمعاني التالية :

- و"الإعانة" على ما اشتق الفعل منه؛ كأحلبت فلانًا، أي: أعنته على الحلب.
- و"التعويض له" كأبعت العبد، أي: عرضته للبيع.
- و"لسلبه" كأقسط محمد، أي: أزال عن نفسه القسوط، وهو الجور، وأشكيت فلانًا، أي: أزلت شكايته.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والأَرَقُ : السَّهَر. وقد أرِقْتُ بالكسر؛ أيْ سَهَرتُ، وكذلك ائتَرَقْتُ؛ على افْتَعَلْتُ، فأنا أرِقٌ. وأرّقَنِي : أَسْهَرَنِي[1].

البَان : ضربٌ من الشّجر، واحدها بَانَة، وهي طيّبة الرّيح، رخصة الأغصان. وقال امرؤ القيس[2] :

بَرَهْرَهَـــةٌ رؤُدَةٌ رَخْصَـــةٌ كخُرْعوبَــةِ البانــةِ المُنفطِــرْ

ويُعمل منه دهن يعرف بدهن البَان. وأظنّه الّذي سمّاه في "**المدوّنة**" الزنبق[3].

وقال بعضهم : «إنّه يسمّى الغالية». قال : «وأمّا ما تسمّيه العامة : "الغالية"، فتلك الزّبدة، والفرق بينهما».

وفي بعض الشّروح : «البان من ذوات الياء»[4].

قلتُ : وإنّما ذكره الجوهري في مادة (ب و ن)[5].

- و"ووجدان المفعول به متصفًا به"؛ كأبخلت الرجل، أي: وجدته بخيلًا.
- و"بلوغه" كأومأت الدراهم، أيْ بلغت مائة، وأنجد فلان، بلغ نجدًا.
- و"المطاوعة" ككببته فأكب.

انظر النحو الوافي. عباس حسن : 167/2.

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1445/4. مادة أرق.

(2) انظر البيت في ديوانه : ص 106. البرهرهة : الرقيقة الجلد الممتلئة. الرودة : الشّابة الناعمة. الخرعوبة : القضيب الغضّ.

(3) انظر المدونة. مالك : 412/3.

(4) قال ابن سيده : قَضَينا على أَلف البانِ بالياء وإن كانت عيناً لغلبةِ (ب ي ن) على (ب و ن). انظر لسان العرب. ابن منظور : 565/1. مادة بون.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 2081/5. مادة بون.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والعَلَم : هنا، قالوا: الجبل، وقيّده بعضهم[1] بالطّويل. قال : «إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمٌ[2].. والعَلَم أيضاً : علم الثّوب والرّاية»[3].

أعارتك : من العاريّة بتشديد الياء.

قال الجوهري : «كأنّها منسوبة إلى العار، لأنّ طلبها عار وعيب. قال :

إِنَّمَا أَنْفُسُنا عاريَةٌ والعَوَاريُّ قُصَارٌ أَنْ تُرَدّ»[4]

وقال الخطّابي[5] : «ممّا يجب أن يُنقل، والرّواة يخفونه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الْعَارِيَةَ مؤدّاة**»[6]. وكذلك جمعها، وهي اللّغة العالية.

---

(1) هو ابن سيده. انظر كتابه المحكم والمحيط الأعظم : 176/2. مادة علم.

(2) هذا شطر من بيت لجرير، والبيت بتمامه :

إذا قَطَعْنَ عَلَماً بَدَا عَلَمٌ حتّى تناهَيْنَ إلى باب الحَكَمْ.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1990/5. مادة علم.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 761/2. مادة عور. ولم أقف على قائل البيت.

(5) هو حمد بن محمد بن إبراهيم ابن الخطاب البستي، أبو سليمان (319 - 388هـ= 931 - 998م). فقيه محدّث، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب. له (معالم السنن) في شرح سنن أبي داود. توفي في بست. انظر الأعلام. الزركلي : 273/2.

(6) جزء من حديث رواه أبو داود عن أبي أمامة مرفوعا في البيوع. باب في تضْمين العاريَّة. والحديث صحيح. ورواه غيره.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ثمّ قال : «وقد يُقال أيضاً عَارِيَة وعَارَة». وقال الجوهري : «العارَة مثل العاريّة؛ قال ابن مقبل[1] :

فَأخلفْ وأَتلِفْ إنّما المالُ عَارَةٌ   وَكُلْهُ مَعَ الدّهرِ الّذي هو آكلُهْ»[2]

كذا نسب الجوهري البيت لابن مقبل، وزعم المبرّد[3] أنّه لعبد الله بن همّام السّلولي[4]، وأنشد بعده :

فـأَهْوَنُ مَفْقـودٍ وأَيْسَـر هالِـكٍ   على الحَيّ مَن لا يبلُغُ الحيَّ نائلُهْ

قال الجوهري : «يقال : هم يَتَعَوَّرونَ العَواريَّ بينهم. واستعاره ثوبا فأعاره إياه. وقد قيل مستعار بمعنى متَعاوَرٌ؛ أيْ متداول»[5]. انتهى.

قال بعضهم[6] : «ولو كانت منسوبة إلى العار كما زُعم[7]، لقالوا يتعيّرون.. فالعارية من المعاورة، وهي الأخذ والإعطاء، يقال : الجيران يتعاورون الأواني».

---

(1) هو تميم بن أبي بن مقبل، من بني العجلان، من عامر بن صعصعة، أبو كعب (... - بعد 37هـ= ... - بعد 657م). شاعر جاهلي، أدرك الإسلام وأسلم، فكان يبكي أهل الجاهلية. عاش نيفا ومائة سنة. وعدّ في المخضرمين. له ديوان شعر. انظر الأعلام. الزركلي : 87/2.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 761/2. مادة عور.

(3) انظر الكامل. ابن المبرد : 102/2. ولكن الأكثر نصّ على أنّه من قول ابن مقبل.

(4) هو عبد الله بن همام بن نبيشة بن رياح السّلولي، من بني مرّة بن صعصعة (... - نحو 100هـ= .. - نحو 718م). شاعر إسلاميّ. أدرك معاوية، وبقي إلى أيام سليمان بن عبد الملك، أو بعده. له أخبار. وكان يقال له "العطار" لحسن شعره. انظر الأعلام. الزركلي : 143/4.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 761/2. مادة عور.

(6) القائل هو خليل بن إسحاق : انظر كتابه التوضيح : 485/6.

(7) الّذي زعم ذلك هو الليث. انظر تهذيب اللغة. الأزهري : 105/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال : «إِذَا رَدَّ المُعَاوِرُ مَا اسْتَعَارَا»(1).

وقال ذو الرمّة : «وسِقْطٍ كَعَيْنِ الدَّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي..»(2).

فعينها كما ترى واو، وعين "العار" ياء.

وقال النّابغة : «وَعَيَّرَتْنِي بنو ذبيان.. البيت»(3).

وقال شيخنا أبو العبّاس(4) : «العاريّة ما تداولته مع غيرك؛ تقول: استعرته ثوبًا، فأعارنيه؛ أيْ طلبت مداولتة، ففعل».

قلتُ : وفي هذا التّفسير تخصيص، فلا يسلم من عدم الانعكاس، أيْ لا يَجْمَع، فتأمّله.

---

(1) هو شطر من بيت أنشده ابن المظفر. ولم أقف على تمامه. انظر تهذيب اللغة. الأزهري : 105/3.

(2) البيت بتمامه هو :

وسِقْطٍ كَعَيْنِ الدَّيكِ عَاوَرْتُ صُحْبَتِي   أباهـا وهيـأنا لمـوْقعها وكرَ.

انظر ديوانه : 3/ 1426. وتهذيب اللغة. الأزهري : 105/3.

(3) البيت بأكمله كالتالي :

وَعَيَّرَتْنِي بَنُو ذُبْيَـانَ رَهْبَتَهُ   وَهَلْ عَلَّي بأَنْ أخْشَاكَ مِنْ عَارِ

انظر زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 4/ 1103.

(4) أيْ القصار.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة العاريّة]

وحقيقتها شرعًا على التّقريب : «تَمْلِيكُ مَنَافِعِ الْعَيْنِ بِغَيْرِ عِوَضٍ»[1].

واللّون : هيئة؛ كالسّواد والحمرة[2].

---

(1) انظر التوضيح. خليل بن إسحق : 485/6. التلقين. القاضي عبد الوهاب : 172/2.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2197/6. مادة عور.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة اللّون]

وهو من الأعراض كالأكوان. ونفاه بعضهم، والمثبتون له اختلفوا في أنواعه، هل كلٌّ أصل بنفسه، أو بعضها أصول، وبعضها متفرّع عنها. كما اختلف هؤلاء في الأصل منها؛ ما هو. ومحلّ هذه الأبحاث علم الكلاّم والحكمة(1).

واللّون أيضاً النّوع؛ وفلان مُتَلَوِّنٌ : لا يثبت على خُلق واحد. ولَوَّنَ البسرُ تَلْويناً : بدا فيه النّضج(2).

العَبرة : بفتح العين؛ تحلُّب الدّمع؛ أيْ سيلانه، من قولهم تحلّب العرق : سَالَ. وقيل: وسمّيت الدّمعة عَبرة؛ لمجاوزتها العين إلى الخدّ، لأنّ العبور المجاوزة، وتقول منه : عَبِرَ الرّجل - بكسر الباء - يَعْبَرُ عَبَراً بفتحها فيهما؛ أيْ سَالَ دمعه، فهو عابِرٌ، والمرأة أيضاً عابِرٌ. وعَبِرَتْ عينه واسْتَعْبَرَتْ : دَمَعت. والعَبْرَانُ : الباكي. والعَبَرُ بالتّحريك : سُخْنَةٌ في العين تُبكيها. والعُبْرُ - بالضمّ - مثله. يقال : لأمِّه العُبْرُ والعَبَر. ورأى فلان عُبْرَ عينيه؛ أيْ ما يُسخِّنها(3).

والضّنا : المَرَض. يقال : ضَنِيَ بالكسر؛ أيْ مرض، ضَنًى فهو ضَنٍ؛ نحو حرًى فهو حَرٍ. يُقال : تركته ضَنًى، فيستوي فيه المذكّر

---

(1) انظر مثلا معيار العلم. أبو حامد الغزالي : ص 313.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2197/6. مادة عور.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 733/2. مادة عبر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

والمؤنّث والواحد والجمع؛ لأنّه مصدر في الأصل، وضَنِياً؛ فيُخفض ويُثنّى ويُجمع؛ كحَرٍ. وأَضْناه المرض : أثقله[1].

والذّكرَى والذُكْرَةُ والذّكر : ضدّ نسيان الشّيء، وضدّ الغفلة عنه[2]. وقد تقدّم في أوّل بيت.

الخِيَام : جمع خَيْمة، وهو بيت تبنيه العرب من عيدان الشّجر، ويُجمع أيضاً خَيْماتٌ وخِيَمٌ؛ كَبَدْرَات وبِدَر، والخَيْمُ مثل الخَيْمَةِ، قال النّابغة :

فلم يَبْقَ إلاّ آلُ خَيْمٍ مُنَضَّدٍ ... وثُمٍّ على عَرْش الخيام غَسِيل

والجمع أيضاً خِيامٌ، كفَرْخ وفِرَاخ. وخَيَّمَهُ : جعله كالخَيْمَةِ. وخَيَّمَ بالمكان : أقام. وتَخَيَّمَ به : ضرب خَيْمَتَهُ به. هذا كلّه نقل الجوهري[3]. ونقل بعضهم عن أبي منصور[4] أنّ الخيمة : خِبَاءٌ مِنْ صُوفٍ[5]. والخِيَم جمع خَيمَة أيضاً كما تقدّم.

وقال بعض أشياخنا : «خِيامُ القوم : محلّ إقامتهم، خَيَّم بالمكان؛ إذا أقام به». قلت : فظاهره أنّها الجهة الّتي يسكنونها من الأرض. فتأمّله.

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 2410/6. مادة ضنا.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 664/2. مادة ذكر.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 1916/5. مادة خيم.

(4) هو عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، أبو منصور الثعالبي (350 - 429هـ= 961 - 1038م). من أئمة اللغة والادب. من أهل نيسابور. كان فراءا يخيط جلود الثعالب، فنسب إلى صناعته. واشتغل بالأدب والتاريخ، فنبغ. وصنف الكتب الكثيرة الممتعة. من كتبه (يتيمة الدهر). انظر الأعلام. الزركلي : 163/4.

(5) انظر فقه اللغة. أبو منصور الثعالبي : ص 201.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التَّفْسِيْرُ

[آثار الهوى تظهر على صاحبه]

لمّا أنكر على الصبّ ظنّه أنّ حبّه يخفى بين سَجم الدّمع وظهور أثر حرارة القلب المفرطة، قدّرنا كأنّ الصبّ تمادى على إنكاره وكتمانه، فكأنّ قائلاً يقول - أو الصبّ نفسه يقول - : ليس معي من علامات الحبّ شيء، فبماذا زعمتِ ما نسبتِي إليه، وأنّي كتمتُه؟ وما دليلكِ على ذلك؟ وكأنّ الإنكار الأوّل الّذي قدّرنا عند قوله : "فما لعينَيك.." إنكار لسبب البكاء أن يكون هو ما ذكره السّائل، ولذا أعاد السّؤال خاصّة، فلمّا لم يجبه أنكر عليه ظنّ خفاء الحبّ، وحقّق نسبته إليه، واتّصافه به، فأنكر المخاطَب إنكارا ثانيًا، نفى به أصل المحبّة، وطالب مَن نسبه إلى ذلك بالدّليل، وكأنّ المسؤول قال للسّائل : سلّمنا إنكارك على الصبّ ظنّه خفاء حبّه، لكنّي لستُ بصبّ، فما دليلك على ذلك؟ فقال السّائل: لولا وجود الهوى لديك لما صَبَبتَ دمعك على طلل الأحباب؛ أيْ في طللهم، إذا قدّرنا أنّه شاهده يبكي بين الأطلال، أو من أجل أنْ ذكرت أو ذُكرت لك أطلال الأحباب، وهذا الثّاني أظهر؛ فإنّ ذكر غيره يكون لسانيًا، فيبكي الصبّ عند سماعه، فيطّلع العاذل عليه، وأمّا ذكر الصبّ الأطلال؛ فلا يكون إلاّ نفسانيًا؛ لِما قصده مِن الكتمان، وحينئذ ما الّذي يُطلع العاذل عليه، إلاّ أن يُقال: علم ذلك من بكائه.

لا يُقال : أسباب البكاء كثيرة، فما الّذي يُدرِي العاذل أنّ بكاء هذا من تذكّر أطلال الأحباب بقلبه.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

لأنّا نقول : قد يُدّعي حصرُها بالسّبر والتّقسيم[1] في الإيلام الظّاهر والباطن، فإذا انتفى الظّاهر بالمشاهدة لانتفاء أسبابه، لم يبق إلاّ الباطن، وليس هو - بعد السّبر والتقسيم - إلاّ المحبّة. ويحتمل أن يكون ذكر الصبّ الأطلال لسانيًا، لأنّ فكره لمّا تعمّر بها، فلا بدّ أن ينطق لسانه بها؛ لأنّ من أحبَّ شيئًا أكثر من ذكره، فيفيض دمعه حينئذٍ.

فإن قلتَ : وكيف يسعه الإنكار مع الذّكر اللّسانيّ؟

قلتُ : كما وسعه مع الشّواهد المذكورة، وأيضاً فإنّه لا يُتفطّن لِما يصدر منه لتدلّهه.

ثمّ أردفه هذا الدّليل بآخر، فقال : "ولا أرِقتَ"؛ أيْ: ولولا الهوى لم تسهر لذكر البان - وهو شجر بلاد الأحبّة – والعَلَم - وهو من جبالهم-، وإنّما أورثه ذكرهما السّهر؛ لأنّ المحبّ تكثر حرارته - كما قرّرنا -، فتفني رطوبات دماغه الّتي هي من صعود أبخرة من المعدّة إليه، وإنّما يكون النّوم من تلك الرّطوبات إذا كثرت، فتجمد هناك، ويكون عنها النّوم والسّبات، ولذا تنعكس الحرارة عند النّوم إلى داخل الجسد، وسببها الأعظم كثرة الطّعام والشّراب، لاشتغال الحرارة بهضمها، فيضعف ما يصل منها إلى الدّماغ، ويكثر فيه ما يقرّ أمام الحرارة من الرّطوبات الباردة، فتجمد لذلك، وينام، والمحبّ الّذي ألهاه حبّه عن الأكل والشّرب، وتضاعفت حرارته الغريزية بالغريبة الّتي

(1) السبر والتقسيم عند أهل الأصول في باب القياس هو : أَنْ تُحْصَرَ الْأَوْصَافُ الَّتِي يُمْكِنُ التَّعْلِيلُ بِهَا لِلْمَقِيسِ عَلَيْهِ، ثُمَّ اخْتِبَارُهَا فِي الْمَقِيسِ، وَإِبْطَالُ مَا لَا يَصْلُحُ مِنْهَا بِدَلِيلِهِ. انظر إرشاد الفحول. الشوكاني : 125/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أكتسبها من لَوْعة الحبّ وحُرقته، تفنى رطوباته بها، فلا ينام، لا سيما عند تذكّر معاهد الأحباب، وذكرها ملازم له : «**مَنْ أَحَب شَيْئًا أَكْثَرَ ذِكْرَهُ**»[1]، ولذا أيضاً يكون ناحل الجسم مصفرّ اللّون؛ كصاحب المرض الّذي يُسمّى **الذّبول**.

وقوله : "لـذِكرِ البَانِ والعَلَم"؛ يحتمل أيضاً ذكره أو ذكر غيره، والبحث فيه كالّذي قبله. ثمّ أردف هذا الدّليل بدليل ثالث، فقال : "ولا أَعَارَتْك"؛ أيْ ولولا الهوى لم يُعرك؛ أيْ يعطك على سبيل العاريّة ذِكرى الخيام وذكرى ساكنيها، لونَي العَبرة والضّنا؛ أيْ نوعيهما، فاللّون هنا النّوع، فكأنّه شبّه نوعَي العَبرة والضّنا بلباسَين أعارتهما ذكرى الخيام وذكرى ساكني الخيم للصبّ، ووجه التّشبيه أنّ آثار الحبّ زينة للصبّ، يتزيّن بها؛ كما يتزيّن باللّباس، فرقّة جسمه وصفرة لونه كثوب بديع الرقّة والصّبغ، وذلك لون الضّنا؛ أيْ نوعه، وانسجام الدّموع سمطين سمطين أو أكثر على النّحر بمثابة الدرّ المعلّق عليه، وذلك لون العَبرة؛ أيْ نوعها؛ قال امرؤ القيس[2] :

فَفَاضَتْ دُمُوْعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً ... عَلَى النَّحْرِ حتّى بَلَّ دَمْعِي مِحْمَلِي

وقال آخر[3] :

---

(1) هو حديث. قال السخاوي : «رواه أبو نعيم ثم الديلمي من حديث مقاتل بن حيان عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة رضي الله عنها به مرفوعا». انظر المقاصد الحسنة: ص 619.

(2) انظر البيت في ديوانه : ص 25.

(3) لم أقف على هذا البيت ولا على قائله في المصادر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

مَا عَلَّقَ الـدُرَّ عَلَى نَحْرِهَـا   إلاَّ لِمَـــا يَخْشَـــى مِـــنَ العَـــيْنِ

ويُـروى قولـه : "لَـوْنَي" "ثَـوْبَي"، وهـو حينئـذٍ اسـتعارة ترشـيحيّة، وعلى رواية "لونَي" استعارة بالكناية، كما ترى الفرق بينهما في ترجمة البيان إن شاء الله تعالى.

وفي قوله : "ذِكْرِى الخِيَام" و "ذكرى ساكن الخِيَم" من البحث في الذّاكر؛ مَن هو؟ ما تقدّم، ويحتمل أن يكون المراد اللّون الّذي هو الهيئة، وهو متمكّن في الضّنا، قلقٌ في العَبرة، إلاّ أن يريد لون العَبرة الدّمعَ نفسه، فإنْ أراد الصّافي شبّه بالدرّ، وإن أراد الممزوج بالدّم شبّه بالعقيق لا بالدرّ كما تقدّم في أبيات العماد والحاجري في شرح أوّل بيت من القصيد.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[أقوال في بكاء الدّيار من أجل الهوى]

وبكاء الدّيار من أجل الهوى منزعٌ عند الشّعراء قديمٌ، وطريق تواتروا عليه مستقيمٌ، وافتضاح حبّهم من أجل ذلك ظاهرٌ، واستدلال الوشاة العاذلين عليهم بسلوكها دليل باهرٌ؛ قال مرّار بن هبّاش الطائيّ[1] :

سَقَى الله أَطْلالاً بأحبلة الحِمَى وإنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ للنّاسِ مَا بِيَا
مَنازِلُ لو مَرَّتْ بِهِنَّ جَنازَتِي لَقالَ صَدَأيْ : حامِلَي انزلا بِيا[2]

---

(1) هو من شعراء اليمن الجاهليين، ولم أقف على ترجمته.

(2) وتنسب الأبيات أيضاً للصِّمَّة القُشَيْرِي، ولمحمد بن بشير الخارجي، وتروى أيضاً بلفظ:

سَقَى الله أَطْلالاً بأَكْثِبَةِ الحِمَى وإنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ للنّاسِ دائِيا
مَنازِلُ لو مَرَّتْ بِهِنَّ جَنازَتِي لَقالَ الصَّدَى : يا حامِلَيّ أرْبَعا بِيا

انظر الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري : 133/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الألف واللاّم في "الهوى" تحتمل الجنس؛ أيْ لولا هذه الحقيقة.. والعهد؛ أيْ لولا هواك.. وفي قوله : "لم تُرق" التفات من الغيبة - الّتي في لفظ "الصبّ" - إلى الخطاب؛ نحو : ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴾[1].

وقول ابن عنمة[2] :

ما إنْ يَرَى السِّيدُ زَيْداً في نُفُوسِهِمُ　　كما يَراهُ بنُو كُوزٍ ومَرْهُوبُ

إنْ تَسْأَلوا الحَقَّ نُعْطِ الحَقَّ سائِلَهُ　　والدِّرْعُ مُحْقَبَةٌ والسَّيفُ مَقْرُوبُ

والتّنكير في "دَمْعًا" للتّعظيم أو النّوعية كما تقدّم، وكذلك تنكير "طَلَل"، مع احتمال التّقليل فيه أو التّحقير عند غير الباكي، كما يحتمل "دمعًا" التّقليل عند الباكي، وتنكير "عَبْرة" و "ضَنَا" كتنكير "دمعًا".

---

(1) سورة الفاتحة : الآيتان 4 و 5.

(2) هو عبد الله بن عنمة بن حرثان الضبي (.. - بعد 15هـ= .. - بعد 636م). من شعراء المفضليات. له فيها قصيدة. مات بالشام، وزعم قوم أنه مات بمكة، ويقال بالطائف، ويقال بمصر. وهو مخضرم، عاش في الجاهلية ورثى فيها بسطام بن قيس، ثم شهد القادسية (سنة 15هـ) في الإسلام. انظر الأعلام. الزركلي : 111/4.
والسيد وزيد وكوز ومرهوب؛ أحياء من ضبة. وانظر البيتين في خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 8/ 465.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[فائدة الإخبار]

واعلم أنّ قصد المُخبر لمن يخبره؛ إمّا إفادة الخبر؛ كقولك : زيدٌ قائمٌ، لمن لا يعلم ذلك. أو لازمه؛ كقولك لمن حفظ القرآن : حفظتَ القرآن. إعلامًا منك له بأنّك علمتَ ذلك. ويُسمّى الأوّل فائدة الخبر، والثّاني لازم فائدة الخبر[1]. وهذا الإخبار من العاذل للمحبّ من لازم فائدة الخبر، فإنّ المخاطَب يعلم أنّه لولا الهوى لَمَا أَرَاق.. إلى آخره.. ولولا هذا القصد، لامتنع الإخبار، ولذا يمتنع الإخبار بالمعلوم؛ نحو : النّار حارة. ويحتمل أن يكون هذا الإخبار من تنزيل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلةَ الجاهل؛ لعدم جَرْيه على موجب العلم؛ نحو : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾[2]. ثمّ قال تعالى : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3]. فنفى آخرًا ما أثبت لهم من العلم أوّلاً، لعدم جَرْيهم على موجبه، وهو كثير. وفي كلام بعضهم[4] أنّ هناك قسمًا ثالثا يفيده الإخبار؛ وهو فائدة الخبر ولازم فائدته جميعًا بخبر واحد.

---

(1) انظر ذلك في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 22.

(2) سورة البقرة : من الآية 102.

(3) سورة البقرة : من الآية 102.

(4) يقصد السّكاكي حين قال : «وقد ينزل العالم بفائدة الخبر ولازم فائدته منزلة الجاهل؛ لعدم جَريه على موجب العلم، فيلقى إليه الخبر كما يلقى على الجاهل بأحدهما، وإن شئت فعليك بكلام ربّ العزة **﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾** (سورة البقرة. الآية 102) كيف تجد صدره يصف أهل الكتاب بالعلم على سبيل التوكيد القسمي، وآخره ينفيه عنهم؛ حيث لم يعلموا بعلمهم، ونظيره في النفي والإثبات **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾** (سورة الأنفال. الآية 17) وقوله تعالى **﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾** (سورة التوبة. الآية 12). انظر ذلك في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني: ص 22/ 23.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وانظر كيف يُتصوّر هذا بعد إحاطتك بحقيقة الأمرين.

وفي البيت الأوّل إيجاز الحذف؛ إذ التّقدير : دمعًا مِن عينيك على طللٍ لأحبابك، ولا أرقتَ ليلَك. وقد لا يعلق "أَرِقْتَ" بمفعول فيه، وهو أولى ليعم السّهر أوقاته؛ وأنّه لا ينام ليلاً ولا نهارًا.

وإنّما قدّم المفعول في البيت الثّاني، وهو "لَونَي عَبرة" على الفاعل؛ وهو "ذِكْرى" لأمرين : الأوّل : القافية. الثّاني : أنّ تقديمه عند العاذل المخاصم أهمّ؛ لأنّ به تقوم الحجّة.

فإن قيل على الأوّل : لو قدّم ذكر "الخيام"، ثمّ يذكر المفعول، ثمّ يذكر "وذِكرى" الثّاني، يحصل المطلوب من القافية.

قيل : يؤدّي إلى الفصل بين المتعاطفين بأجنبيّ. وإنّما كرّر "ذكْرَى سَاكِني الخِيَم"، ولم يُثنِّ، لأنّه قصد التّكثير؛ كقوله : لو عُدَّ قَبْرٌ وقَبْرٌ كنتُ أَكْرَمَهُمْ[1].. وإسناد "أعارتك" إلى "ذكرى الخِيَام" من الإسناد المجازيّ، ويُسمّى إسنادًا عقليًا ومجازًا في التّركيب، وقد تقدّم في قوله : "مَزَجْتَ"، وهو هنا من إسناد الفعل إلى سببه. وفي قوله : "الخِيَم" الأخير إيقاع الظّاهر موقع المُضمر، وفائدته قصد التّعظيم أو القافية، أو ما يأتي من فوائد التّكرير في فصل البديع.

---

(1) هو شطر من بيت لعِصام بن عُبَيْدَة الزّمّاني، والبيت بتمامه :

لو عُدَّ قَبْرٌ وقَبْرٌ كنتُ أَكْرَمَهُمْ ... مَيْتاً، وأَبْعَدَهُمْ عن مَنْزِل الذَّامِ

انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 7/ 473.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَيَانُ

قولـه فـي البيـت الثّـاني : "ولا أعارتـك لـونَي" اسـتعارة بالكنايـة، وتُسمّى أيضاً مكنيًّا عنها، ويلازمها استعارة تخييليّة.

[حقيقة الاستعارة بالكناية]

وحقيقتها : «أَنْ يُضْمَرَ التَّشْبِيهُ فِي النَّفْسِ، وَلاَ يُذْكَرُ شَيْءٌ مِنْ أَرْكَانِهِ سِوَى المُشَبَّه، وَيَدَلُّ عَلَى التَّشْبِيهِ بِأَنْ يَثْبُتَ للمُشَبَّهِ شَيءٌ مُخْتَصٌّ بِالمُشَبَّهِ بِهِ»[1]. فيُسمّى التّشبيه استعارة بالكناية أو مكنيًا عنها، ويُسمّى إثبات ذلك الشّيء للمُشبّه استعارة تخييلية، ومثاله قول الهذلي[2] :

وإذا المنيَّـةُ أنشـبتْ أظفارَهـا   أبصـرت كـلَّ تميمـةٍ لا تنفَـعُ

فإنّه شبّه المنيّة بالسّبع في اغتيال النّفوس قهرًا من غير تفرقة بين نفّاع وضرّار، ولم يذكر إلاّ المُشبّه، لكنّه أثبت له ما هو مختص بالمُشبّه به، وهو الأظفار الّتي لا يكمل الاغتيال فيه إلاّ بها؛ مبالغةً في التّشبيه.

ومنه قول الآخر :

ولـئن نطقـتُ بشـكرِ بِـرِّكَ مـرّة   فلسانُ حَالِي بالشِّكَايَةِ أَفْصَحُ[3]

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 290.

(2) هو خويلد بن خالد بن محرث، أبو ذؤيب، من بني هـذيل بن مدركة، من مضر (.. - نحو 27هـ= .. - نحو 648م). شاعر فحل، مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. وسكن المدينة. ومات بمصر. واشترك في الغزو والفتوح. انظر الأعلام. الزركلي : 325/2. انظر خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. عبد القادر بن عمر البغدادي : 1/ 420.

(3) المحفوظ : ولئن نطقتُ بشكرِ بِرّكَ مفْصِحا   فلسانُ حالي بالشِّكايةِ أنطَـقُ

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فشبّه الحال بإنسان ناطق لم يذكره، وأثبت من أحواله للحال اللّسان. وهو هنا تشبيه "لَونَي العَبرة" و "الضّنا" بلباسين ولم يُذكرا، لكن ذكر ما هو من أحوالهما؛ وهو العاريّة، فتشبيه اللّونين باللّباسين هو الاستعارة بالكناية، وإثبات العاريّة لهما استعارة تخييليّة، كما أنّ إثبات اللّسان للحال هو التخييليّة، إلاّ أن العاريّة لازم أعمّ، فلا يلزم دلالتها على اللّباسين. وأمّا على رواية "ثَوْبَي" فهي استعارة تحقيقيّة، وهي من أقسامها الثّلاثة[1]؛ ترشيحيّة.

وهو لأبي نصر محمد بن عبد الجبار العتبى. انظر ثمار القلوب في المضاف والمنسوب. أبو منصور الثعالبي: ص 332.

(1) أقسامها الثلاثة هي : مطلقة، ومُرَشَّحة، ومجرَّدة. انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن حبنكة الميداني : 252/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الاستعارة التّرشيحيّة]

وهي : «الّتي تُقْرَنُ بِمَا يُلاَئِمُ المُسْتَعَارُ [مِنْهُ]»[1].

نحـــو قولـــه تعـــالى : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت ﴾[2]. فإنّه استعير الشّراء لتبديل الهدى بالضلالة، لأنّ المشتري يُبدل الثّمن بالمثمون، وقُرنت بالرّبح والتّجارة اللّذين يلائمان الشّراء، وهو المستعار منه؛ ومنه قوله[3] :

يُنـازِعُني رِدَائِـي عَبُـد عَمـرو   رَويـدَكَ يـا أخَـا عَمـرو بـنِ بَكـرِ
لـي الشَطرُ الّذِي مَلكتْ يَميني   فَـدونَكَ فـاعتَجِر منـه بِشَـطرِ

استعار الرّداء للسّيف، وأثبت له الاعتجار، وهو من صفة الرّداء.

ومنه قوله[4] :

غمرُ الرِّدَاءِ، إذا تبسَّمَ ضاحكاً   عَلِقَتْ لضحْكَتِهِ رقابُ المالِ

فاستعار الرّداء للمعروف؛ لأنّه يصون صاحبه كالرّداء، وقرنه بالغمر الّذي يلائم الرّداء.

---

(1) لفظ [مِنْهُ] غير واردة في جميع النّسخ، والإضافة من الإيضاح للقزويني. انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 282.

(2) سورة البقرة : من الآية 16.

(3) ينقله الكتّاب ولا ينسبونه لأحد. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 54/7.

(4) البيت لكثيّر عزّة. انظر معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. أبو الفتح العباسي : 149/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ومـــن المعنـــى المـــذكور هنـــا : ﴿ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ ﴾[1]، فالزّمخشري[2] يجعلها عقليّة، والسّكاكي يجعلها حِسيّة، والاستعارة في الآية الكريمة أظهر، وفيها كلام طويل[3].

وقد يُقال إنّ ما في البيت على هذه الرّواية ليس باستعارة؛ لذكر المُشبّه به، والاستعارة مبناها على تناسي التّشبيه، بل يسمّى هذا النّوع تشبيهًا بليغًا عند المحقّقين[4]. وتضمّن قوله : "ولا أعارَتك لَونَي عَبرة وضَنَا.." إلى آخره مجازات ثلاثة؛ مجاز تركيبي في إسناد "أعار" إلى "ذِكرى"، ومجازان إفراديان في تسمية "لَونَي العَبرة والضّنا" ثوبَين.

---

(1) سورة النحل : من الآية 112.

(2) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، أبو القاسم (467 - 538هـ= 1075 - 1144م). من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنا فلقب بجار الله. وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفى فيها. أشهر كتبه (تفسير الكشاف). انظر الأعلام. الزركلي : 178/7.

(3) قال عبد المتعال الصعيدي : «على ظاهر قول الشيخ جار الله العلامة (أيْ الزمخشري) استعارة عقلية؛ لأنه قال: شبه باللباس -لاشتماله على اللابس- ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث. وعلى ظاهر قول الشيخ صاحب المفتاح : حسية؛ لأنه جعل اللباس استعارة لما يلبسه الإنسان عند جوعه وخوفه من امتقاع اللون ورثاثة الهيئة». انظر كتابه بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة : 476/3.

(4) التشبيه البليغ : هو الذي يكون التشبيه كُلُّهُ فيه "مؤكّداً مُجْملاً"، أيْ: لم تُذْكَرْ فيه أداة التشبيه، ولم يُذْكر فيه وجْهُ الشبه. مثل قولنا : "خالد أسد". انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن حبنكة الميداني : 174/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قال بعضهم : «وهي كلّها استعارات علاقتها الشّبه، ونظيره في جمع ثلاثة تشبيهات في كلام واحد قوله[1] :

نَشَرَتْ غَدَائِرَ شَعْرِهَا لِتُظِلَّنِي   خوفاً عليّ من الرَّقِيب المُحْنِقِ

فَكَــأَنَّنِي وَكَأنَّهــا وَكَأنَّــه   صُبْحَان بَاتَا تَحْتَ لَيْلٍ مُطْبِقِ»

قلتُ : وفي كون المجاز الإسنادي من الاستعارة بحثٌ طويلٌ، وهو مذهب لبعضهم[2]. وأمّا تنظيره ما للنّاظم بالبيت الّذي أنشده فغير مطابق، فإنّ "لونَي عَبرة وضَنا" استعارة كما قرّرنا، وما في البيت تشبيه صريح، ليس من الاستعارة في شيء؛ لذكر طَرَفي التّشبيه والأداة. ويقرب ما في هذا البيت ممّا يسمّيه بعضهم التّطريز[3].

---

(1) البيتان لابن المعتزّ. ويُرويان بألفاظ متباينة. انظر الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 243/5.

(2) وهو السكاكي.

(3) هو أبو هلال العسكري. والتطريز : أن يقع فى أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية فى الوزن، فيكون فيها كالطّراز فى الثوب، وهذا النوع قليل فى الشعر. انظر كتابه الصناعتين : 425.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّطريز]

وهو : «أَنْ يُؤْتَى فِي الكَلاَمِ بِمَوَاضِعَ مُتَقَابِلَةٍ كَأَنَّهَا طِرَازٌ»[1].

وهو أيضاً من اللفّ والنَّشر.

---

(1) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. للنويري : 123/7.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

في البيتين المذهب الكلامي، وتقريره : لو لم تكن ذا هوى، لما أَرَقْتَ.. ولا أَرِقْتَ .. ولا أَعَارَتْكَ.. فإذا استثنى نقيض التّالي؛ بأن يقول : لكنّك أَرَقْتَ.. وأَرِقْتَ.. وَأَعَارَتْكَ.. أنتج له نقيض المتقدّم؛ أيْ فأنت ذا هوًى.

وفي البيت الأوّل التّجنيس الشّبيه بالاشتقاق في "تُرِق" و "أرِقتَ". وفيه الموازنة في الأصل بين "البان" و "العَلَم"، وفيهما مراعاة النّظير، كأنّه قال : الشّجر والجبال.

وفي الثّاني مراعاة النّظير؛ لجمعه بين "العَبرة" و "الضَنَا". وفيه التّجنيس النّاقص في "الخيام" و "الخيم" في وجه، وفيه التّام في "ذكري" و "ذكرى"؛ لتغاير المذكورين، وفيه نظر.

قال بعضهم : «في قوله : "ذكري الخيام.." إلى آخره التّرديد.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّرديد]

وهو : «ذِكْرُ اللَّفْظِ مَعَ اتّحَادِ مَعْنَاهُ»[1].

إذا كان لفظا "ذكرى" مقصورين، وهو فيهما وفي لفظ "الخيام" و "الخيم". ومنه قول الشّاعر[2] :

فَليَعجَب النّاسُ منّي أنّ لي بَدَناً لا رُوحَ فيهِ، وَلي رُوحٌ بلا بَدَنِ»

قلت : التّرديد هو الّذي يسمّيه الطّيبي[3] وغيره التّكرير، وهو أقسام كثيرة لمقاصد شتّى، والّذي يليق منها هاهنا تثبيت المعنى وتحقيقه على المخاطَب المُنكر[4]، وهو قريب من التّأكيد اللّفظي

---

(1) انظر نهاية الأرب في فنون الأدب النويري : 177/7.

(2) البيت لمحمّد بن أبي عُيينة بن المهلّب. انظر الدر الفريد. المستعصمي : 30/6.

(3) هو الحسين بن محمد بن عبد الله، شرف الدين الطيبي (.. - 743هـ= .. - 1342م). من علماء الحديث والتفسير والبيان. من أهل توريز، كانت له ثروة طائلة من الإرث والتجارة، فأنفقها في وجوه الخير، حتّى افتقر في آخر عمره. وكان شديد الرد على المبتدعة. من كتبه (التبيان في المعاني والبيان). انظر الأعلام. الزركلي : 256/2.

(4) من مقاصد التكرير ما يلي :

- الأوّل – التأكيدُ وتقريرُ المعنَى في النَّفس.
- الثاني – طولُ الفصلِ، لئلا يجيءَ مبتوراً ليسَ له طلاوةٌ.
- الثالثُ – قصدُ الاستيعابِ.
- الرابع – الترغيب في قبولِ النصحِ باستمالةِ المخاطب لقبولِ الخطاب.
- الخامس – التنويهُ بشأنِ المخاطبِ.
- السادس – تكرارُ اللفظِ متعلقاً بغيرِ ما تعلَّقَ به أولاً.
- السابع – التلذذُ بذكرِه.

انظر جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع. أحمد الهاشمي : ص 203.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

عند النّحاة[1]؛ إلاّ أنّ الغرض عند النّحاة لفظيّ؛ ومنه قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إِنَّ بَنِي هِشَامِ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيًّا، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ..**» الحديث[2]؛ كرّر لما وجد من الغضب؛ للجمع بين بنت وليّ الله وبنت عدوّه. وأمّا تنظيره بالبيت فغير مطابق، بل البيت من نوع يُقال له العكس والتّبديل[3]، وهو أقسام، ومنه قوله سبحانه وتعالى : ﴿**لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ**﴾[4]. و : ﴿**مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ..**﴾ الآية[1].

وقول المتنبّي :

---

(1) التوكيد عند النحاة نوعان؛ لفظي ومعنوي، فأما اللفظي فهو تكرار اللفظ السابق (المؤكّد)، مرتين أو ثلاثا على الأكثر، وأمّا المعنويّ فهو أن يُذكر بعد الاسم السابق (المؤكّد) أحد هذه الألفاظ : نفس – عين – كلّ – جميع – عامة – كلا – كلتا – أجمع. انظر شرح تسهيل الفوائد. ابن مالك : 289/3 و 301/3.

(2) رواه ابن حبان عَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ مرفوعا في إِخْبَارِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ، رِجَالِهُمْ وَنِسَائِهِمْ بِذِكْرِ أَسْمَائِهِمْ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. باب ذِكْرُ زَجْرِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَنْكِحَ عَلِيٌّ عَلَى فَاطِمَةَ ابْنَتِهِ. والحديث صحيح.

(3) العكس والتبديل هو : «أنْ يقدّم في الكلام جزء ثمّ يُؤخّر». وأقسامه هي :

- أوّلا – أنْ يقع بين أحد طرفي جملة وما أضيف إليها؛ كقول بعضهم : عادات السادات سادات العادات.
- ثانيا – أنْ يقع بين متعلقي فعلين في جملتين؛ كقوله تعالى ﴿**يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ**﴾. من الآية 31 من سورة يونس.
- ثالثا – أنْ يقع بين لفظين في طرفي جملتين. وهذا القسم هو الذي ذكره ابن مرزوق.

انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 329 وما بعدها.

(4) سورة الممتحنة : من الآية 10.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فلا مجدَ في الدّنيا لمنْ قَلَّ مالُهُ ولا مالَ في الدّنيا لمن قلَّ مَجْدُهُ

وقول الآخر[2] :

إنَّ اللَّيَــالِيَ لِلأَنَــامِ مَنَاهِــلٌ تُطْــوَى وَتُنْشَــرُ بَيْنَهَــا الأَعْمَــارُ

فَقِصَــارُهُنَّ مــعَ الْهُمــومِ طَوِيلَــةٌ وَطِــوَالُهُنَّ مِــنَ السُّــرُورِ قِصَــارُ

وفي الثّاني الطّباق الخفيّ في جمعه بين "العَبرة" و "الضَّنَا"، فإنّ العَبرة الدّمع، وهو ماء، والضّنا سببه حرارة نار الهوى. وفيه أيضاً التّوشيع.

(1) سورة الأنعام : من الآية 52. والآية بتمامها، وذلك حتّى يتضح محل الشّاهد : ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾.

(2) اختلف في نسبة هذين البتين، فقيل من قول علي بن أبي طالب، وقيل للمتنبي، وقيل للبحتري، وقيل لابن لنكك البصري، وقيل لعَوْفُ بنُ وَرْقَاءَ، والأكثر على أنهما من قول عِتّابِ بنُ وَرْقَاءَ الشَّيْبَانِيّ. انظر الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 4/ 452.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّوشيع]

وهو : «أَنْ يُؤْتَي فِي عَجْزِ الكَلاَمِ بِمُثَنَّى مُفَسَّرٌ بِاسْمَيْنِ، أَحَدُهُمَا مَعْطُوفٌ عَلَى الآخَرَ»(1). ومنهم من جعله من فوائد الإطناب كالقزويني(2)، فحقّه على هذا أن يُذكر في ترجمة المعاني. وجمع بعضهم منه ألفاظا، فقال : الثّاويان؛ البدو والحضر. الواعيان؛ السّمع والبصر. النّاعيان؛ الشّيب والكبر. الأنوران؛ الشّمس والقمر. الأجْوَدان؛ البحر والمطر. المُزعجان؛ الخوف والحذَر. الماضيان؛ السّيف والقدر. الأعْجَمَانِ؛ الطّير والوتر. الهَاديان؛ العين والأثر(3).

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 187.

(2) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي (666 - 739هـ= 1268 - 1338م). قاض، من أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ومولده بالموصل. ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء دمشق سنة 724هـ، فقضاء القضاة بمصر. من كتبه (الأيضاح). انظر الأعلام. الزركلي : 192/6.

(3) جمع الأديب الأستاذ أبو محمد ابن صارة بعضها في أبيات، وذلك في قوله :

يَا مَنْ يُصِيخُ إِلَى دَاعِي السَّفاهِ وَقَدْ ... نَادَى بكَ **النّاعِيَان** الشَّيْبُ وَالكِبَرُ
إنْ كُنْتَ لاتَسْمَعُ الذِّكْرى فَفِتَم ثوى ... فِي رَأْسِكَ **الوَاعِيانِ** السَّمْعُ والبَصَرُ
لَيْسَ الأَصَمُّ وَلَا الأعَمى سَوَى رَجُلٍ ... لَمْ يَهْدِهِ **الهاديانِ** العَيْنُ وَالأَثَرُ
لَا الدَّهْرُ يَبْقى وَلَا الدُّنْيا وَلَا الفَلَكُ الْـ ... أَعْلى وَلَا **النَّيِّرانِ** الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
لَيَرْحَلنَّ عَنِ الدُّنْيا وإنْ كَرِها ... فِرَاقَهَا **الثَّاويان** البَدْوُ وَالْحَضَرُ

انظر نفح الطيب. المقري التلمساني : 325/4.

وجمع البعض الباقي أبو الفَضْلِ أحْمَد بن أَبِي طَاهِرٍ يَمْدَحُ أَبَا أحْمَد العَبَّاسِ ابن الحُسَيْن وَزِيْر المُكْتَفِي بِاللّهِ. يقول:

إِذَا أَبُو أحْمَدٍ جَادَتْ لنَا يَدُهُ ... لَمْ يُحْمَدِ الأجْوَدَانِ البَحْرُ وَالمَطَرُ

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وفي الخبر : «يَشِيب ابنُ آدَمَ، وتَشِيب مِنهُ اثْنَتَان : الْحِرْص، وَطُولُ الْأَمَلِ»[1]. ومنه :

سَقَتْنِي فِي لَيْلٍ شَبِيهٍ بِشَعْرِهَا ... شَبِيهَةَ خَدَّيْها بِغَيْرِ رَقِيب
فَمَا زِلْتُ فِي لَيْلَيْنِ : شَعْرٍ وظُلْمَةٍ ... وَشَمْسَيْنِ : مِنْ خَمْرٍ وَوَجْهِ حَبِيبِ[2]

وقول البحتريّ[3] :

لَمّا مَشَينَ بذي الأَراكِ تَشَابَهَتْ ... أعْطافُ قُضْبَانٍ بِهِ وَقُدُودِ
في حُلّتَيْ حِبَرٍ، وَرَوْضٍ، فالتقَى ... وَشْيَانِ وَشيُ رُبًى وَوَشْيُ بُرُودِ

وَإِنْ أضاءَ لنَا يَوْمًا بِغُرَّتهِ ... تَضَاءَلَ الأَنْوَرَانِ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ
وَإِنْ مَضَى رَأيُهُ أو حَدُّ عَزْمَتِهِ ... تَأَخَّرَ المَاضيَانِ السَّيْفُ وَالقَدَرُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ حَذِرًا مِنْ حَدِّ صوْلَتِهِ ... لَمْ يَدْرِ مَا المُزْعِجَانِ الخَوْفُ وَالحذر

انظر الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 104/6.

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ مرفوعا في الجنائز. بَاب مَا يَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ مِنْ قِصَرِ الْأَمَلِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِلْمَوْتِ فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ. بلفظ : «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَبْقَى مِنْهُ اثْنَتَانِ : الْحِرْصُ، وَطُولُ الْأَمَلِ». ورواه الترمذي بسند صحيح في أبواب الزهد. بَاب مَا جَاءَ فِي قَلْبِ الشَّيْخِ شَاب عَلَى حُب اثْنَتَيْنِ. بلفظ : «يَهْرَمُ ابْنُ آدَمَ وَيَشُب مِنْهُ اثْنَتَانِ : الحِرْصُ عَلَى العُمُرِ وَالحِرْصُ عَلَى الْمَالِ».

(2) البيتان لابن المعتزّ. ويروى بألفاظ متباينة. انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 187.

(3) والأعطاف : الجوانب. القضبان : الأغصان. القدود : القامات. الحلة : الثواب أو الجديد منه. الحبر : ضرب من برود اليمن. الوشي : النقش. الربى : جمع ربوة ما ارتفع من الأرض. البرود جمع برد وهو كساء مخطط. الجني مصدر جنى الثمر : تناوله من الشجر.
قالها من قصيدة له في مدح المتوكّل، وانظر الأبيات في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 187.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وَسَـفَرْنَ، فـامتَلأتْ عُيُـونٌ رَاقَهـا   وَرْدانِ؛ وَرْدُ جَنًّـى وَوَرْدُ خُـدُودِ

وإن كـان سـبب لَـون العَبـرة ذِكـرى الخِيـام، وسـبب الضّـنا ذِكـرى سَاكن الخِيم، ففيه لفّ ونشر مرتّب، ولمّا كان ذكر السّـاكن أشوق، كان أثره أشقّ. وفيه الإرصاد؛ فإنّ بنفس ذكر "سَاكِنِي" مع العِلم بالقافية يُعلم أنّ الباقي "الخِيَم".

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْإِعْرَابُ

لولا : حرف امتناع لوجود، وهي تلزم الدّخول على المبتدأ، وهو هنا "الهوى"، وخبره محذوف وجوبًا على الصّحيح، والتّقدير : لولا الهوى موجودٌ.. ويُغني عنه في الغالب جواب لولا.

و "لَم" والفعل المضارع المجزوم بها وما تعلّق به : جواب "لَوْلاَ"، وتقدّم في فصل الغريب تصريف "تُرِق".

ودمعًا : مفعول بـ "تُرِق". وعلى طلل : متعلّق به. وتحتمل "على" من المعاني الاستعلاء إذا قدّر وقوفه على الطّلل، وإسباله دمعه عليه، وفيه تكلّف، والظّرفية فيه أظهر على هذا المعنى كما قرّرنا في التّفسير؛ ومنه قوله تعالى : ﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ ﴾[1]، أيْ في حين غفلة، وإن لم يُقدّر وقوفه على الطّلل، فهي للتّعليل؛ نحو : ﴿لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ﴾[2].

قال بعضهم : «لا يصحّ أن تكون سببية، لأنّ فيه مصادرة، لأنّ التّقدير إنكار المخاطَب أن يكون بكاؤه لتذكّر الطّلل، فلا يصحّ أن يُقال له: لولا الهوى لم تبكِ لتذكّرك، فيصير المعنى : لولا تذكّرك لأحبابك وأطلالهم، لم تبكِ بسبب تذكّرك الأطلال».

قلتُ : وهذا المعنى الّذي قرّر هو المعنى المستقيم كما قرّرنا في التّفسير، وإنّما أشكل عليه: مِن أين علم أنّ بكاءه لتذكّر الأطلال، وقد ذكرنا دليله وبيانه في التّفسير.

---

(1) سورة القصص : من الآية 15.

(2) سورة الحج : من الآية 37.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ولا أرِقتَ : معطوف على "لم ترق"؛ لأنّه في معنى : ما أرِقت، و "لا" لتأكيد النّفي.

واللاّم في "لذكر البان" للتّعليل، وأجاز بعضهم كسر راءه وفتحها على أن يكون مقصورًا، وسقطت الألف لالتقاء السّاكنين، وهو متعلّق بـ "أرِقت". ولا أعارتك : معطوف على الجواب أيضاً، والكاف مفعول أوّل لـ "أعارت". ولونَي : مفعوله الثّاني. وعَبرة : مضاف إليه.

وضنا : عطف على "عبرة".

وقوله : "ذكرى الخيام" : فاعل "أعارت" ومضاف إليه.

وذِكرى ساكني : عطف على "ذكرى"، وسقطت النّون من "ساكني" للإضافة. وقال بعضهم : «الظّاهر أنّ "ساكِنِي" جُمع ليوافق الجيران». وعند الأستاذ القصّار : «أنّ "ذكرى" الأوّل إنّما هو ذكرٌ مذكّرٌ». وأجاب عن تأنيث "أعارت" المسند إليه - مع أنّه مذكّر، إذ لا يصحّ الإسناد إلاّ إلى المتقدّم من المتعاطفين - بأنّ "ذِكْر" في معنى "ذِكْرَى"، فساغ تأنيثه باعتبار المعنى، أو لأنّه لمّا أضيف إلى المؤنّث اكتسب منه التّأنيث، وشرطُ ذلك - وهو صحّة حذف المضاف، وإبقاء المضاف إليه مع العلم بما حذف - موجودٌ فيه، فإنّك لو قلتَ : ولا أعارتك الخيام، لعُلم أنّ المعير ذِكْرُها، ومثله قولهم : اجْتمعَتْ أَهلُ اليَمَامَةِ[1]، وقُطِعَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، كذا يمثّلون بالثّاني. وفي وجود الشّرط فيه وفيما في البيت نظر.

---

(1) أَصْلُهُ اجتَمَع أَهْلُ اليَمَامَةِ، ثم حُذِفَ المُضَافُ، فأُنِّثَ الفِعْلُ فصارَ اجتَمَعتِ اليَمَامَةُ، ثم أُعِيدَ المَحْذُوفُ فَأُقِرَّ التَّأنِيثُ الذي هو الفَرْعُ بحالِهِ، فقيلَ اجتَمَعَتْ أهلُ اليَمَامَةِ.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الإشارات

[حبّ الدنيا وأثره]

يحتمل أنْ يحقّق حبّ الدّنيا على مَن وعظه في تركها، فهو يقول له : لولا محبّتك فيها، ما حزنتَ وبكيتَ على ما فاتك منها، ولم تتّصل منها إلاّ بمثل الأطلال والآثار، ولا سهرتَ من أجل استغراقك في تحصيل رُتَبها ومناصبها الظّاهرة؛ كالبان والعَلَم، ولا أعارتك ذكرى قصورها العالية ومساكنها الباهية وذكرى ساكناتها من المنعّمات لّوني العَبرة والضّنا، فأنتَ لا تُرى إلاّ مهمومًا محزونًا على أمور الدّنيا، وهي لا تأتيك، وما أحقّ هذا الأمر أن يكون من أجل الآخرة، ومخافة فوات نعيمها، فإنّك إن فعلتَ ذلك حصلتَ على طائل ممّا أهمتمتَ به، وأتتكَ الدّنيا وهي راغمة، وإن فعلت ذلك من أجل الدّنيا، فاتك المقصود الأسنى من الدّار الأُخرى، ولم يأتك من الدّار الدّنيا إلاّ ما كُتب لك من حظّك منها : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾(1). فإذا علم ذلك العبدُ لم تتوجّه طُلبته إلاّ من مولاه، ولا يحزن لشيء يفوته ممّا سواه، فإنّ الله مالك الدّارين، وهو على كلّ شيء قدير، وغيرُه ما يملك من قطمير. قال النّباجيّ(2) : «اشْتَهَيْتُ شَيْئاً فَطَلَبْتُهُ مِنْ إِنْسَانٍ، فَرَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ قَائِلاً يَقُولُ لِي: أَيَجْمُلُ بِالحرّ المُرِيدِ أَنْ يَتَذَلَّلَ لِلْعَبِيدِ، وَهُوَ يَجِدُ مِنْ مَوْلاَهُ مَا يُرِيدُ؟»(3).

---

(1) سورة الشورى : الآية 20.

(2) أبو عبد الله النباجي؛ نسبة إلى النباج قربة من بادية البصرة، واسمه سعيد بن بريد. القدوة، العابد، الرباني، أبو عبد الله الصوفي. وقد حكى عن الثوري والفضيل وغيرهما. انظر صفة الصفوة. ابن الجوزي : 280/4.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 565/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[استدامة الحزن والبكاء لإنالة الثّواب أو خوف العقاب]

ويحتمل أن يكون مرّ على نسق التّحريض على استدامة الحزن والبكاء؛ لإنالة الثّواب أو خوف العقاب، فإنّ درجة الحزن عظيمة، وطريقة أهله طريقة مستقيمة.

قيل : رُئي عطاء السلّمي[1] في المنام، فقيل له : كُنتَ طويلَ الحُزن، فَما فعل الله بكَ؟ فقال : «أَمَا وَاللهِ لقَدْ أَعْقَبَنِي ذَلِكَ رَاحَةً طَوِيلَةً وَفَرَحاً دَائِماً»، فقيل له : ففي أيْ الدرجات أنت؟ فقال : ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[2]»[3].

وقيل : رئي الأوزاعي[4] في المنام، فقيل له : ما فعل الله بكَ؟ فقال: «مَا رَأَيْتُ هُنَا دَرَجَةً أَرْفَعَ مِنْ دَرَجَةِ العُلَمَاءِ ثُمَّ درَجَةَ المَحْزُونِينَ»[5].

(1) هو عطاء السلمي المشهور من كبار الخائفين بالبصرة معاصر لسليمان التيمي أدرك زمان أنس بن مالك وسمع من الحسن وجعفر بن زيد وعبد الله بن غالب وعنه بشر بن منصور وصالح المزي وعبد الواحد بن زياد وغيرهم حكايات. انظر لسان الميزان. ابن حجر : 173/4.

(2) سورة النساء : من الآية 69.

(3) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 568/2.

(4) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو (88 - 157هـ= 707 - 774م). إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتاب المترسلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع. له كتاب (السنن) في الفقه. انظر الأعلام. الزركلي : 320/3.

(5) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 568/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ورُئـي سـفيان[1] فـي المنـام، فقيـل لـه : مـا فعـل الله بـكَ؟ فقـال : «وَضَعْتُ أَوَّلَ قَدَمَيَّ عَلَى الصِّرَاطِ، وَالثَّانِي فِي الجَنَّةِ»[2].

وإنّما نال هذا - والله أعلم - بكثرة انقباضه وخوفه.

وقال ابن أبي الحواريّ[3] : «رَأَيْتُ فِي النَّوْمِ جَارِيَةً مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهَا، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهَا، فَقُلْتُ لَهَا : مَا أَنْوَرَ وَجْهَكِ؟! فَقَالَتْ : تَذْكُرُ اللَّيْلَةَ الَّتِي بَكَيْتَ فِيهَا؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ، فَقَالَتْ : حُمِلَتْ إِلَيَّ دَمْعَتُكَ فَمَسَحْتُ بِهَا وَجْهِي، فَصَارَ ضَوْءُ وَجْهِي هَكَذَا»[4].

ورأى أبو زيد الرقاشيّ[5] النّبي صلى الله عيه وسلم في النّوم، فقرأ عليه، فقال : «هَذِهِ القِرَاءَةُ، فَأَيْنَ البُكَاءُ؟!»[6].

---

(1) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله (97 - 161هـ= 716 - 778م). أمير المؤمنين في الحديث. كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى. ولد ونشأ في الكوفة. وخرج منها فسكن مكة والمدينة. ثم طلبه المهدي، فتوارى. وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفيا. له من الكتب (الجامع الكبير). انظر الأعلام. الزركلي : 104/3.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 568/2.

(3) هو أحمد بن أبي الحواري، يكنى أبا الحسن واسمه أبي الحواري ميمون، سكن دمشق. وكان الجنيد يقول: أحمد بن أبي الحواري ريحانة الشام. توفي في سنة ثلاثين ومائتين. انظر صفة الصفوة. ابن الجوزي : 237/4.

(4) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 568/2.

(5) لم أقف على ترجمته، ولكن الوارد في المطبوع من الرسالة القشيرية يزيد القرشي بدل أبي زيد الرقاشي، ولعل النسخة التي نقل منها ابن مرزوق الاسم فيها تصحيف.

(6) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 568/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وقال أبو بكر الكتّاني[1] : «رَأَيْتُ فِي المَنَامِ شَاباً مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْهُ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ : التَّقْوَى، قُلْتُ : فَأَيْنَ تَسْكُنُ؟ قَالَ : فِي قَلْب كُلِّ حَزِينٍ. ثُمّ التَفَتُّ، فَإِذَا امْرَأَةٌ سَوْدَاءَ كَأَوْحَشِ مَا يَكُونُ، فَقُلْتُ : مَنْ أَنْتِ؟ فَقَالَتْ : الضَّحِكُ، فَقُلْتُ : فَأَيْنَ تَسْكُنِينَ؟ فَقَالَتْ : فِي كُلِّ قَلْب فَرِحٍ مَرِحٍ. قَالَ : فَانْتَبَهْتُ، وَاعْتَقَدْتُ أَنْ لاَ أَضْحَكَ إِلاَّ غَلَبَةً»[2].

۞ ۞ ۞

(1) هو أبو بكر محمد بن علي بن جعفر الكتاني. أصله بغدادي لكنه أقام بمكة ومات بها. صحب الجنيد والخراز والنوري. توفي بمكة سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة وقيل اثنتين وعشرين. انظر صفة الصفوة. ابن الجوزي : 455/2.

(2) انظر الرسالة القشيرية. القشيري : 569/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فَكَيْفَ تُنْكِرُ حُبًا بَعْدَمَا شَهِدَتْ   بِهِ عَلَيكَ عُدُولُ الدَّمْعِ والسَّقَمِ
نَعَمْ سَرَى طَيفُ مَنْ أهوَى فأَرَّقَنِي   والحُبُّ يَعْتَرِضُ اللَذّاتِ بِالأَلَمِ

شَرْحُ الْغَرِيْبِ

تُنْكِرُ : تَجْحَد، والإنكار : الجُحُود[1].

والحُبّ : المحبّة، وكذا الحِبّ بكسر الحاء، وهو بالكسر أيضاً الحبيب؛ كخِدْنٍ وخَدِينٍ، وأحبّه فهو محبّ، وحَبَّه يَحِبُّه — بالكسر – فهو مَحْبُوب؛ قال[2] :

أَحِب أَبَا مَرْوَانَ مِنْ أَجْلِ تَمْرِهِ   وأَعْلَمُ أَنَّ الجَارَ بالجَارِ أَرْفَقُ
وَ وَاللهِ لَوْلاَ تَمْرُهُ مَا حَبَبْتهُ   وَلاَ كَانَ أَدْنَى مِنْ عُبَيْدٍ ومُشْرِقِ

ولا يأتي مضارع المضاعف المتعدّي مكسور العين إلاّ ويشركه الضمّ، وشذّ هذا الحرف. وما كنت حَبيباً، ولقد حَبِبْتَ — بالكسر –؛ أيْ صرت حَبيباً. وحُبّ بفلان؛ أيْ ما أَحَبَّهُ إليَّ. قال الفَرَّاء وابن السّكيت[3]:

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 827/2. مادة نكر.

(2) البيتان لغَيْلاَنَ بنِ شُجَاعٍ النَّهْشَلِيّ. ويرويان بألفاظ متباينة. انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم. اليوسي : 95/2.

(3) هو يعقوب بن إسحاق، أبو يوسف، ابن السكيت (186 – 244هـ= 802 – 858م). إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان (بين البصرة وفارس) تعلم ببغداد. واتصل بالمتوكّل العبّاسي، فعهد إليه بتأديب أولاده، وجعله في عداد ندمائه، ثم قتله، لسبب مجهول. من كتبه "إصلاح المنطق". انظر الأعلام. الزركلي : 195/8.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أصله حَبُب، فأدغم ونُقلت ضمّة الباء إلى الحاء لأنّه مدح، ومنه حبّذا، ويجوز فتح حاء "حبّ" المجرّد من "ذا" وضمّها. وتقدّم معنى الحبّ. ورفض مصدر الرباعي من هذا الفعل، كما رفض اسم مفعوله إلاّ ما شذّ من قول عنترة[1] : مِنّي بِمَنْزِلةِ المُحَب المُكْرَمِ[2]. كما رفض اسم فاعل الثّلاثي منه، فيقال : مُحِب ومَحبوب، لا حَاب ومُحَبّ[3].

وشَهِدَت : أيْ أَخْبَرَت، وربّما قالوا : شهْد الرّجل بسكون الهاء تخفيفًا؛ عن الأخفش. والشّهادة : الخبر القاطع، وشهِد له بكذا؛ أيْ أدّى ما عنده من الشّهادة، فهو شَاهِد، والجمع شَهْدٌ؛ كصَاحِب وصَحْب، وسَافِر وسَفْر. وبعضهم ينكره. وجمع الشَهْد شُهودٌ وأشهاد. والشّهيد : الشّاهد، والجمع الشّهداء. وأَشْهَدْتُهُ على كذا، فشَهِد عليه؛ صار شاهِدًا عليه[4].

عُدولُ : جمع عَدْلٍ، وأصله ضدّ الجَور، عَدَلَ عليه في القضيّة فهو عَادِل. وبسط الوالى عَدْلَه ومَعْدِلَتَهُ؛ بكسر الدّال وفتحها، وفلان من

---

(1) هو عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية ابن قراد العبسي (.. - نحو 22 ق هـ = .. - نحو 600م). أشهر فرسان العرب في الجاهلية، ومن شعراء الطبقة الأولى. أمّه حبشية اسمها زبيبة. وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفسًا. وكان مغرمًا بابنة عمّه "عبلة". وعاش طويلا، وقتله الأسد الرهيص أو جبار ابن عمرو الطائي. انظر الأعلام الزركلي : 91/5.

(2) البيت بأكمله : ولقد نَزَلْتِ فلا تَظُنِّي غيرَه مِنِّي بِمَنْزِلةِ المُحَب المُكْرَمِ
انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 117/7.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 105/1. مادة حبب.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 494/2. مادة شهد.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أهل المَعْدَلَةِ؛ أيْ العَدْلِ. ورجل عَدْلٌ؛ أيْ رِضاً ومَقْنَعٌ في الشّهادة. وأصله مصدر. وقوم عَدْلٌ وعُدولٌ أيضاً. وقد عَدُلَ – بالضمّ - عَدالَةً، فالعَدْل باعتبار المصدر الّذي هو أصله لا يُثنّى ولا يُجمع، وباعتبار ما صار إليه من النّقل للذّات يُثنّى ويُجمع، فتقول : عَدْلاَن وعُدُول[1].

وتقدّم تفسير **الدّمع**.

والسُّقْمِ بضمّ السّين وسكون القاف، وبفتحهما؛ كحُزْن وحَزَن؛ مصدر سَقِمَ – بالكسر - يَسْقَمُ – بالفتح -؛ أيْ طال به المرض، فهو سَقِيم، وأسْقَمَه الله، والمِسْقَامُ : الكثير السَّقَم[2].

سَرَى يسْرِي سُرىً ومَسْرىً وأَسْرَى بمعنًى؛ أيْ سار ليلاً. وأسْرَى لغة الحجاز، وجاء في القرآن بهما : ﴿ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ ﴾[3]. و﴿ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾[4].

وقال حسّان[5] :

حَـيّ النَّضِـيرةَ رَبَّـةَ الخِـدْرِ   أَسْرَتْ إليك ولـم تكـن تَسْـري

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1760/5. مادة عدل.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1950/5. مادة سقم.

(3) سورة الحجر : من الآية 65.

(4) سورة الإسراء : من الآية 1.

(5) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، أبو الوليد (.. - 54هـ= .. - 674م). الصحابي، شاعر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. عاش ستين سنة في الجاهلية، ومثلها في الاسلام. وكان من سكان المدينة وتوفي فيها. انظر الأعلام. الزركلي : 175/2.
وانظر البيت في الصحاح. الجوهري : 2376/6.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وسَرَيْنا سَرْيَةً واحدةً، والاسم السُرْيَةُ – بالضمّ - والسُرى. وأَسْراهُ وأَسْرَى به، مثل أخذ الخطام، وأخذ به. وإنَّما قال تعالى : ﴿لَيْلًا ﴾[1] - وإن كان ذلك حقيقة السُرى – للتّأكيد؛ كقولهم : سرتُ أمس نهارًا، والبارحة ليلاً[2]. قال الزّمخشري : «ولِما يفيده تنكير ليلاً من التّقليل الدّال على أنّ ذلك الإسراء العظيم كان في بعض اللّيل»[3]. ويأتي تمامه في قوله : "سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ.." إن شاء الله تعالى.

والسِرايَةُ[4] : سُرَى اللّيل، وهو مصدر، ومجيئه على هذا البناء قليل، لأنّه من أبنية الجمع. يدلّ عليه تأنيث بني أسد السُّرى والهُدى، توهّما أنهما جمع سريّة وهديّة[5].

الطَّيْفُ : الخيال في النّوم، تقول طَافَ يَطيفُ طَيْفاً ومَطافاً. قال كعب بن زهير[6] :

---

(1) سورة الإسراء : من الآية 1.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 2376/6. مادة سرا.

(3) انظر تفسير الكشاف. الزمخشري : 604/2.

(4) في النسخ المخطوطة : والسَّارِيَةُ. وهو خطأ. والتصويب من المطبوع من الصحاح للجوهري.

(5) انظر الصحاح. الجوهري : 2376/6. مادة سرا.

(6) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضرب (.. - 26هـ= .. - 645م). شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد، كان ممن اشتهر في الجاهلية. ولما ظهر الإسلام هجا النبي صلى الله عليه وآله وأقام يشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه مستأمنا، وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة، فعفا عنه النبي صلى الله عليه وآله وخلع عليه بردته. انظر الأعلام. الزركلي : 226/5.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أنَّى ألـمَّ بك الخيالُ يطيفُ   ومَطَافُهُ لك ذِكْرة وشُعُوفُ[1]

أرّقني : أَسْهَرَنِي، وتقدّم.

يَعتَرِضُ : أيْ يحول. قيل : ويحتمل أن يكون معناه : يغبن ذا اللذّات؛ من قولهم عرضته؛ أيْ غبنته.

اعْتَرَضَ الشّيء : صارَ عارِضاً كالخشبة المعترضة في النّهر. واعْتَرَضَ الشّيء دون الشّيء : حال دونه، واعْتَرَضَ الفرسُ في رَسَنِهِ : لم يستقم لقائده. واعْتَرَضْتُ البعيرَ : ركبتُهُ وهو صعبٌ. واعْتَرَضَ له بسهم : أقبل به قِبَلَهُ فرماه فقتله. واعْتَرَضْتُ الشّهرَ : ابتدأته من غير أوَّلِه. واعْتَرَضَ فلانٌ فلاناً : وقع فيه. وعارَضَهُ : جانبَهُ وعدَلَ عنه[2].

اللذّات : جمع لذّة، وقد لَذِذْتُ الشّيءَ – بالكسر - لَذاذاً ولَذاذةً : وجدته لَذيذاً. والْتَذَذْتُ به وتَلَذَّذْتُ به بمعنًى. وشراب لَذٌّ ولَذيذٌ بمعنًى. واسْتَلَذَّهُ : عدَّه لذيذاً.. واللَذُّ : النّوم[3].

الأَلَمُ : الوَجَعُ. وهو مصدر أَلِمَ يَأْلَمُ بكسر الماضي وفتح المضارع؛ أيْ أصابه الوجع. وقولهم : أَلِمَتَ بطنَك، كقولهم : رَشِدْتَ أَمْرَكَ؛ أيْ أَلِمَ بَطْنُكَ، ورَشِدَ أَمْرُكَ. والتَأَلُّمُ : التَوَجُّعُ. والإيلامُ : الإيجاعُ. والأليمُ : المُوجِعُ؛ كسَميع؛ أيْ مُسْمِع[4].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 1397/4. مادة طيف.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 1084/3. مادة عرض.

(3) انظر الصحاح. الجوهري : 570/2. مادة لذذ.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 1863/5. مادة ألم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة اللذّة والألم]

واللذّة والألم بديهان لا يُعرّفان، وقيل : اللذّة؛ إدراك الملائم من حيث هو ملائم، والألم مقابله[1]. وقال ابن زكريا الطّبيب الرّازي[2] : «اللذّة دفع الألم؛ كالأكل لألم الجوع، والجماع لألم دغدغة المَني لأوعيته»[3]. ورُدّ بأنّه أحد أسبابها، وقد يُتصوّر دونه؛ كالالتذاذ برؤية وجه مليح، والظفر بمال كذلك، فإنّه لم يتقدّم ألم لفقدهما حتّى يُدفع بالاطّلاع عليهما، وفي المثال الثّاني نظر[4]. وقال الحكماء : الألم سببه تفرّق الاتّصال. وردّه الفخر[5] : بأنّ قطع العضو بسكّين حادة بسرعة لا يحسّ معه بالألم إلاّ بعد حين، بل تفرّق الاتّصال بسبب سوء المزاج الموجب للألم[6]. وعلى الخلاف في تفسيرهما، فالتّقابل بينهما؛ إمّا تقابل الضدّين، وإمّا تقابل العدم والملكة.

---

(1) انظر الكليات. أبو البقاء الكفوي : ص 174.

(2) هو محمد بن زكريا الرازي، أبو بكر (251 - 313هـ= 865 - 925م). فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. من أهل الري. ولد وتعلم بها. وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين. وعمي في آخر عمره. ومات ببغداد. انظر الأعلام. الزركلي : 130/6.

(3) لم أقف على القول منسوبا للرازي الطبيب، وإنما هو من قول الرازي المفسر. انظر تفسير الرازي : 175/18.

(4) أقول : لأن لذّة الظّفر بالمال تدفع ألم الفقر والعوز ونحوهما.

(5) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، أبو عبد الله، فخر الدين الرازي (544 - 606هـ= 1150 - 1210م). الإمام المفسر. أوحد زمانه في المعقول والمنقول وعلوم الاوائل. وهو قرشي النسب. أصله من طبرستان، ومولده في الريّ وإليها نسبته. من تصانيفه (مفاتيح الغيب). انظر الأعلام. الزركلي : 313/6.

(6) انظر الكليات. أبو البقاء الكفوي : ص 174.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

التَّفْسِيْرُ

[افتضاح أمر المحبّ بسبب الدَّمْعِ والسَّقَمِ]

لمّا أورد السّائل على المخاطَب الحجج الدّالة على أنّه محبٌّ، وأكثر منها، فإنّه أوردها أوّلا مجملة في قوله : "أَيَحسب.." البيتين، ثمّ مفصّلة في قوله : "لَوْلاَ الهَوَى.." البيتين. وذلك كلّه بعد أن نزّل نفسه منزلة الجاهل في سؤاليه عن السّبب الخاص والعام، فِعْل المجادل العارف بوجوه الاحتجاج، وتمّت الحجّة على المخاطَب حتّى لم يبق له عذر، وصحّت نتيجة المستدلّ، أقبل عليه بالخِطاب، وقال منكرا عليه بصورة الاستفهام : فكيف تنكرُ بعد هذه الحجج؟ وبعدما شهدتْ بالحبّ عليك عدولٌ لا تُردّ شهادتهم من الدّمع السّائل مِن عينيك عند ذكر الطّلل، والسّقم القائم بجسمك لذكر ساكِنِي الخِيم؛ أيْ ذلك كلّه مع قيام هذه الشّهادات لا يحسن، فإنّهما شاهدان منك عليك لا يُتّهمان، فهما قائمان مقام إقرارك، وأحقّ ما يُؤخذ به المرء إقراره على نفسه، والتّقدير : عدول دمعك وسقم جسمك.

وفي قوله : "بَعْدَمَا شَهِدَتْ.." استبعاد للإنكار، فإنّه إنّما يحسن قبل الشّهادة لا بعدها، سيما مع شهادةٍ لا يمكن تكذيبها، لأنّها طبيعيّة لا اختياريّة، ومتّصلة بذوات المشهود عليه، لا منفصلة عنه، لأنّ ممّا يحسن الإنكار نسيان المشهود عليه الواقعة، فإذا كان الشّاهد أجنبيًا منه - وقد ينفصل عنه - ربّما يقوى نسيانه، أمّا إن كان ملازمًا له، مذكّرًا له بالواقع في كلّ حال، فيبعد كلّ البعد ادّعاء النّسيان في المشهود به والجَحْد له،

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ولمّا كانت هذه الحجّة واضحة، وعلى كلّ شرف لائحة، أفصح المخاطَب فأقرّ بلسان المقال، كما أقرّ بلسان الحال، فقال : نعم؛ أيْ صدقتَ أيّها السّائل في كلّ ما ادّعيتَ عليّ وجميع ما نسبتَ إليّ:

فَأَوَّلُ نَبْلٍ رَمَيْتَنِي بِهِ عَنْ تَيَقُّنِكَ رَاشِقٌ وَأَوَّلُ ظَـنٍّ ظَنَنْتَنِيـهِ بِفِكْـرِكَ صَـادِقُ[1]

فإنّي إنّما بكيتُ وسقمتُ من تذكّر الجيران الّذين كنت فارقتُهم، وتسلّيتُ عنهم بعض التّسلّي. وكأنّ السّائل عرف أنّه فارق الجيران وتسلّى عنهم، ولذا حين سأله قال : "أَمِن تذكّر جيران.."، ولم يقل: أَمِن مفارقة جيران. ولمّا أقرّ المخاطَب أنّه من التذكّر، سأله السّائل عن سببه، أو تبرع المخاطَب به، فقال : وسبب ذلك التذكّر أنّ طيفهم؛ أيْ خيالهم المناميّ سرى إليّ؛ أيْ طرقني ليلاً في النّوم، فانتبهتُ من أجل ذلك فزعًا مرعوبًا لِما حرّكني من الفرح بسبب لقائهم، ظنًّا منّي أنّ ذلك في اليقظة، فلمّا انتبهتُ، وتبيّن لي أنّه حُلم، عاد إليّ - ما كنت تسلّيت عنه بعض التّسلّي من الحزن لفراقهم بإثر هذا الحزن الثّاني عندي - الأرقُ؛ وهو السّهر وعدم النّوم، حتّى نال جسمي ما رأيته من النّحول والسّقم.

---

(1) لم أقف على هذا البيت ولا على قائله في المصادر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[اليقظة والنّوم وأثرهما على الجسم]

وهكذا شأن اليقظة إذا تمادت، فإنّها تعود أَرَقًا، وتحدث للنّفوس كربًا وقلقًا، وسببه ما أشرنا إليه قبلُ من إفناء رطوبات الجسم باشتعال نار الحزن فيه المسبّبة عن كثرة حركة النّفس واضطرابها، ولِذا لا تتوفّر صحّة الجسم إلاّ بمقدار معلوم من اليقظة والنّوم، فإنّ بهما صلاح الغذاء النّاشئ عنه صلاح البدن، ولذا يقولون : «**تْغَدَّى وَتْمَدَّى، وَتْعَشَّى وَتْمَشَّى**»(1)؛ لأنّ الغداء لمّا كان عرفًا بالنّهار، وهو مظنّة الحركة، أمر بالاتّكاء، لينال الجسم حظّه من الرّاحة، إذ الحركة نهارًا لا بدّ منها غالبًا، والحركة تؤثر حرارة غريبة، فتنضمّ إلى الغريزية، فيسرع هضم الطّعام، فلا ينتفع الجسم به انتفاعًا كاملاً، ولمّا كان العَشاء محلّه اللّيل، وهو مظنّة السّكون، أمر بالمشي ليأخذ الجسم حظّه من الحركة، إذ السّكون للنّوم لا بدّ منه، والنّوم أيضاً إنْ تمادى بالإفراط، يملأ بطون الرأس بالأخلاط، ويُطفئ الحرارة لِما يلازمه من البرد كما قدّمنا، فيرطب الجسم ويرتخي. وتمام تحقيق هذا في علم الطبّ.

وكأنّ المخاطَب يقول حين أقرّ : لمّا فارقتُ أحبابي أوّلا، أدركني من الحزن ما يدرك من فارق أحبابه، فأضناني ذلك، لكنّها حالة صادفتني صحيح الجسم قوي الاحتمال، فكان ذلك يقاوم ما بي من الضّنا، فكنتُ أنام أحيانًا، وأتسلّى عنهم، فلمّا طرقني خيالهم في النّوم، وجدّد عليّ الحالة الموجبة للمرض، وصادفني عليلاً، انتقضتْ قوأيْ بالكليّة، إذ لم

---

(1) أقول : هذه المقولة ما زالت العامة تتداولها في أيامنا هذه في الجزائر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

يلفَ فيَ مقاومًا، وهذا المعنى هو موجب صعوبة انتكاس المريض بعد إفاقته. وقوله : "فأرّقني"، ذكرٌ لعلّة البكاء والنّحول.

وقوله : "والحبّ.. إلى آخره"؛ أيْ أنّه كان لي قبل طروق خيالهم التذاذ بالنّوم الموجب لراحة بدني عند من يرى للّذة وجودًا بنفسها، لا أنّها إضافية، أو لتسليتي عن ألم فراقهم عند من يراها دفع الألم، لكن لمّا كان شأن الحبّ أن يعترض اللّذات؛ أيْ يحول دونها بالألم، أو يغبنها به، أو يقع به فيها على حسب ما تقدّم في تفسير "اعترض" لغةً، وهو: أيْ الحبّ قائم بي، لا جرم أعترض لذّاتي من النّوم وصحّة البدن وغيرهما بالألم. هذا أحسن معنى عندي في تفسير البيت.

ويحتمل أن يريد : سرى طيف من أهوى، فالتذذتُ به في منامي، فلمّا أرّقني الفرح به والذّعر الّذي أدركني من حال اللّقاء، منعني ذلك من الالتذاذ برؤيته، ولو في النّوم، وهكذا الحبّ، فإنّه يعترض اللذّات بالألم؛ أيْ وأنا متّصف به. وفاعل "أرّقني" المضمر – على هذا التّفسير – هو على حذف مضاف؛ أيْ حبّه أو ذعره، ولا يحتاج إلى تأويل على التّفسير الأوّل.

ويحتمل أن يريد بالبيت اعتذارًا عن إنكاره، فإنّها حالة لا تحسن باللّبيب مع قيام الدّليل على صحّة مقابلها، وربّما نُسب فاعل ذلك إلى نقصان عقله واختلاله، فكأنّه يقول : نعم، صدقتَ في قولك أنّ هذا الإنكار لا يصلح مع شهادة هؤلاء العدول، لكن من أهوى سرى فأرّقني، فأوجب ذلك نقصانًا بيّنًا في جسمي، وخللاً ظاهرًا في عقلي، فلِذا ترى جوابي جواب الحيران الدّهشان، وما ذاك إلاّ لاتّصافي بالحبّ، وشأن الحبّ اعتراض اللذّات من صحّة الأجسام. واستقامة السؤال والجواب

مادة محمية بموجب حقوق النشر

في الكلام بالألم الحاصل من الاتّصاف بضدّ ذلك، وهذا أيضاً معنى ظاهر، وتفسير باهر.

وذهب بعضهم في معنى البيت إلى ما محصوله : «أنّه رجع عن إنكاره، واعتذر بتلطّف، وكأنّه قال : ما رأيتَ منّي، لم يكن باختياري، بل سرى طيف من أهوى فأرّقني». فلم ينسب لنفسه الأرق، بل إلى سببه، وإن كان هو الفاعل لكلّ شيء يريد منهما.

قال : «وهذا من بديع الفصاحة؛ نحو : ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْـرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ ﴾[1]؛ نسب سبحانه الأخذ للصّاعقة لا لنفسه، كأنّهم هم فعلوا ذلك لأنفسهم. فكذا هنا، كان مُوقعه في الفضيحة بالبكاء طيفُ من يهوى».

قال : «فظاهر لفظة "نَعم" إقرار بالمتقدّم، ورجوع عن الإنكار، ويحتمل كونها تأكيدًا لما بعدها، غير معترضة لما قبلها، نحو أن يُقال : أُعطِيتَ ألفا؟ فتقول : لم أُعطَها، نعم كُسيت ثوبا. إلاّ أنّ ما بعدها في المثال مخالف لِما قبلها، وفي البيت موافق». انتهى.

قلتُ : انظر ما محصول هذا التّفسير، ثمّ ظاهر كلامه - أو هو صريح - أنّ الأرق فعله لقوله، وإن كان هو الفاعل لكلّ شيء، وظاهرٌ أنّه لم يرد بقوله كلّ شيء إلاّ الأرق وسببه لا عمومه، فإنّ ذلك هو الله تعالى، وحينئذٍ لا يصحّ كلامه، فإنّ الأرق ليس من فعله؛ إذ لا قدرة له عليه، ولا سرْي الطّيف أيضاً، اللّهمّ إلاّ أن يكون تعاطى أسباب المحبّة

---

(1) سورة البقرة : من الآية 55.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

باختياره أوّلاً، ويرى أنّ فاعل السّبب - وإنْ بَعُد - فاعل لمّا تسبّب عنه، وإنْ بَعُدَ أيضاً، فنعم، لكنّه إنّما أراد أن يُخبر عن سبب البكاء والنّحول القريب كما قدّمنا، وليس إلاّ سرْي الطّيف، وهو ليس من مقدوره، وأمّا ما أجازه من المعنى الثّاني في "نَعَم" وتنظيره بالمثال، ثمّ تفريقه بينهما، فتناقض بيّن، لا يخفى على من تأمّل. ثمّ قال : «الأرق يكون للسّرور والحزن، فإن أراد السّرور استقام الشّطر الثّاني، فإنّه لمّا التذّ بخيالهم، حرّك حبّه إيّاهم الشّوق إليهم، فتبدّلت اللذّة ألمًا، وإن أراد الحزن عسُر التئام الشّطرين، إذ لا لذّة يعترضها الحبّ بالألم».

قلت : وهذا كلام من لم يلم بشيء من المعاني الثّلاثة الّتي قرّرنا في معنى البيت.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[أقوال فيما تضمّنه البيتان من المعنى]

وأمّا ما تضمّنه البيتان من المعنى، فقد أُنشِدنا منه في قوله : "أيَحسَب الصَبّ.. " البيتين كثيرًا، فراجعه،

ومنه[1] :

أَرَى الحُبّ لاَ يَخْفَى وَكَمْ قَدْ كَتَمْتُهُ فَأَصْبَحَ عِنْدِي قَدْ أَنَاخَ وَطَنَبَا

ومن معنى البيت الثّاني قول بشّار[2] :

لم يَطُلْ ليلي ولكن لم أنَمْ ونفَى عنّي الكَرَى طيفٌ ألمّ

ومن معنى قوله : "والحب يَعترضُ اللَذّاتِ بالألمِ"، قول الحسام الحاجريّ :

إِذَا زَارَنِي طَارَتْ بِقَلْبِي فَرْحَةٌ فَأَذْهَلُ عَنْ فَوْزِي بِلَذَّةِ قُرْبِهِ[3]

---

(1) البيت لعبد الغني النابلسي. والمحفوظ هو :

أبي الحبّ أنْ يخفَى وكَم قد كتمته فأصبحَ عندِي قد أنَاخَ وَطَنَبَا

انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم. اليوسي : 1/ 236.

(2) هو بشار بن برد العقيلي، بالولاء، أبو معاذ (95 - 167هـ= 714 - 784م). أشعر المولدين على الإطلاق. أصله من طخارستان. ونسبته إلى امرأة (عقيلية) قيل إنها أعتقته من الرق. وكان ضريرا. نشأ في البصرة وقدم بغداد. وأدرك الدولتين الأموية والعباسية. وشعره كثير متفرق من الطبقة الأولى. واتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، ودفن بالبصرة. انظر الأعلام. الزركلي : 52/2. وانظر البيت في زهر الأكم في الأمثال والحكم. اليوسي : 179/2.

(3) لم أقف على البيت في المصادر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ويناسب معنى هذين البيتين - إلاّ أنّه متفرّق في أبيات - قول قَيْس بن ذَرِيح الكناني اللّيثي[1] من قصيدة له طويلة :

نَهَارِي نهارُ النّاس حتّى إذا دَجَا لِيَ اللّيلُ هَزَّتْني إليكِ المَضَاجِعُ
أُقَضّي نَهَارِي بالحَدِيثِ وبِالمُنَى ويَجمَعُنِـي باللّيلِ والهـمَّ جَـامِعُ
أبَـى اللهُ أن يَلْقَـى الرّشـادَ مُتَـيَّم ألاَ كـلُّ أمـر حُـمَّ لا بُـدّ واقـعُ
همـا بَرَّحَـابي مُعْـوِلَيْنِ كِلاهُمـا فـؤادٌ وعـينٌ ماؤهـا الـدَّهرَ هَـامِع

وهذا البيت الأخير كقوله : "فَكيفَ تُنكِرُ.." البيت.

ومن الأرَق للحبّ قول عمرو بن حُكَيّم بنُ مُعَيَّة التّميمي[2] :

إِذَا أَمَرَتْنِي العَاذِلاَتُ بِصَرْمِهَا هَفَـتْ كَبِـدٌ عَمَّـا يَقُلْـنَ صَـدِيعُ
وَكَيْفَ أُطِيعُ العَاذِلاَتِ وَحُبُّهَا يُـؤَرِّقُني وَالعَـاذِلاَتُ هُجُـوعُ

---

(1) هو قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة الكناني (.. - 68هـ= .. - 688م). شاعر، من العشاق المتيمين. اشتهر بحب "لبنى" بنت الحباب الكعبية. وهو من شعراء العصر الأموي، ومن سكان المدينة. كان رضيعا للحسين بن علي بن أبي طالب، أرضعته أم قيس. وأخباره مع لبنى كثيرة جدا، وشعره عالي الطبقة في التشبيب ووصف الشوق والحنين. انظر الأعلام. الزركلي : 205/5. وسقط بيت بعد الثاني، وهو :

وَقَد نَشَأَتْ فِي القَلبِ مِنْكُم مَوَدَّةٌ كَمَا نَشَأَتْ فِي الرَاحَتَيْن الأَصَابعُ

وانظر الأبيات في الأمالي. أبو علي القالي : 2/ 316.

(2) هو عمرو بن حكيم بن معية التميمي من بني ربيعة، شاعر إسلامي. لم اقف له على ترجمة وافية. وينسب البيتان أيضاً لابن الأعرابيّ وللفتح بن خاقان ولقيس بن ذريح. وانظر البيتين في الأمالي. أبو علي القالي : 29/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وممّا يُستحسن في فضح الدّموع المحبّ قول أبي نوّاس :

لاَ جَــزَى اللهُ دَمْــعَ عَيْنــيَ خَيْــراً ... وَجَــزَى اللهُ كــلَّ خَيْــرٍ لِسَــانِي
نَــمَّ دَمْعِــي فَلَــيْسَ يَكْــتُمُ شَــيْئاً ... وَوَجَــدْتُ اللّسَــانَ ذَا كِتْمَــانِي
كُنْــتُ مِثْــلَ الكِتَــاب أَخْفَــاهُ طَــيٌّ ... فَاسْــتَدَلُّوا عَلَيْــهِ بِــالعُنْوَانِي[1]

وإن فسّرت اللذّة في البيت برؤية خيال الأحبّة في النّوم، والألم بمنع الأرق ذلك. فممّا يُستحسن في استجلاب الخيال قول قيس بن معاذ مجنون بني عامر[2] من أبيات :

وإنّي لأَسْتَغْشِي وما بِيَ نَعْسَةٌ ... لَعَـلَّ خَيـالاً مِنْـكِ يَلْقَـى خَيَالِيـا
وأخرجُ مِنْ بَينِ الجُلُوسِ لعلّني ... أُحدِّثُ عنك النَّفْسَ في السرّ خَالِيَا
أَشْوْقاً ولمَّا تَمْضِ لي غيرُ لَيْلَةٍ ... رُوَيْـدَ الهَـوَى حتّـى يُغِـب لَيالِيـا

---

(1) هذا نقلا عن الأمالي. أبو علي القالي : 209/1.
أقول : هكذا ينسب هذه الأبيات الكثير من الكتاب، والصواب كما يذكره المحققون أنّها من قول العباس بن الأحنف، وإنّما استحسنها أبو نواس ولم ينظمها من عند نفسه.
انظر المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. الموصلي : 115/2.

(2) هو قيس بن معاذ ويقال بن الملوح بن مزاحم العامري (.. - 68هـ= .. - 688م).
مجنون ليلى. شاعر غزل، من المتيمين، من أهل نجد. لم يكن مجنونا وإنما لقب بذلك لهيامه في حب "ليلى بنت سعد". نشأ معها إلى أن كبرت وحجبها أبوها، فهام على وجهه ينشد الأشعار ويأنس بالوحوش، إلى أن وُجد ملقى بين أحجار وهو ميت، فحُمل إلى أهله. انظر الأعلام. الزركلي : 208/5.
انظر الأبيات في الحماسة البصرية. أبو الحسن البصري : 100/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ومن أعجب ما قيل في شهادة السّقم بالحبّ قول التمّار الواسطيّ[1] :

قـدْ كـانَ لـي فِيمَـا مَضَـى خـاتمٌ　　والآن لـو شـئْتُ تمنطَقْـتُ بـهْ
أَنْحَلَنِـي الحُـبّ فَلـوْ زُجَّ بِـي　　فــي مُقْــلِ النَّــائمِ لــم ينتبــهْ

وقول كُشاجِم[2] :

وما زالَ يَبْرِي جملةَ الجسم حُبُّها　　وينقصه حتّى نَقَصْتُ عن النّقصِ
وقد ذُبْتُ حتّى صِرْتُ إنْ أنا زرْتُها　　أمِنتُ عَلَيهَا أن يَرَى أهْلُها شَخْصِي

وقول ابن دُرَيد[3] :

إنَّ الّــذي أبقيــتَ مــنْ جِسْــمِهِ　　يَـا مُتْلِفَ الصَّـب وَلَـمْ يَشْـعُرِ

---

(1) انظر البيتين في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 260/2. وينسب البيتان أيضاً لنصر بن أحمد الْخُبْزُأرْزي. ولم أقف على ترجمة التمار الواسطيّ.

(2) هو محمود بن الحسين (أو ابن محمد بن الحسين) ابن السندي بن شاهك أبو الفتح الرملي، المعروف بكشاجم (..- 360هـ-..- 970م). شاعر متفنن، أديب، من كتاب الانشاء. من أهل (الرملة) بفلسطين، كان أسلافه الأقربون في العراق. تنقل بين القدس ودمشق وحلب وبغداد، وزار مصر أكثر من مرة. واستقر بحلب. انظر الأعلام. الزركلي : 168/7.
وانظر الأبيات في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 4/ 1135.

(3) هو محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، أبو بكر (223 - 321هـ= 838 - 933م). من أئمة اللغة والأدب. وهو صاحب (المقصورة الدريدية). ولد في البصرة، وانتقل إلى عمان فأقام اثني عشر عاما، وعاد إلى البصرة. ثم رحل إلى نواحي فارس، ثم رجع إلى بغداد،، فأقام فيها إلى أن توفي. انظر الأعلام. الزركلي : 80/6.
وانظر البيتين في الأمالي. أبو علي القالي : 209/1.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

صُـــبَابَةً لَـــوْ أَنَّهَـــا قطـــرةٌ   تجـولُ فـي جفنـكَ لـمْ تقطـرِ

وقول أبي الطيّب[1] :

أُراكِ ظَنَنْتِ السّلكَ جِسمي فعُقْتِه   عَلَيْـكِ بـدُرٍّ عـن لِقـاءِ التّرائِـبِ

ولَـوْ قَلَـمٌ أُلقيـتُ فـي شَـقّ رأسِـهِ   من السّقمِ ما غيّرْتُ من خطّ كاتِبِ

قال أبو عبيد[2] : «هذا معدوم البتّة غير موجود، لأنّ أدقّ ما يكون من الشَّعر وأحقره ما تدركه غاية البصر يغيّر الخطّ».

واستحسن في هذا شيءٌ نزّهنا هذا المجموع عن ذكره لحقارة قائله. وقيل فيه أيضاً[3]:

ولو شئْتُ في طيِّ الكِتاب لزُرتكمْ   ولـم تَـدْر عَنِّـي أَحـرُفٌ وسُـطُورُ

---

(1) انظر البيتين في سمط اللآلي. أبو عبيد : 182/1.

(2) هو عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، أبو عبيد (.. - 487هـ= .. - 1094م). مؤرخ جغرافي، ثقة. علامة بالأدب، له معرفة بالنبات. نسبته إلى بكربن وائل. كانت لسلفه إمارة في غربي جزيرة الأندلس. ثم صار إلى المرية، ثم رجع إلى قرطبة بعد غزوة المرابطين، فتوفي بها عن سن عالية. انظر الأعلام. الزركلي : 98/4.
وانظر قوله في سمط اللآلي. أبو عبيد : 182/1.

(3) البيت للسان الدين بن الخطيب. انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. المقّري التلمساني : 507/6.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الاستفهام في قوله : "فَكَيفَ" للإنكار كما قدّمنا، ويحتمل التعجّب والتّوبيخ.

وتنكير "حبًّا" للتعظيم أو النّوعية؛ أيْ ظاهرًا.

وتعريف "الدّمع" و "السّقم" بـ "أل" للعهد؛ أيْ الدّمع الممتزج والسّقم الظّاهر عليك.

وتعريف "عدول" بالإضافة لهما للاختصاص.

وتعريف "مَن أَهوَى" بالموصولية؛ إمّا لأنّ المخاطِب - الّذي هو السّائل - لا يعرف منه إلاّ ذلك؛ نحو : الّذي كان معنا أمس رجلٌ صالحٌ؛ لأنّ مخاطِبك لم يُعلم منه إلاّ ذلك، وإمّا لزيادة التّقرير، ليَعذُره المخاطِب؛ نحو : ﴿ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾[1]، فإنّه أدلّ على تنزيه يوسف عليه السّلام، وإمّا للتّفخيم؛ نحو : ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾[2]، وإمّا للإيماء إلى وجه بناء الخبر؛ نحو : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ..﴾ الآية[3]، وإمّا للغيرة على التّصريح باسم الهوى. واللاّم في "اللذّات" و "الألم" إمّا للعهد، وإمّا لتعريف الحقيقة.

---

(1) سورة يوسف : من الآية 23.

(2) سورة طه : من الآية 78.

(3) سورة غافر : من الآية 60. والآية بتمامها : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

وفي قوله : "والحبُّ يعترض.." إلى آخره التّذييل[1]، وهو ممّا أكّد مفهوم الجملة الّتي قبله؛ لأنّ قوله : "أرّقني" يُفهم أنّه اعترض لذّة نومه، فهو كقول النّابغة الذّبياني[2] :

ولَسْـتُ بمُسْـتَبقٍ أَخـاً لا تَلُمُّـه   عَلى شَعَثٍ أيْ الرّجالِ المهذَّبُ

فإنّ صدر البيت دلّ بمفهومه على نفي الكامل من الرّجال، فحقّق ذلك وقرّره بعجزه. ويشبه أن يكون قوله : "بالألم" من الإيغال.

(1) التذييل : هو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيداً لمنطوقها، أو لمفهومها، وينقسم إلى قسمين :
- القسم الأوّل : مَا يجري مجرى المثل، وهو ما استقلّ معناه واستغنى عمّا قبله،
- القسم الثاني : مَا لا يجري من التذييل مجرى المثل، وهو ما لا يستقلُّ معناه عمّا قبله. وهذا القسم هو الّذي ذكره ابن مرزوق. انظر البلاغة العربية. عبد الرحمن حَبَنَّكَة الميداني: 86/2.

(2) انظر البيت في نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 63/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الإيغال]

وفي اختصاصه بالنّظم قولان[1]، وعلى اختصاصه، فهو : «خَتْمُ البَيْتِ بِمَا يُفِيدُ نُكْتَةً يَتِمُّ المَعْنَى بِدُونِهَا»[2].

كزيادة المبالغة في قول الخنساء[3] :

وإنَّ صخراً لتأتمُّ الهداةُ بهِ   كأنَّهُ عَلَمٌ في رأسهِ نارُ

لم ترض تشبيهه بالعَلَم الّذي هو الجبل المعروف بالهداية، حتّى جعلت في رأسه نارًا.

وهو في البيت : لمّا قال : "يعترضُ اللذّات"، كان يكفي عن قوله: "بالألم"، إذ اعتراض اللذّة ألمٌ، هذا إن قلنا لا واسطة بينهما، وإن كان اعتراضها توقيفها، وقد لا يتألّم، كان قوله : "بالألم" تكميلاً، وهو

---

(1) قال السيوطي : زَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ (أيْ الإيغال) خَاصٌّ بِالشِّعْرِ، وَرُدَّ بِأَنَّهُ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، من ذلك: ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ، اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾. (الآيتان 20 و 21 من سورة يس)؛ فَقَوْلُهُ : "وَهُمْ مُهْتَدُونَ" إِيغَالٌ. انظر كتابه الإتقان في علوم القرآن : 249/3.

(2) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 189.

(3) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد، الرياحية السلمية، من بني سليم (.. - 24هـ= .. - 645هـ). أشهر شواعر العرب. من أهل نجد، عاشت أكثر عمرها في العهد الجاهلي، وأدركت الإسلام فأسلمت. ووفدت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع قومها بني سليم، فكان رسول الله يستنشدها ويعجبه شعرها. انظر الأعلام. الزركلي : 86/2.

وانظر البيت في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 4/ 998.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الاحتراس، وقد تقدّم. وتقديم "به" و "عليك" بالبيت الأوّل على الفاعل للاهتمام بهما.

وفي البيت الثّاني الاستئناف البياني، لأنّ التّقدير : فماذا ردّ عليك المسؤول بقولك : "أَمِن تذكّر.." إلى قولك : "..السّقم"، فكأنّ السّائل قال : قال لي : "نعم.." إلى آخره؛ ومنه: ﴿ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا قَالَ سَلَـٰمٌ ﴾[1]؛ أيْ فماذا قال حين سلّموا؟ وكذا : ﴿ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ﴾[2] إلى آخر المقاولة، وهي نيّف وعشرون، كلّها على تقدير سؤال، وكثرته في القرآن، والكلام لا يخفى.

وجعل بعضهم الإسناد في قوله : "شَهِدَت.. عُدُولُ الدَّمْعِ" مجازيًّا، ممّا طرفاه مجازان؛ نحو : إحياء الأرض، شباب الزّمان، وأحياني اكتحالي بطَلعتك. وفي قوله : "عدول الدّمع والسّقم"؛ كقوله : في حُلّتَيْ حِبَرٍ وَرَوْضٍ فالتَقَى..[3]؛ لأنّ عُدول واقع موقع المثنّى.

وفي قوله : "سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى فَأَرَّقَنِي" إيجاز الحذف؛ أيْ فانتبهت، ولم أقدر بعدُ على النّوم، فأرّقني. وفاء "فَأَرّقني" هي الفصيحة. وجعل بعضهم قوله : "فأرّقني" التفاتًا من الخطاب إلى التكلّم، وهو محتمل.

---

(1) سورة هود : من الآية 69.

(2) سورة الشعراء : من الآية 18.

(3) البيت من قول البحتري وهو بتمامه :

في حُلّتَيْ حِبَرٍ، وَرَوْضٍ، فالتَقَى ... وَشْيَانِ وَشيُ رُبًى وَوَشْيُ بُرُودِ

انظر البيت في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 188.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَيَانُ

الأولى أن يُجعل قوله : "عدول الدّمع والسّقم" من التّشبيه البليغ؛ لذكر المشبّه، وهو "الدّمع" و "السّقم"، والمشبّه به، وهو "عدول"، إلاّ على رأيْ بعضهم في أنّ ذكر الطّرفين إنّما ينافي الاستعارة إذا أتى به على صورة تقييد التّشبيه، وأمّا على صورة يُتناسى معها التّشبيه، فلا ينافي الاستعارة[1].

---

(1) لتفاصيل أكثر انظر بغية الإيضاح تلخيص المفتاح. عبد المتعال الصعيدي : 475/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[ابن مرزوق ينبه إلى ضرورة التفريق بين التشبيه البليغ والاستعارة]

وتنبّه إلى هذا البحث، فإنّه يُحتاج إليه في مواضع كثيرة من هذا النّظم، فليكن على ذكرك لئلاّ يُحتاج إلى إعادته.

ووجه التّشبيه أنّ العَذْل يُخبر بحقيقة الأمر المغيبة، كما أنّ الدّمع والسّقم يدلاّن على ما يغيب من الحبّ، فالمجاز على هذا إفرادي على رأيْ بعضهم – المذكور –، وكذا إن جعلناه استعارة بالكناية، وتخييليّة على رأيْ الأكثر، بأنْ لا يجعل لفظ "عدول" هو المشبّه به، بل شيء من صفاته؛ أيْ من لوازمه، وأنّ المشبّه به في الحقيقة الموصوف بالعدل، وهو الرّجل، ولم يُذكر، وإنّما ذُكر شيء من صفاته؛ وهي العدالة، فإذا لم يُذكر إلاّ المشبّه خاصّة، وهو "الدّمع" و "السّقم" مع شيء من لوازم المشبّه به، فهي استعارة بالكناية وتخييليّة كما قدّمت لك في حقيقتها في "لَونَي عَبْرَة"، وهي أيضاً من التّرشيحيّة؛ لذكر الإنكار والشّهادة والعدالة، وإن جعلنا المجاز إسناديًّا، فهو من مجاز التّركيب، ومنه ما يُسمّى "التّمثيل"، وفي إثبات هذا المجاز، ثمّ تعيين نوعه من الاستعارة أو غيرها خلاف كثير بين البيانيين والأصوليين. ولا يبعد أن يكون قوله : "والحبُّ يعترضُ" استعارة مكنيًّا عنها أيضاً وتخييليّة، بأن يُقدّر تشبيه الحبّ بقاطع طريق، ولم يُصرّح به، بل بما هو من صفاته؛ وهو الاعتراض بما يؤلم.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْبَدِيْعُ

في البيت الأوّل مراعاة النّظير لجمعه بين الإنكار والشّهادة والعدول، وبين "الحبّ" و "الدّمع" و "السّقم". وفيه الطّباق الخفيّ؛ لأنّ الشّهادة كالإقرار في ثبوت الحكم بها، فجمع بينها وبين ضدّها الّذي هو الإنكار؛ لأنّه يضمحلّ معها. وفيه الجمع.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة الجمع]

وهو : «جَمْعُ مُتَعَدِّدٍ فِي حُكْمٍ»[1].

وهو هنا جمع "الدّمع" و "السّقم" في الشّهادة بالحبّ، وفي العدالة أيضاً، ومنه : ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2]، وقوله[3] :

إنَّ الشَّباب والفَراغَ والجِدَهْ مفسدَةٌ للمرءِ أيُّ مفسدَهْ

وفي الثّاني أيضاً مراعاة النّظير لجمعه بين "السّرْي" و "الطّيف" و "الأرق" و "الهوى" و "الحبّ". وفيه الطّباق الخفيّ؛ لأنّ سَرْي الطّيف لا يكون إلاّ مع النّوم، فجمع بينه وبين الأرق. والطّباق الظّاهر لجمعه بين "اللذّة" و "الألم". وفيه الإرصاد؛ إن تعيّن الألم للذّكر، وإلاّ فالتّخيير. وفيه إرسال المثل.

---

(1) وهو قسم من أقسام التذييل، وقد سبق بيانه قريبا.

(2) سورة الكهف : من الآية 46.

(3) البيت لأبي العتاهية. وانظر البيت في الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 189

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة إرسال المثل]

وحقيقته : «أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ مَثَلاً أَوْ مَا هُوَ كَالمَثَلِ»[1].

كقوله : أَقَرَّ الخَصْمُ فَارْتَفَعَ النِّزَاعُ...[2]

وهو هنا قوله : "والحبّ.. إلى آخره"، وهو أيضاً من المذهب الكلامي، ويشبه أن يكون من حسن التّعليل.

---

(1) انظر الإيضاح في علوم البلاغة. القزويني : ص 191.

(2) هو شطر من بيت لابن سهل الأندلسي، وهو بتمامه :

وقد سكَتَ الوشاةُ اليومَ عنّي   أقرَّ الخصمُ فارتفَعَ النّـــزاع

انظر ديوانه : ص 55.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة حسن التّعليل]

وهو : «أَنْ يُدَّعَي لِوَصْفٍ علَّةٌ مُنَاسِبَةٌ لَه، بِاعْتِبَارٍ لَطِيفٍ غَيْرَ حَقَيقَيّ»، وقد تقدّم[1].

ولقائل أن يقول : الاعتبار هنا حقيقيّ. وهو ظاهرٌ.

قال بعضهم : «ويحتمل أن يكون قوله : "والحبّ.." إلى آخره من التّشبيه المدعوّ بالتّذييل المثاليّ.

---

(1) وذلك في شرح قوله : "فما لِعَينيك إن قُلتَ..".

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[حقيقة التّذييل المثاليّ]

وهو : «أَنْ يُخْبَرَ بِمَا لاَ يُعْلَمُ صِدْقُهُ، ثُمَّ يُرْدِفُهُ بِخَبَرٍ شَبِيهٍ بِهِ مَعْلُومِ الصِّدْقِ لاَ يُنْكَرُ؛ اسْتِدُلاَلاً عَلَى صِدْقِ الأَوَّلِ؛ لِشَبَهِهِمَا مَعْنًى»[1]،

فاستدلّ بقوله : "والحبّ" على صدق إخباره عن "سَرَى طَيْفُ مَنْ أَهْوَى"، وتألّمه لذلك وبكائه؛ ومنه[2] :

سَيَطْلُبُني قَوْمي إذا جَدّ جدّهُمْ وَفِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ، يُلتَمَسُ البدرُ

وقوله[3] :

ولو اختصرتُم من الإحْسَانُ زُرْتكُم والعذْب يُهجر للأفْراط في الخَصَر»

قلت : وتسميته بالمذهب الكلامي أولى، لكن لا مشاحّة في التّسمية.

---

(1) وقد سبق بيانه قريبا.

(2) البيت لأبي فراس الحمداني، والمحفوظ "سَيَذْكُرُني" بدل "سَيَطْلُبُني". انظر الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 466/6.

(3) البيت لأبي العلاء المعري. انظر زهر الأكم في الأمثال والحكم. اليوسي : 93/3.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

الإعْرَاب

الفاء : تؤذن بمسبّبية ما بعدها عمّا قبلها؛ لأنّ ما بعدها نتيجة، كما تقدّم.

وكيف : اسم استفهام عن حال، وهي حال أو ظرف على الرّأيين فيها[1]، والعامل فيها "تُنكر"، ويجب تقديمها؛ لأنّ لها صدر الكلام، والعامل في "بعدُ" "تُنكرُ" بقيد الاستفهام المؤوّل. وما : موصول إسميّ، أو نكرة موصوفة. و "شهدت" وما يتعلّق به : صلة، أو صفة، والتّقدير : بعد الحال الّذي شهدت به، أو حال شهدت به. وجعلها الأستاذ القصّار - ومن تبعه على ذلك - موصولاً حرفيًّا. وجملة "شهدت.." في محلّ خفض بالظرف؛ أيْ بعد شهادة. وهو بعيدٌ؛ لذكر العائد في صلتها.

ونعم : حرف تصديق مُخبَر بعد قول القائل : قام زيد، وإعلام مُستخبر بعد قوله : أقام زيد؟ ووعد طالب بعد قوله : اعطني. وهي هنا لإعلام مُستخبر. وقال بعضهم فيها : «حرف تصديق في الخبر والاستفهام، وعِدَة في الطّلب». والعبارة الأولى أجمع وأصحّ[2].

ومَن : مخفوضه بإضافة "طيف" إليها، وهي موصول اسميّ، وعائدها محذوف؛ أيْ أهواه. وفأرّقني : عطف على محذوف كما تقدّم؛

---

(1) ينقل عَن سِيبَوَيْهٍ أَن كَيفَ ظرف، وَعَن السرافي والأخفش أَنَّهَا اسْم غير ظرف. وَقَالَ ابْن مَالك مَا مَعْنَاهُ : لم يقل أحد إِن كَيفَ ظرف، إِذْ لَيست زَمَانا وَلَا مَكَانا، وَلكنهَا لما كَانَت تفسر بِقَوْلِك على أيْ حَال؟ لكَونهَا سؤالا عَن الْأَحْوَال الْعَامَّة، سميت ظرفا؛ لِأَنَّهَا فِي تَأْوِيل الْجَار وَالْمَجْرُور، وَاسم الظّرْف يُطلق عَلَيْهِمَا مجَازًا. انظر مغني اللبيب. ابن هشام : ص 272.

(2) انظر مغني اللبيب. ابن هشام : ص 451.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

أيْ فانتبهت فأرّقني. وبالألم : متعلّق بـ "يعترض". وجملة "والحبّ.." : الظّاهر أنّها مستأنفة. وجعلها القصّار معطوفة على ما قبلها. ويحتمل أن تكون اعتراضية على اصطلاح الزّمخشري[1] وغيره من البيانيين؛ في صحّة كون الاعتراضية آخر الكلام[2]. والجمع في قوله "عدول" : إمّا باعتبار أنواع الدّمع والسّقم، أو من وضع صيغة الجمع على المثنّى؛ إمّا حقيقة إن قيل الجمع اثنان، أو مجازا، على الخلاف فيه[3].

---

(1) انظر رأيْ الزمحشري هذا في تفسيره لقوله تعالى : ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. من الآية 133من سورة البقرة. فقد قال في إعراب هذه الجملة الواقعة في آخر الآية : «حال من فاعل ﴿نَعْبُدُ﴾ أو من مفعوله، لرجوع الهاء اليه في ﴿لَهُ﴾، ويجوز ان تكون جملة معطوفة على ﴿نَعْبُدُ﴾، وأن تكون جملة اعتراضية مؤكدة؛ أيْ ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون». انظر الكشاف. الزمخشري : 220/1.

(2) يخالف أغلب البيانيين النُّحاة في تسميتهم التكميل، والتتميم، والتذييل الذي يأتي في آخر الكلام اعتراضاً، لأن الاعتراض عندهم هو أنْ يُؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، بينما يرى النحاة وبعض البيانيين - ومنهم الزمخشري - جواز ورود الاعتراض في آخر الكلام. للمزيد انظر الإيضاح. القزويني : ص 184.

(3) اختلف العلماء في أقل الجمع على مذاهب :

- **المذهب الأوّل** : أن أقله اثنان، وهو المروي عن عمر، وزيد بن ثابت، وحكاه عبد الوهاب عن الأشعري وابن الماجشون.
- **المذهب الثاني** : أن أقل الجمع ثلاثة، وبه قال الجمهور وحكاه ابن الدهان النحوي عن جمهور النحاة.
- **المذهب الثالث** : إن أقل الجمع واحد، هذا حكاه بعض أهل الأصول وأخذه من كلام إمام الحرمين، وقد ذكر ابن فارس في فقه العربية صحة إطلاق الجمع وإرادة الواحد.

انظر إرشاد الفحول. الشوكاني : 310/1 وما بعدها.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

اَلْإِشَارَاتُ

[من أَسَرَّ سَرِيرَةً أظهرها اللهُ]

من أنكر الحبّ وأخفاه، أظهره دمعُ عينه وضَناه، فكذا من أراد بعبادته غير مولاه، فلا بدّ وأن يظهر للمؤمن أنّ ربّه أبغضه وقلاه : ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾[1]. و«**من أَسَرَّ سَرِيرَةً كَسَاهُ اللهُ رِدَاءَهَا**»[2] :

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مَنْ خَلِيقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعْلَمِ[3]

فالمُغرم بالدّنيا المشغوف بزينتها إنْ ادّعى أنّه على الجادّة أو يراقب الله سبحانه وتعالى في أوامره، كيف يخفى حاله بين بكائه على ما يفوته منها، وحزنه على ما لا يدركه ممّا أمله فيها، فاللائّق بحاله أن لا يكابر وينكر، بل يرجع إلى الحقّ ويقرّ، فيقول : نَعم، بكائي على النّزر اليسير الّذي أناله من الدّنيا إن نلته؛ الّذي هو بمثابة طيف الخيال، ولو كان المُنال جميعها، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**إنّمَا مَثَلُ الدُّنْيا فِي الْآخِرَةِ كمَثَلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَاذا يَرْجِعُ**»[4].

---

(1) سورة التوبة : من الآية 105.

(2) أصله حديث نبوي، ولفظه : «مَا أَسَرَّ عَبْدٌ وَلَا أَمَةٌ سَرِيرَةً إِلَّا أَلْبَسَهُ اللهُ رَدِاءَهَا، إن خَيْرًا فَخَيْرٌ، وَإِن شَرًّا فَشَرٌّ». رواه الطبراني عن سفيان البجلي مرفوعا. انظر المعجم الأوسط : 43/8. رقم الحديث : 7906. وفي سنده حامد بن آدم، وهو كذاب.

(3) البيت لزهير بن أبي سلمى المزني. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 61/3.

(4) رواه بهذا اللفظ الترمذي عن المستورد الفهري مرفوعا في الزهد. بَاب مَا جَاءَ فِي هوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وقَالَ : هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ. ورواه غيره.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فما أكثر حرمان من يرضى بالرّجوع بمثل ما يتعلّق بالأصبع من البحر، ويترك الانغماس في البحر وحوزه - اللّهمّ لا تحرمنا - على أن ما يناله من الدّنيا؛ الّذي هو كطيف الخيال، معترض بآلام الحرمان منه في أكثر الأوقات، كما يعترض الأرق لذّة الاستمتاع بطيف الخيال، بل عوائق الدّنيا أكثر وأشدّ، وما مثل ما يُنال منها - وإن كان جميعها - إلاّ كمثل ما يناله المحبّ من حبيبه من طروق خياله في النّوم، فليلتذّ بذلك المقدار، فإذا استيقظ تبيّن له أنّه لم يحصل على طائل، فكذا العبد في الدّنيا؛ إن نال منها شيئًا، فما أسرع زواله بالموت، فحينئذٍ يُكشف له الغطاء، ويتبيّن له أنّ ما كان فيه غلط وخطأ، قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**النَّاسُ نِيَامٌ، فَإِذَا مَاتُوا اسْتَيْقَظُوا**»[1]. فلِذا كان أكيَسُنا أكثرنا للموت ذكرًا، وأحسنُنا له استعدادًا، كما قال صلى الله عليه وسلم[2]، فإنّه عمل لحال اليقظة واللذّة :

كأنْ لم يَكُنْ بينَ الحَجُون إلى الصَّفَا ... أَنِـيْسٌ، وَلَـمْ يَسْـمُرْ بِمَكَّـةَ سـامرُ

بلـى! نَحْـنُ كنَّـا أَهلَهـا، فأبادَنـا ... صُرُوفُ اللّيالي والجُدُودُ العَواثِرُ[3]

---

(1) لم يثبت هذا الأثر لا مرفوعا ولا موقوفا، وإنما ثبت من قول سُفْيَانَ الثَّوْرِيِّ وغيره. انظر حلية الأولياء. أبو نعيم : 52/7.

(2) يقصد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ**». رواه الترمذي عن شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ مرفوعا في صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ. بَاب مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَوَانِي الْحَوْضِ. وقَالَ : هذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ. ورواه غيره.

(3) البيتان لعمرو بن الحارث بن مُضاض الجرهمي. والحجون : موضع بمكة معروف. انظر نهاية الأرب في فنون الأدب. النويري : 24/16.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ويُنشد لعثمان رضي الله عنه[1] :

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صَفْوَتَهَا ... مِنْ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِهَا ... لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ[2]

ويحتمل أن يكون إشارته بالبيتين إلى أولياء الله تعالى الباكين شوقا إلى الجنّة وخوفا من النّار، فإنّ هؤلاء لا يعلّقون بالهم إلاّ بربّهم، سيّما إن ارتقوا عن هذا المقام إلى مقام المشاهدة[3]، فإنّ منهم من لو حُجب عن ربّه ساعةً لاستغاث من الجنّة كما يستغيث أهل النّار من النّار[4].

---

(1) هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية (47 ق هـ- 35هـ= 577 - 656م). أمير المؤمنين، ذو النورين، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين. ولد بمكة، وأسلم بعد البعثة بقليل. وكان غنيا شريفا في الجاهلية. ومن أعظم أعماله في الإسلام تجهيزه نصف جيش العسرة بماله. وصارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب. انظر الأعلام. الزركلي : 210/4.

(2) وينسب البيتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولمسعر بن كدام. انظر البيتين في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 403/5.

(3) المقامات حسب القشيري هي : المحاضرة ابتداء ثُمَّ المكاشفة ثُمَّ المشاهدة، فالمحاضرة؛ حضور القلب وَقَدْ يَكُون بتواتر البرهان وَهُوَ بَعْد وراء الستر وإن كَانَ حاضرا باستيلاء سلطان الذكر، ثُمَّ بعده المكاشفة؛ وَهُوَ حضوره بنعت البيان غَيْر مفتقر فِي هذه الحالة إِلَى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب عَن نعت الغيب، ثُمَّ المشاهدة وَهِيَ حضور الحق من غَيْر بقاء تهمة. انظر الرسالة القشيرية : 184/1.

(4) يشير بكلامه هذا إل قول أَبِي يَزِيدَ الْبِسْطَامِيّ الذي رواه عنه أبو نعيم، ونصه : «إِنَّ لِلَّهِ خَوَاصًّا مِنْ عِبَادِهِ لَوْ حَجَبَهُمْ فِي الْجَنَّةِ عَنْ رُؤْيَتِهِ، لَاسْتَغَاثُوا بِالْخُرُوجِ مِنَ الْجَنَّةِ، كَمَا يَسْتَغِيثُ أَهْلُ النَّارِ بِالْخُرُوجِ مِنَ النَّارِ». انظر حلية الأولياء. أبو نعيم : 34/10.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

فهؤلاء في ابتدائهم يُخْفون أحوالهم وسبب بكائهم ونحولهم، فإذا أطلع الله المؤمنين على ما أسرّوا، كما قال تعالى : ﴿فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾[1]، علموا أنّه رضي إظهار حالهم، فأظهروا حينئذٍ أمرهم، وأجابوا من سألهم: بنَعَم. وأخبروا أنّهم المحبّون، وأنّ التذاذهم بالخلوة والخفاء اعترضه ألم الظّهُور، ولذا قال بعضهم : «لَو بِعتُ منه خَلْوَةً بمُلك سُليمان مع خزائن قارون في عمْر نُوح لَغُبْنتُ في بَيْعِي»[2].

والإشارات في هذا المعنى والحكايات كثيرة.

ويحتمل أن يشير بالبيت الأوّل إلى أنّ فاعل المعاصي لا يخفى حاله، وإنْ أَنكرَ، شهدَ عليه شاهدٌ منه، كشهادة الدّمع والسّقم على مُخفي الحبّ، وكشهادة الأعضاء في الدّار الآخرة بعد الإنكار : ﴿قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[3]. ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[4].

ويحتمل كلام النّاظم من الإشارات وجوهًا غير ما ذكرنا، لكن شأننا الاقتصاد، والإشارة إلى أوّل المراد.

---

(1) سورة التوبة : من الآية 105.

(2) وقفت عليه من قول ابن الجوزي بلفظ : «والله، لو بِعتُ لحظةً مِن خلوة بنا بتعمير "نوح" في ملك "قارون" لغُبنت، لا بل بما في الجنان كلّها ما ربحتُ، ومَن ذاق عرَف».
انظر كتابه اللطائف والطب الروحاني : ص 42.

(3) سورة الأنعام : من الآية 23.

(4) سورة النور : الآية 24.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

يَا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيِّ مَعْذِرَةً مِنِّي إِلَيْكَ وَلَوْ أَنْصَفْتَ لَم تَلُمِ
عَدَتْكَ حَالِي لاَ سِرِّي بِمُسْتَتِرٍ عَنِ الوُشَاةِ ولاَ دَائِي بِمُنحَسِمِ

شَرْحُ الْغَرِيْبِ

اللاّئم : العاذل، وجمعه لُوَّم، واللَوْمُ : العَذْلُ. لامَهُ على كذا لَوْماً ولَوْمَةً، فهو مَلومٌ. ولَوَّمَهُ؛ مبالغة. واللائِمَةُ : المَلامَةُ، وكذا اللّومَى؛ فُعْلى. واللَوائِمَ، والمَلاوِمُ : جمع المَلامَةِ. واللامَةُ : ما يُلامُ عليه. وألامَ : أتى بما يُلامُ عليه. ويُقال : لام فلان غيرَ مُليمٍ. وفي المثل : "رُب لائِمٍ مُليم". واسْتَلامَ إلى النّاس : اسْتَذَمَّ. أبو عبيدة : أَلَمْتُهُ بمعنى لُمْتُهُ، وتَلاوَموا مَلاَمَة : لامَ بعضهم بعضا. ورجل لومَةٌ : يَلُومُه النّاس؛ كهُزْأَة. ولُوَمَةٌ : يَلومُ النّاس[1]. وقال بعضهم : «اللاّئم والكاشح والعاذل واللاّحي متقاربة المعاني».

قلتُ : الكاشح مُضمر العداوة[2].

العُذْرِي : منسوب إلى عُذْرَة. قال الجوهري : «قبيلة من اليمن»[3].

---

(1) انظر الصحاح. الجوهري : 2034/5. مادة لوم.
(2) انظر معنى الكاشح في الصحاح. الجوهري : 399/1. مادة كشح. واللاحي : هو اللائم الّذي يزجر ويغلظ القول.
(3) انظر الصحاح. الجوهري : 738/2. مادة عذر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

قال غيره : «من العَرب»[1]. اشتهر شبابها بالعشق حتّى يؤول بهم إلى الموت، ولهم في ذلك أخبار مشهورة، وما أشبه ما قال الجوهري؛ فإنّ أهل اليمن أرقّ أفئدة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم[2].

(1) قال الشريشي : وبنو عذرة قبيلة معروفة من قبائل العرب. انظر شرح المقامات: 3/248.
(2) يقصد قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «**جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ هـمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْفِقْهُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ**». رواه مسلم عَنْ أَبِي هـرَيْرَةَ مرفوعا في الإيمان. بَاب تَفَاضُلِ أَهْلِ الْإِيمَانِ فِيهِ وَرُجْحَانِ أَهْلِ الْيَمَنِ فِيهِ. ورواه غيره.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

[بعض أخبار العُذريين]

وعُذْرة أبو القبيلة؛ قال الزّبير بن بكّار[1] : هو عُذْرَة بنِ سَعْدِ هُذَيْم بن زَيْدِ بن لَيثِ بنِ سَوْد بن أَسْلُمَ بنِ الحاف بن قُضاعَةَ[2]. منهم الأقيبل العُذريّ[3] القائل :

مَـنْ يُطِعْ قَائِـدَ الهَـوَى تَبْـدُ مِنْـهُ عَـــوْرَةٌ لاَ يَجُنُّهَـــا بِالثِّيَـــابِ
هَاجَ شَوْقِي وَلَمْ أَكُنْ ذَا تَصَاب طَلَـلٌ فِـي مَطَـالِعِ الاضْـرَابِ[4]

ومنهم جميل بن عبد الله بن قَمِيئَة العُذريّ[5] الشّاعر المشهور صاحب بُثَينة[6].

---

(1) هو الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي، من أحفاد الزبير بن العوام، أبو عبد الله (172 - 256هـ= 788 - 870م). عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية. ولد في المدينة، وولي قضاء مكة فتوفي فيها. له تصانيف، منها (أخبار العرب وأيامها). انظر الأعلام. الزركلي : 42/3.

(2) انظر شرح مقامات الحريري. الشريشي : 248/3.

(3) هو عمران بن أبي الجراح من بني لأي، ثم من بني الحارث بن سعد بن هذيم. ولم أقف له على ترجمة وافية.

(4) المحفوظ "الأحزاب" بدل "الاضراب". انظر المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. الحسن بن بشر الآمدي : ص 28.

(5) هو جميل بن عبد الله بن معمر العُذريّ القضاعي، أبو عمرو (.. - 82هـ= .. - 701م). يعرف بابن قميئة. شاعر، من عشاق العرب. افتتن ببُثينة. شعره يذوب رقّة، أقلّ ما فيه المدح، وأكثره في النسيب والغزل والفخر. انظر الأعلام. الزركلي : 138/2.

(6) هي بثينة بنت حبا بن ثعلبة العُذرية (.. - 82هـ= .. - 701م). شاعرة من بني عُذرة، من قضاعة. اشتهرت بأخبارها مع جميل ابن معمر العُذريّ. وهو من قومها. وكانت منازلهم بوادي القري (بين المدينة ومكة). في شعرها رقة ومتانة. مات جميل قبلها، فرثته، ولم تعش بعده طويلا. انظر الأعلام. الزركلي : 43/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

ومن شعره[1] :

لَقَدْ فَرِحَ الوَاشُونَ أَنْ صَرَمَتْ حَبْلِي   بُثينةُ، أَوْ أَبْدَتْ لَنَا جَانِب البُخْلِ

القصيدة المشهورة[2].

وحكى الأصمعيّ أنّ جميلاً حين مات بمصر[3]، دعا برجل، فقال له : ما خلفتَ على شيء أعهده إليك؟ قال : نعم. قال : إذا متّ فاعزل حلّتي الّتي في عيبتي، وخذ ما سواها، واتِ بني الأحبّ من عُذرة، وهم

(1) انظر البيت في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 2/ 597.

(2) وهي :

لقَد فَرِحَ الواشون أن صَرَمت حَبلي   بثينَةُ أو أَبدت لَنا جَانب البُخـــلِ
يقولون مهلًا يا جميلُ وإنَّني   لأُقسِمُ مَا بي عَن بثينَة مِن مَهـــلِ
أحلمًا فقبلَ اليوم كان أوانُهُ   أأخشَى فقبل اليَوم أُوعِدْتُ بالقتـــلِ
بثينُ صِلي حَبلي ولَا تَصرِ منَّهُ   فمثلُكِ مَوجودٌ وَلن تَجدِي مثـــلي
أيُصرَمُ حَبلي يا بُثينُ وقَادَني   إليكِ الهَوَى قوُدَ الجنيبَةِ بالحَبـــلِ
فيَا رَبِّ إن تَهلك بثينَةُ لم أَعِش   فُواقًا ولم أفرح بمالٍ ولَا أَهـــلِ
ويَا ربِّ إن وقيّتَ شيئًا فوقَها   صُروفَ اللَّيالِي ربّ واجمع بها شملي
ولو تَركَت عقلي مَعي مَا طَلبتُها   ولكن طِلابَها لما فات من عقلي
إذَا ما تَباعثنا الذي كَانَ بينَنا   جرى الدَمعُ من عَيني بُثينة بالعُجل
كلانَا بلى أو كادَ يَبلَى صَبابةً   إلى إلفهِ وَاستعجَلَت عبره قبلي
فيا وَيح نفسِي حَسبُ نفس الذي بهَا   ويَا ويح أهلي مَا أصبتُ به أَهلي
ومَا لبَس العشاقُ يومًا مَن الهَوى   ولَا جـــدَّدُوا إلاّ بقيّة مَا أبلي
خَليليَّ فيما عشتما هل رأيتُمـــــا... البيتُ.

انظر الأبيات في الدر الفريد وبيت القصيد. محمد بن أيدمر المستعصمي : 176/6 و 177.

(3) أيْ حضرته الوفاة بمصر.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

رهط بُثينة، فإن وصلتهم، فالبس حُلّتي، واشققها، واركب ناقتي هذه، واعلُ شرفًا، وناد بهذه الأبيات، وخَلاكَ ذمّ، وهي[1] :

صَـرّحَ النّعـيُّ وَمـا كَنّـى بجَمِيـلِ وَثَـوَى بمِصرَ ثَـوَاءَ غَيـرِ قَفُـولِ

وَلقد أجرُّ الذّيلَ في وَادِي القُرَى ريـان[2] بَـينَ مَـزَارِعٍ وَنَخِيـلِ

قُـومي بُثَيْنَـةُ ، فَانـدُبي بعَوِيـلِ وَابكي خَليلَكِ دونَ كلّ خليلِ

فلمّا قضى، قال الرّجل : فبلّغتُ وصيّته، فما أتممت الأبيات حتّى أتتني جارية مع نسوة؛ فرعتهنّ طولاً كأنّها بدرٌ طالع في دُجنة تتعثّر في مُرطها، فقالت : يا هذا.. قتلتني، ولئن كذبتَ لقد فَضَحتَني. فلمّا رأت حُلّته عَرَفتها، فَصَاحَت، وصكّت وجهها، واجتمع إليها نساء الحيّ يَبكين، وغُشّي عليها، ثمّ قامت تقول[3] :

وإنّ سُـلُوّي عـن جميـلٍ لَسـاعةٌ مِن الدَّهْرِ لا حانتْ ولا حان حِينُها

سـواءٌ علينا يا جميلُ بن مَعْمَرٍ إذا مِـتَّ بأسـاءُ الحيَـاةِ ولِينُهـا

ثمّ أغمي عليها، ثمّ قامت تقول :

أَحَقًّـا عِبَـادَ اللهِ فَـادَ جَمِيـلُ بِحَيْـثُ سَـرَى لِلْشَّرْقِ فِيـهِ رَسُـولُ

لُيُهِنْـكَ يَـا زَيْـنَ العَشِـيرَةِ مُلْحِـدٌ وَمِـنْ أَيْـنَ لِـي صَـبْرٌ عَلَيْـكَ جَمِيـلُ

---

(1) انظر الأبيات في الشعر والشعراء. ابن قتيبة : 1/ 432.

(2) المحفوظ : "نَشوانَ" بدل "ريان".

(3) انظر الأبيات في الشعر والشعراء. ابن قتيبة : 1/ 433.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

سَتَبْكِيهِ مِنِّي عَبْرَةٌ تَعْرِفُ الهَوَى وَتَتْبَعُهَا رُوحِي وَذَاكَ قَلِيلُ[1]

قولها "فاد"؛ أيْ مات، يُقال : فادَ يَفودُ، ويَفيدُ.

وفي قولها : "وَمِنْ أَيْنَ لِي صَبْرٌ عَلَيْكَ جَمِيلُ"؛ تَوْرية حَسَنَة؛ لأنّ "جَمِيلٌ" منادى، وهو يوهم أنّه نعت لصبر، كالّذي في الآية[2]. ثمّ ما لبثت إلاّ أيّامًا يسيرةً في ضَنًا حتّى ماتت. وحُكي أنّه سيق لابن عبّاس رضي الله عنهما شاب كالشنّ البالي من الضّعف، فقيل : يا ابن عمّ رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - استشف لهذا. فقال له ابن عبّاس : ما علّتك؟ فلم يجر جوابًا، ثمّ قال بلسان فصيح :

بِنَا مِنْ جَوَى الحُب المُبَرِّحِ لَوْعَةٌ تَكَادُ لَهَا نَفْسُ المُحِب تَذُوبُ[3]

وَلَكِنّما أَبْقَى حُشَاشَةَ مَا تَرَى عَلى ما تَرَى عُودٌ هُناكَ صَلِيبُ

فقال ابن عباس : ممّن الرّجل؟ قيل : من عُذرة. ثمّ شهق شهقة، فمات. فقال ابن عبّاس لجُلسائه : هل رأيتم وجها أعتق ولسانا أذلق ممّا رأيتهم اليوم؟ والله إنّه لقتيل الهوى، لا دية فيه ولا قَوَد، وإلى الله يُرغب في العاقبة[4]. وأخبار العُذريين كثيرة يكلّ القلم دون المعشار منها.

---

(1) انظر القصة في الوافي بالوفيات. الصفدي : 143/11.

(2) أيْ قوله تعالى : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾. سورة يوسف : من الآية 18.

(3) ويروى البيت بلفظ : بنا من جوى الشّوق المبرّح لَوْعَةٌ تكادُ لها نفسُ الشّفيق تَذُوبُ

(4) انظر القصة في زهر الآداب وثمر الألباب. القيرواني : 369/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر

مَعْذِرَة : يُقال : عَذَرْتُهُ أَعْذِرُهُ عُذْراً وعُذُرًا، والاسم المَعْذِرَةُ والعُذْرى، وكذلك العِذْرَةُ كالجِلْسَة. وقال بعضهم : «مَعْذِرَة مصدر»[1].

وهي أيضاً الشّيء الّذي يعتذر به. ومعنى عَذَرْتُه : صفحتُ عنه، ومحوتُ إساءته. واعْتَذَرَ اعْتِذَارًا؛ إذا احتجّ لنفسه. والاعْتِذَار من الذّنب. واعْتَذَر رجل إلى النَخَعِيّ، فقال : قد عَذَرْتُكَ غيرَ مُعْتَذِرٍ، إنَّ المَعاذيرَ يشوبُها الكذب. واعْتَذَرَ بمعنى أَعْذَرَ؛ أيْ صار ذا عُذْرٍ. وأَعْذَرَ : بالغ في العُذْر[2].

وأنصفتَ : أيْ عَدَلَت، والإنْصَافُ : العَدْلُ، يُقال : أَنْصَفَهُ من نفسه، وانْتَصَفْتُ أنا منه، وتَناصَفوا؛ أيْ أَنْصَفَ بعضهم بعضا من نفسه.. وقوله[3]:

أني غَرِضْتُ إلى تَناصُفِ وَجْهِها غَرَضَ المُحِب إلى الحبيب الغائِبِ

يعني استواء المحاسن، كأنَّ بعض أعضاء الوجه أَنْصَف بعضاً في أخذ القِسط من العدل[4].

ولم تَلُم : من اللّوم، وتقدّم تفسيره. وقال بعضهم الإنْصَافُ : «الاعتراف بما يجب أن يُعترف به»[5]. وقيل : «أَنْصَفَ إِنْصَافًا؛ أيْ سَلّم، واستحسَنَ مَا عمِل». وانظر ما معنى هذا التّفسير.

---

(1) وممن قالها الإمام الزمخشري في تفسيره لقوله تعالى : ﴿**قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**﴾. (من الآية 164 من سورة الأعراف). فذكر من تأويلاتها على قراءة النصب : اعتذرنا معذرة. انظر تفسيرة الكشاف 171/2.

(2) انظر الصحاح. الجوهري : 737/2. مادة عذر.

(3) البيت لابن هرْمة.

(4) انظر الصحاح. الجوهري : 1433/4. مادة نصف.

(5) قال ابن الجوازي : وأعظمُ الإِنصاف : الاعتراف للمنعِم بنعمته. انظر كتابه زاد المسير : 579/2.

مادة محمية بموجب حقوق النشر